

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس والتسعين

٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٩

١ مايو سنة ١٩٤٠

انتقال الافكار

او الاتصال الذهني عن بُعد

تجددت العناية في السنوات الاخيرة بموضوع الاتصال الذهني عن بُعد (Telepathy) او انتقال الافكار ودار البحث أخيراً في نتائج تجارب أجريت في معاهد اميركية غرضها بحث هذا الموضوع على أساس من التحقيق العلمي . فيجدر بنا ان ننظر نظرة عامة شاملة (١) في نواحي هذا الموضوع بما يشتمل عليه من الخدع البارة وأساليب التحقيق العلمي وما يؤخذ عليها . وقد عالج كاتب هذا الفصل هذا الموضوع معالجة عملية ، ولذلك فهو يستطيع ان يؤيد أقواله بما شاهده في غير اجتماع واحد من اجتماعات الوسطاء وغيرهم

عنيت جامعة ديوك الاميركية من سنوات باجراء تجارب في « الاتصال الذهني عن بعد » فكانت نتائجها موضوع مقالات في شتى المجلات ومنها مقالتان في مجلة هاربرز استرعتا انتباه القراء وجددتا العناية بهذا الموضوع . ولو ان مقالتي هاربرز اكتفنا بوصف التجارب لما اشد الاهتمام بموضوعها . ولكن كاتبها (الاستاذ ريت وهو استاذ الادب الانكليزي في جامعة كولومبيا) قال فيها ان تجارب جامعة ديوك أثبتت اثباتاً قاطعاً لكل ريب وجود « انتقال الافكار » او « الاتصال الذهني عن بعد » (التلثي)

وليس ثمة ريب في ان الناس يتوقنون الى استشفاف المجهول فعنايتهم بالظواهرات الروحية أمر طبيعي . فلما قرأوا في مجلة ذات مكانة وبقلم استاذ في جامعة أقوالاً يفهم منها وجود

(١) الاستاذ سمير بوير ايلي أحد أساتذة معهد كارنيجي التكنولوجي في المجلة العلمية الشهرية الاميركية

هذه الظاهرات حقيقةً وتميز هذه الاقوال بتجارب (على قول الكاتب) أجرتها جامعة أخرى مشهورة، تجددت العناية بالموضوع على وجه لم يسبق له مثيل. وهذا مفهوم. فكل منا يستطيع ان يروي نوادر يتعذر تعليلها فتجد في الاتصال الذهني عن بُعد تعليلًا وافيًا لها. ولعل ما فينا من بقية احترام لاعتقاد اسلافنا الاقدمين في السحر يحملنا على ذلك. ولكن اذا تعدى القول مجرد رأي بطلقه القائل اطلاقاً الى بحث دقيق يقوم به اساتذة جامعة، وجاءت نتائج هذا البحث مؤيدة للقول بالتبلي فان الموضوع يخرج من دائرة رأي فرد الى دائرة حقيقة علمية مثبتة. وقد يدهش القراء اذا علموا ان المشتغلين بهذه الموضوعات بحثوا بحثاً دقيقاً وافيًا فيها في خلال الثلاثين او الاربعين السنة الاخيرة وان تجارب جامعة ديوك ليست جديدة ولا مبتكرة، وانما هي ترديد لبحث قام به آخرون من قبل، وفي طليعتهم الاستاذ كوثر Coover بجامعة ليلاندستافورد الاميركية. ومما لا ريب فيه انه في سبيل الوصول الى رأي مستقيم في هذا الموضوع لا بد لنا من الاهتمام — او على الاقل يجب علينا ألا نهمل — نتائج المباحث السابقة ليس تعريف «التبلي» بواضح وضوحاً علمياً. ولعل لفظي «انتقال الافكار» thought transference أفضل. ومع ذلك فانهما لا يكفيان ولا يرضيان. لانهما لا يحددان المقصود بطريقة انتقال الافكار، فيباح لمن يريد ان يحسب المندل، والاحلام من ضرب معين، والشعور بتوقع شيء، والكتابة الآلية، انواعاً من انتقال الافكار. ويضاف الى هذا ان انتقال الافكار كثيراً ما يخلط بالتكهن او علم الغيب clairvoyance. ففي احدى تجارب ديوك (وسنقتصر بعد الآن على ذكر ديوك قاصدين جامعة ديوك) وضع عدد من (ورق اللعب) على مائدة وكانت وجوهها التي عليها الارقام والصور الى المائدة وظهورها الى فوق. وطلب الى احدهم ان يحزر الارقام او الصور المطبوعة على كل من هذه الاوراق. فهذه تجربة لا تمت الى «انتقال الافكار» بصلة وانما هي من قبيل التكهن اذ ليس في هذه التجربة انتقال فكر من ذهن الى آخر. ولكن اذا كان احد الحزبين يعرف رقم كل بطاقة او صورتها وطلب الى الوسيط او الحزب به ان يعرف ما يعرفه الحزب فعندئذ تصبح التجربة تجربة في انتقال الافكار والتكهن او علم الغيب يشمل ظاهرة من وراء الظاهرات الطبيعية التي نعرفها. ولذلك يتعذر علينا ان نأتي بتعليل طبيعي وافي لها. ولذلك قامت التفسيرات الروحية فأصبحت عند بعضهم معتقدات راسخة واتسمت عن آخرين بسمة الدين. أما «انتقال الافكار» فلا يتحتم ان تعدى في فهمها ودراستها النواميس الطبيعية. ففي شهر يناير ١٩٣٩ نشرت مجلة معهد كارنيجي التكنولوجي مقالاً عنوانه «أساس علمي للتبلي العقلية» ذهب فيه الكاتب الى ان العلم الحديث أثبت ان عملية التفكير يصحبها تولد نبضات كهربية في الدماغ. ولذلك يجوز ان يحسب الدماغ

جهازاً مولداً مذهباً لنبضات كهربية قد يتلقاها دماغ آخر منبهياً لتلقيها وعندئذٍ فقد يولد في الدماغ المستقبيل ، الفكر الذي ولدها في الدماغ الاول
ومع ان المشتغلين بهذه الموضوعات اعترضوا اعتراضات شتى على هذه النظرية فاننا لا نجد في « التلبي » ما يجعلها امراً مستحيلاً لذاته او بحكم المنطق العلمي . ولذلك يهتم العلماء بالبحث في هذه الظاهرة لعلمهم يهتدون الى تأييدها او إنكارها ، اكثر من اهتمامهم بتأييد المذاهب الروحانية او نفيها . ومن هنا عني كاتب هذا المقال بدراسة الأدلة المتجمعة حول موضوع « التلبي » دون غيره .

بعد البحث الدقيق في هذه المباحث يخرج الباحث بحقائق عامة ذات شأن . فقد ثبت ان جميع حوادث قراءة الافكار التي عرضت على منبر عام ثم بحثت بحثاً دقيقاً كانت قائمة على خداع بارع ، وان جميع حوادثها التي تمت في اجتماعات خاصة ثم بحثت بحثاً دقيقاً كانت إما خداعاً وإما مما يمكن تفسيره تفسيراً معقولاً بحالة شاذة أو تأثير غير مألوف . والجاهل ترغب في كل ما هو مستغرب او ما يبدو من وراء الفهم البشري . وهذا يفسر كثرة الذين احترقوا (في اميركا والكاتب عالم اميركي) ضروباً واساليب مختلفة من قراءة الافكار فلنضرب بعض الامثلة عليها
يزعم بعض هؤلاء في الاجتماعات الخاصة التي تعقد لمثل هذا الغرض انه يستطيع فعلاً قراءة الافكار وان يقيم الدليل على صحة زعمه . خذ مثلاً على ذلك الحادثة التالية :

كان في مدينة شيكاغو من سنوات وسيط كان يسمح لمن يريد ان يكتب امامه وعلى مسافة منه ، اسماء ستة رجال يعرفهم الكاتب ويجهلهم الوسيط ، على ان يكون احدهم اسم رجل متوفى والخمسة الباقية اسماء احياء . وللكتاب ان يرتب هذه الاسماء حين كتابتها كيف شاء . وكان الوسيط يستخرج من الاسماء اسم الرجل المتوفى من الكشف المكتوب

في معظم التجارب التي من هذا القبيل يفرض الوسيط توافر احوال معينة يحيط بها التكمم والسر . ولكن هذه التجربة كانت مطلقة من كل قيد . فاذا كان الوسيط يجيدها كان لهذا الاطلاق من القيود وقع عظيم في النفوس

إلا ان الدكتور « دايفد ابوت » فضح سرها في كتابه « وراء المشاهد مع الوسطاء »
اذ اثبت ان الوسيط يعتمد على طريقة ترتد الى حقيقة نفسية من حقائق الذاكرة في تبيين اسم الرجل المتوفى . آية ذلك ان الوسيط يطلب الى الرجل المتقدم الى التجربة ان يتذكر اسم رجل متوفى يعرفه هو ويجهله الوسيط . ثم يدفعه الى كتابة كشف الاسماء بغير ان يتيح له وقتاً كافياً لتذكر الاسماء التي يريد ان يكتبها في الكشف المطلوب فيقول له مثلاً اكتب اسم رجل حي

تعرفه أنت وأجهله أنا، فيترى قليلاً قبل ان يكتب هذا الاسم ثم يكر المجرب طلبه ثم يقول له اكتب اسم رجل متوفى تعرفه أنت وأجهله أنا فيحضره الاسم الذي كان الوسيط قد أتاح له فرصة لتذكره، ثم يعقب ذلك يطلب كتابة اسماء احياء آخرين

ويلاحظ ان فعل تذكر اسماء الأحياء يقتضي من الكاتب تريباً وأما عمل كتابة اسم الرجل المتوفى فلا يقتضي منه ذلك لأن الاسم كان مستحضراً في ذهنه قبل بدء التجربة فيلاحظ الوسيط ذلك اذا كان بارعاً في عمله ويستخرج اسم المتوفى

وهذه التجارب لا تحدد الجمهور فحسب بل تحمل بعض الباحثين المدربين على الاعتقاد بأن هناك عنصراً من الحقيقة في ما يقال عن انتقال الافكار، وقد كتبت مجلدات كثيرة في الماضي عن هذه المشاهدات ولكن لا قيمة علمية لها لأنه يندر بين الباحثين الذين طالجوها من أنفق من وقته ونشاطه ما يكفي للتعق في فهم شتى الاساليب المعتمدة في مثل هذه الاذاع ومن هذا القبيل ما يصنع في بعض الاجتماعات العامة او المسارح اذ يطلب الوسيط اوقارىء الافكار من فريق من الحاضرين كتابة سؤال على ورقة ووضع ذلك السؤال في الحبيب ثم يقرأ الوسيط وهو واقف على خشبة المسرح مضمون السؤال . ولعل أشهر من قام بتجارب من هذا القبيل سيدة تدعى «آنا ايثا فاي» . وكانت طريقتها ان يوزع المستقبولون في المسرح دفاتر صغيرة على الحاضرين الذين يوثقون رغبتهم في الاشتراك في هذه التجربة . ويكون تحت كل ورقة من هذه الدفاتر ورقة دهنت بطبقة خفيفة جداً من البرافين الذي لا يرى . فيأخذ الرجل الدفتر ويكتب السؤال على الورقة الاولى ويوقعه ثم يزعها ويضعها في جيبه ويفعل غيره مثله . ثم تجمع الدفاتر وتؤخذ الى حجرة حيث تظهر الآثار المطبوعة على الورق المغشي بالبرافين فتقرأ الاسئلة واسماء اصحابها . وفي اثناء ذلك كله تكون «آنا» قد قضت وقتها على خشبة المسرح مصوبة العينين . ولكنها في الوقت نفسه كانت متصلة بمعاونيها بسلك تلفوني مخفي تحت سجادة المسرح ويمتد داخل ملابسها الفضفاضة الطويلة الى جهاز تلفوني صغير مخفي على مقربة من اذنها في شعرها المصفف . وكانت اذا ابلقت سؤالاً ما، تستخرج من نص السؤال حقائق مطوية في كلاته فيدور مثلاً حديث كالحديث التالي بينها وبين احد الحاضرين من اصحاب الاسئلة :

الوسيلة : أنت تفكر في رحلة . أليس كذلك ؟

السائل : نعم افكر

الوسيلة : أعرف احداً يبتدىء اسمه بحرفي ف . ه .

السائل : نعم أعرف

الوسيلة : بلوح انك تفكر في رحلة الى شيكاغو : أنا على صواب

السائل : انك على صواب

الوسيلة : والآن فكر في شخص تعرفه ويبتدىء اسمه بالحرفين ف . ه . هل اسمه « هاريس »

السائل : نعم

الوسيط : هل اسمه الاول فرانك . قل لي اذا كنت اصبت
السائل : انك اصبت

الوسيط : اذن ، عندما ماتصل الى شيكاغو ستقابل فرانك هاريس فتجد كل شيء على ما تروم
ويبدو للحاضرين ان الوسيطة التقطت حقائقها من الفضاء ولكنها في الواقع استخلصت
الحقائق المختلفة من نص السؤال الذي ابلفها وهو « اينتظر ان اقابل فرانك هاريس عندما
اصل الى شيكاغو ؟ » . والسائل نفسه يعلم ان جميع الحقائق التي طوتها الوسيطة في اسئلتها تحتوي
عليها كلمات السؤال نفسه ومع ذلك يدesh دهشة الجمهور لأنه لا يدري كيف عرفت الوسيطة
السؤال ونصه مكتوب ومطوي في جيبه . وقد ابتدع وسطاء او مجربون آخرون اساليب أخرى
تمكنهم من حمل الجمهور على الدهش عندما يستشققون حقائق يظن الجمهور حقيقة انها من قبيل
قراءة الافكار . ولكنها بحثت جميعاً بحثاً دقيقاً فأسفر البحث فيها عن فهمها وتفسيرها

ولعل الطريقة التالية من أبعد الطرق على الدهشة وهي تستعمل عند ما يذهب احد الناس
الى وسيط لاستشارته في أمور خاصة فينبئ الوسيط بأشياء يظن الرجل انها مكتومة في داخله
ولا يعرف أحد عنها شيئاً ما فيذهل عن نفسه عندما تنبئ بها شفتا الوسيط

ولا تفهم هذه الحقائق المستغربة إلا على ضوء ما نعرفه عن « الانتباه » في علم النفس .
فالانتباه كالبحر لا يتركز إلا في شيء واحد في وقت ما . وكل ما حواله يكون على جانب
متفاوت من الابهام والغموض . وكذلك لا نستطيع ان نحصر انتباهنا إلا في شيء واحد في وقت ما .
والأمثلة كثيرة على ذلك . ومن أشهرها ما روي عن جندي أصيب في أثناء المعركة برصاصة في ذراعه
فلم يدر بذلك إلا بعد وقت ما . وتفسيره ان انتباهه كان محصوراً في المهمة التي عهد اليه بها
فكان كل ما عداها من ألوان الشعور وصور الذهن خارج نطاقها . ويضاف الى هذا ان حصر
الانتباه في شيء يتوقعه لا يقتضي منا استعمال آذاتنا وعيوتنا فقط بل جميع حواسنا ومداركنا
فيسفر كل هذا عن اننا نتصرف عن كل شيء او كل حادث آخر حولنا فلا نستطيع ان نتنبه
للحوادث المتوالية المفضية الى الشيء المتوقع الذي حصرنا انتباهنا فيه . ولذلك نعجز عن وصف
اي حادث من تلك الحوادث التي أفضت اليه ، لانها تمر بنا بين سمعنا وبصرنا وكأنها ليست
داخلة في نطاق ادراكنا

وحيل المشعوذين قائمة على هذه الحقيقة النفسية . ومن المتعذر على مشاهد ان يصف حيلة
مشعوذ إلا اذا كان قد سبق له معرفة سرها وأسلوبها . وذلك لأن المشاهد يصف ما حصر
انتباهه فيه . والحيلة نفسها تنظم قصداً بحيث توجه نظر المشاهد الى اشياء معينة فينصرف عن اشياء
أخرى . اي ان المشعوذ يسيطر على انتباهك مستنداً الى هذه الحقيقة النفسية فلا ترى إلا ما
يريدك على ان تراه . وهذا يفسر ان هوديني المشعوذ استطاع ان يفضح مشعوذين آخرين حالة
ان فريقاً من أعلام العلماء عجزوا عن تفسير بعض حيلهم . ولذلك لا يجوز لنا ان نعلق شأننا علمياً

كبيراً بمشاهدات الفلاسفة والعلماء والكتاب المشهورين في مثل هذه الموضوعات ولنعد الآن الى الوسيط والسائل . ولنفرض أنهما في حجرة معتمة أحدهما جالس قبالة الآخر وبينهما طاولة . الوسيط يتكلم بسرعة وبغير انقطاع ونبرة صوته آخذة دائماً في الارتفاع ولست تدري هل القول الذي يقوله سؤال او تأكيد . فهو يقول مثلاً « انني أشعر أنك تفكر في ولد؟ » يقولها بنبرة آخذة في الارتفاع ويفرغها في قالب لا تدري أسؤال هو ام تأكيد ، وقد يتفق ان يكون السائل ممن فقدوا ولداً فينفعل عند سماع القول ، فاذا انقلع فلا ريب في انه يعبر عن انفعاله عن غير قصد وبدون وعي بحرف او تهنئ او ما شابه ذلك

تذكر ان الحجرة معتمة . وقد يستعمل الوسيط أجساماً مفصرفة صغيرة متحركة وأصواتاً غامضة ، مبالغاً في التأثير في نفس السائل . ومن الطبيعي ان يرد المرء على اسئلة توجه اليه . ومعظم الناس لا يتألك عن الرد عاجلاً او آجلاً . فاذا جاء الرد تمسك به الوسيط وأتبعه بسيل من الاسئلة المتوالية لأن الرد الاول هداه الى شيء فيعمد الى الاسئلة التالية لاستجلائه . ومن المحتمل ان يتأثر السائل بأحد هذه الاسئلة ويفعل فيستجيب انفعاله استجابة ما ، غير دار ما قاده الى ذلك ، لأن انتباهه محصور في شيء استرعا ، فاذا انتهت الجلسة نسي تسلسل الحديث لأنه لم ينتبه له فيؤكد ان الوسيط قال له أشياء هو قالها للوسيط

ولننظر الآن في نتائج التجارب التي أجريت في المختبرات النفسية . هنا جماعة من الباحثين لا يرتقي الشك اليهم فهم يبحثون عن الحقيقة ولذلك لا يعمدون الى الحيل ولكنهم قد يقعون في الخطأ هذه التجارب تجري عادة بين شخصين احدهما المجرب والآخر شخص يرضى باجراء التجربة عليه . وقد يخفي المجرب شيئاً في يده ويطلب الى المجرب به ان يحزر ما هو . فاذا أجريت التجارب بورق اللعب أو ما جرى مجراه فالغالب ان يوضع الورق بحيث تقابل الارقام والصور سطح الطاولة امام المجرب به . أو قد يكون المجرب بعيداً عن المجرب به والاتصال بينهما اتصال تلفوني هذا النوع من التجارب معرض لأخطاء معينة . والاحتراس من الوقوع فيها هو مشكلة المشكلات . فمن الناس من أرهف إحساسهم إرهافاً يتأثرون معه بوقوع الضوء ، او نفمة السؤال ، أو همسة غير مقصودة ، أو توتر في عضل من عضلات الوجه او الذراع أو غيرها من الاعضاء . ولعل أبلغ مثل يضرب على هذا النوع من التأثير التجربة القديمة المعروفة اذ تضرع في ذهنك جسماً معيناً في حجرة تكون فيها مع قوم بينهم رجل أرهف إحساسه بشد العضلات وارخاها وتعود هذا النوع من التجربة . وتقول ما في ضميرك لصديق . ثم تضع يدك ويد صديقك على كفي ذلك الرجل ، فيسير توتاً الى الشيء المضرع في حين انكما في الواقع تدفعا به اليه عن غير قصد

ثم هناك نوع آخر من الاخطاء . الانسان ابن العادة وعندها ، وهذا يصدق على التفكير والشعور صدقه على المشي والطعام والرياضة وغيرها . فاذا طلب الى احدهم ان يختار ورقة من ورق اللعب ، فان اختياره يتوقف على ما يرغب وما يكره ، وعلى عادة تفكيره وشعوره ، أيفضل الاسود على الأحمر أو الأحمر على الاسود ، وهل يؤثر الارقام الكبيرة أو الصغيرة . فلاحتمال في اختيار ورقة معينة من ٥٢ ورقة (في ورق اللعب) ليس $\frac{1}{52}$ بل أقل من ذلك كثير لأنه اختيار محصور في ما تعود تفضيله على غيره

وما يؤثر في هذا الصدد ان اختيار (ملكة البستوني) أكثر احتمالاً من غيرها لأن فريقاً كبيراً من الناس تعود تفضيلها ، واذا طلبت الى عدد كبير من الناس ان يختاروا رقماً بين واحد و ١٠ فلاحتمال ان يختاروا الرقم ٧ . اما الاشكال الهندسية فالمفضل بينها هو الشكل المثلث . ويضاف الى هذا ان الذين يتقدمون لتجارب من هذا القبيل يتأثرون عادة بالاحتمال من نتيجة امتحانهم وهل تضمن تلك النتيجة بين طبقة الاسوياء من الناس أو دونها ولذلك فانهم يعدلون أجوبتهم عن غير قصد او وعي تعديلاً يظنونهُ باعثاً على وضعهم في الطبقة التي يريدونها ان تطبق الاسلوب العلمي على البحث في انتقال الافكار مستطاع نظرياً متعذر عملياً وذلك لكثرة العوامل المختلفة الداخلة في التجربة التي لا تخضع لاساليب التجريب العلمي

ونحن نعلم ان القاعدة في العلم التجريبي هي السيطرة على جميع العوامل الداخلة في التجربة ثم تعديل احدها وملاحظة ما يفضي اليه من تغير في النتيجة . ولنفرض اننا نبغي تحسين خليط معين من اخلاط الحديد يحتوي على الحديد والنيكل والزنك والقصدير . فالقاعدة العلمية تقضي منا ان نصنع خليطاً يشتمل على هذه العناصر وان نعرف مقدار كل منها . وان نمتحن خواص هذا الخليط . ثم نحذف القصدير ونحل النحاس محله . وبعد ذلك نمتحن الخليط الجديد . فاذا بدا أنه أشد مقاومة للحرارة أو أقل مقاومة لسير التيار الكهربائي فيه أو غير ذلك عرفنا ان التغير في هذه الخاصة او تلك مردّه الى وضع النحاس موضع القصدير . أما في التجارب النفسية التي يقصد بها امتحان القدرة على الاتصال الذهني عن بعد ، فالتا عاجزون عن السيطرة على جميع العوامل التي تدفع زبداً من الناس الى اختيار شيء معين أو قول معين . فقد يكون ذلك ناشئاً عن عادة ذهنية تعودها أو عن تعرضه للتأثر بحالة طبيعية دون غيرها . واستخراج الاحكام العامة من تجارب لم تخضع جميع عوامها للسيطرة العلمية ، ليس عملاً علمياً صحيحاً وكثيراً ما يقود الى الخطأ . ومن الاساليب المستعملة في التجارب الموصوفة بأنها تجارب علمية في دراسة انتقال الافكار اسلوب الاحتمال الرياضي . ففي أواخر القرن الماضي عمدت جميعة البحوث النفسية الى وضع سؤال وأذاعته بغية معرفة الناس الذين حدثتهم أنفسهم بوقوع شيء أو توقعه كالشعور

ب وفاة صديق قبل وفاته فردَّ على السؤال ١٧ الفأ، منها ١٣٠٠ أجابوا بالايجاب. فسُحِثت اجوبتهم بحثاً دقيقاً لمعرفة عدد الاشخاص الذين توفوا في خلال ١٢ ساعة من تمثل احد هؤلاء لصورهم. فوجد ان ٣٠ من الاشخاص الذين ظهرت صورهم للالف والثلاثمئة توفوا في المدة المعينة. أي إن نسبة الصحة بلغت ١ الى ٤٣. ولكن الاحتمال الرياضي في هذه التجربة المستخرج من جداول شركات التأمين هو نسبة ١ الى ١٩ الفأ. وهذا يعني انه اذا احس كل من ١٩ الفأ بموت احد فالاحتمال وحده أو الاتفاق يقتضي صدق واحد من ١٩ الفأ وهذا احتمال قليل جداً بالقياس الى نتيجة التجربة السابقة وهي ٤٣:١. فالتخذت هذه الحقيقة اساساً للقول بان هناك « انتقال أفكار » لأنه لو كان الاعتماد على الاتفاق فقط لكان احتمال الصدق واحد في ١٩ الفأ بينما واقع الصدق في التجربة ١ في ٤٣

إلا أن هذا النوع من التفكير عرضة لما خذ رياضية كثيرة. فجداول شركات التأمين تشمل جميع طبقات الناس. فاذا شئنا ان نأخذ الاحتمال المستخرج منها اساساً للمقابلة وجب ان لا نطبق هذه النسبة على طبقة بعينها من الناس دون غيرها. وكل ما يثبت من هذه الاحصاءات ان فريقاً من الناس ذا زعة ذهنية خاص يجيب عن أسئلة من هذا القبيل. فاذا نقول في سائر الناس الذين لا يجيبون. وهل يجوز ان نأخذ معدل اصابة هؤلاء على أنه معدل الشعب كله. بل هناك ما هو اهم من هذا. حتى هؤلاء الذين اجابوا وظهر ان نسبة صدق شعورهم بلغت ١ الى ٤٣، ألا تحدثهم أنفسهم مراراً كثيرة بما لم يقع بعد ذلك؟ ونحن عندما نحاول ان نستخرج الاحتمال الرياضي لدراسة ما، يجب ان ندخل في حسابنا جميع العوامل، والا كان الحساب خاطئاً. فنسبة الصدق في شعور هؤلاء لا يمكن ان تؤخذ على انها نسبة صحيحة الا اذا ادخلنا في الحساب شعورهم في الحوادث التي صدقت والتي لم تصدق على السواء. فالنتيجة الرياضية — وهي التي تؤثر في نفس من لا يعرف اسرار حساب الاحتمال الرياضي — خاطئة

ثم أورد الكاتب في شيء من التفصيل تجارب الدكتور كوفر في جامعة ليلاند ستانفورد ووصف ما أحيطت به من الدقة والحيلة ثم أورد قول كوفر نفسه بان تجاربه لم تسفر عن اي أثر لا انتقال فكر موضوعي من ذهن الى آخر. وبعد ذلك وصف الكاتب ما عرف عن تجارب ديوك وقال ان تفصيلاتها لم تنشر بعد ولكن ما نشر منها في مجلة علم النفس الشاذ والاجتماعي يدل على انها من قبيل تجارب كوفر ولكن نطاقها أضيق من نطاق تجاربه وعليها ما خذ علمية خطيرة الشأن. وختم الاساذ مقاله بقوله « ان النتيجة في ما يتعلق بانتقال الافكار واضحة. ففي الوسع ان نؤكد انه لم يقم دليل ما يميز الاعتقاد بان هناك شيئاً يدعى « تلبثي » وليس في ادق التجارب ما يشير الى وجوده »

الأصول العلمية

الحديثة وتطبيقها على الزراعة في مصر

للدكتور حافظ عفيفي باشا

مدير بنك مصر (١)



أصبح تطبيق الأصول العلمية في ميادين الانتاج الاقتصادي اساساً جوهرياً لكل نجاح حقيقي. فأساليب الانتاج الزراعي والانتاج الصناعي يجب ان تكون خاضعة في جملتها وفي تفاصيلها للأصول العلمية الحديثة اذا اردنا ان نحجي من الزراعة والصناعة أعظم الثمرات وتطبيق الأصول العلمية على الانتاج الزراعي مسألة حيوية ولاسيما في بلد كمصر يعتمد على الزراعة كمورده الاساسي. ومن المسلم به ان مصر استطاعت في الثلاثين عاماً الاخيرة ان تخطو في ميدان الانتاج الزراعي من هذه الناحية خطوات طيبة ولكن لا يزال عليها ان تعمل الكثير في هذا الباب لكي تغدو قطعاً زراعياً من الطراز الأول وهو ما تؤهله لها تربتها الجيدة وخصبها الوافر وماؤها الغزير وتقاليدها الزراعية العريقة

فالفلح المصري مع ما يتمتع به من خبرة ومثابرة وجدل لا يزال يتبع نفس الأساليب الزراعية العتيقة التي كان يجري عليها آباؤنا منذ آلاف السنين ولا يزال يستعمل في فلاحة الارض وربها وفي جني المحاصيل وتجهيزها نفس الآلات العتيقة مثل المحراث والساقية والشادوف والنورج والمذراة وغيرها وهي أساليب غدت لا تأتلف مع العصر وطبيعة التقدم ومقتضيات الانتاج الزراعي السليم. ثم عمد سعادة المحاضر الى تلخيص ما تم من وجوه الاصلاح الزراعي في مصر منذ مسهل هذا القرن ف اشار الى انشاء الجمعية الزراعية الملكية سنة ١٨٩٨ وما أسدته من خدمات جليلة الى البلاد ولاسيما ما كان متعلقاً من مباحثها بدود القطن وانتاج البذور وتربية الماشية وتحسين نتاجها والى انشاء مصلحة الزراعة سنة ١٩١٠ ثم تقدمها ونحوها الى وزارة الزراعة سنة ١٩١٣ وما كان لها من أثر في اصلاح زراعة القطن واتقاء البزور الصالحة وتجديد الانواع واستنباطها ودراسة امراض القطن ومكافحة الآفات الزراعية والحشرات. ولم يقتصر على ما تقدم بل أشاد سعادته بنواحي النشاط الزراعي في الثلاثين السنة الاخيرة. ومع ذلك فيجال الاصلاح لا يزال واسعاً في جميع نواحي الانتاج الزراعي والى القارىء أهمها

(١) ملخص محاضرة الرآسة في المؤتمر السنوي الحادي عشر للمجمع المصري للثقافة العلمية

الري والصرف

ان مصر تستطيع فضلاً عما تسعى اليه الآن من تعميم الري والصرف ان تقوم في هذا الباب باصلاحات كثيرة واسعة النطاق

من ذلك العمل على ازالة تعاريج الترع والمصارف فالترع والمصارف التي عملت في الماضي كثيرة التعاريج . ومن الحقائق العلمية المعروفة ان الخط المستقيم هو اقرب مسافة بين نقطتين . والظاهر ان هذه القاعدة البديهية المعروفة لم تطبق تماماً عند انشاء الترع والمصارف القديمة . وهذه التعاريج تستغرق مساحات كبيرة من الاراضي الخصبة وتعوق سير المياه فيها والا سباب التي دعت في الماضي الى عمل هذه التعاريج وأهمها تجنب قسمة الأملاك يجب ألا يقام لها اليوم وزن أمام المصلحة الكبرى التي تقضي بأن تشق الترع والمصارف وفقاً للاصول الهندسية الحديثة وهو ما يترتب عليه توفير مساحات كبيرة من الاراضي تقتضيها التمرجات بلا مسوغ واطلاق المياه بالسرعة اللازمة ولا سيما في المصارف . أما قسمة الأملاك وهو امر لا مفر منه اذا أردنا ان نفقد مشاريع الري والصرف الحديثة فلن نعدم الحكومة الوسائل الاختيارية أو الجبرية لتلافي الاضرار الناشئة عن هذا التقسيم وعمل التسويات اللازمة بين الملاك بطريق البذل وغيره وقد آن الوقت لاصلاح وسائل الري اصلاً ناجماً والعمل على رفع المياه من الترع بالآلات حديثة وتوفير هذا الجهد البشري الكبير الذي ينفق عبثاً في استعمال الآلات العتيقة كالساقية والشادوف والبدالة وغيرها وانقاذ الماشية من ذلك الجهد العنيف الذي تبدله في ادارة الساقية والتابوت فيفقدوها لحماً ولبنها

وهذا الاصلاح يمكن تحقيقه باستعمال آلات الري الميكانيكية الحديثة واستعمالها ميسور في الملكيات الكبيرة وهي تستعمل فيها فعلاً ولكن استعمال ضيق النطاق . أما متوسطو المزارعين وصغارهم فقلما يستعملون هذه الآلات وفي وسعهم الاستفادة من استعمالها عن طريق التوسع في التسليف الزراعي أو عن طريق جمعيات التعاون التي تؤلف منهم لهذا الغرض والتي يجب عليها ان تقوم بشراء آلات الري الكافية للنهوض بحاجة القرية أو القرى المجاورة اذا أمكن، وتقرر لري الفدان اجوراً تفي بنفقات الادارة والاستهلاك

فاذا تعذر تحقيق هذه الغاية عن طريق الجمعيات التعاونية فلتعمل الحكومة على تعميم هذا النظام الذي بدأته في بعض المناطق فأسفر عن نتائج حسنة ومن السهل عليها ان تحصل ما تنفقه في هذا السبيل من الاجور التي تقررها للري ويمكن تحصيلها الى جانب الضرائب الحكومية دون ان يكلفها ذلك نفقة اضافية او جهداً جديداً وما يقال في الري وآلاته يقال ايضاً في باقي العمليات الزراعية من حرث وفلاحة وتقصيب

ودرس وتذرية وغيرها فان الآلات العتيقة التي لا تزال نستعملها من المحراث والقضبان والنورج والمذراة وغيرها تستنفد من الزراع والماشية جهوداً شاقة لا تنفق ونتائجها الضئيلة
ولسنا ندرى في الواقع لماذا لا يستعمل الزارع المصري في جميع هذه العمليات ما أنتجه العلم الحديث من آلات متعددة سهلة الاستعمال قليلة الكلفة تنقذه من تلك الجهود الشاقة التي تحطمه وتحطم ماشيته دون مسوغ

قد يقال وما فائدة الماشية للزراع بعد ذلك؟ وجوابي على هذا ان الزارع يستطيع ان يستغل ماشيته أحسن استغلال فانها متى استراحت زاد لبنها وتحسن نسلها ونوع لحمها وهو سيجني من تربيتها عندئذ اضعاف ما يجنيه بارهاقها في الاعمال الشاقة التي تسخر فيها الآن. ودليلنا على ذلك ان البقر لا يستعمل في اوربا في فلاحه الارض. ومع ذلك فان تربية البقر تأتي في كثير من البلاد بارباح وفيرة بل هي تعتبر ثروة أساسية في بعض البلاد الزراعية مثل هولندا والدنمارك. هذا فضلاً عما للسهاد الطبيعي من شأنه وضرورة العمل على اكثاره في المستقبل. وهذا يستدعي بالطبع الاكثار من تربية الماشية وتحسين انواعها طبقاً للاصول العلمية الحديثة وهو ما يهتم به وزير الزراعة الحالي اكبر اهتمام. واخيراً فان الفلاح سيحتاج على كل حال الى استعمال هذه الماشية في اعمال كثيرة اخرى غير تشغيلها في النورج والساقية

اختيار بذور الزرع

ومن جهة اخرى فانه لا يزال امام وزارة الزراعة مجال واسع للاصلاح والعمل. فقد قامت هذه الوزارة والجمعية الزراعية كما قدمنا بكثير من البحوث النفيسة في ما يخص بذور القطن واختيارها وتجديدها وحماية شجيراتهم من الآفات والحشرات واستنبطت انواعاً كثيرة من القطن الجيد، والزام الزراع في ما يتعلق بزراعة القطن واختيار بذوره بكثير من الواجبات التي يقتضيها الاتاج الجيد ولكن هذه العناية التي بذلت لترقية زراعة القطن ترجع قبل كل شيء الى ضغط المشتري الاجانب

والدليل على ذلك ان الابحاث المشابهة التي قامت بها وزارة الزراعة في ما يخص الحبوب واصنافها واختيار بذورها لم تترتب عليها الى اليوم نتائج عملية تذكر لان الزارع لا يزال في زراعة الحبوب حراً من كل قيد. ولا يزال يزرع الاصناف القديمة ويستعمل البذور الرديئة المتعددة فهو يزرع من القمح ومن الذرة عشرات الاصناف بل كثيراً ما يزرع الفلاح الواحد في حقلة الصغير الذي لا يزيد عن الفدان او الفدانين من القمح او الذرة مزيجاً من الاصناف المختلفة بحيث يتعذر ان نعين مثل هذا المحصول صنفاً او رتبة

ولكن العلم الحديث يجعل من اختيار البذور الصالحة اهم اساس للاتاج الزراعي ومن

الواجب ان تتجه البحوث دائماً الى اختيار افضل انواع البذور التي تغل اوفر غلة وتستطيع في الوقت نفسه ان تقاوم شجيراتنا أحوال الاقليم وجميع الآفات التي تصيبها . واذا كانت وزارة الزراعة قد عنيت ايضاً بالبحوث الخاصة بالحبوب واختيار بذورها فانه يجب ايضاً ان يتخذ ما يجب لالزام الزراع باختيار البذور الصالحة وفي الوسع الوصول الى هذه النتيجة اما بان تحتكر وزارة الزراعة بيع النقاوي المختلفة واما بان تعين في كل مركز عدداً من التجار وتزويدهم بالمقادير اللازمة من أنواع النقاوي المختارة وان تراقبهم مراقبة فعالة وان تحدد لهم اثمان هذه النقاوي بصورة تحول دون رفعها إضراراً بمصالح الزراع وان يسمح لصغار الزراع في نفس الوقت ان يستبدلوا بمحاصيلهم المقادير اللازمة لهم من هذه النقاوي مع دفع الفرق في الثمن

وعندي انه يجدر بالحكومة ان تساعد صغار الزراع على استعمال البذور الحيدة الصالحة ولو مدةً من الزمن وذلك بان تتحمل الخزانة العامة فرق الثمن بين البذور التي يستعملونها الآن وبين البذور الصالحة . وما تنفقه الحكومة في هذا السبيل يعتبر ضئيلاً بالقياس الى ما تجنيه البلاد والاقتصاد القومي من الفوائد الجليلة ، وما لم يحقق هذا الالتزام في اختيار البذور لشئى أنواع المحاصيل من الحبوب والخضروات والبقول والفاكهة — فان الزراع سيقتضي على اختيار البذور الرديئة ونتاج المحاصيل السيئة سواء من حيث المقدار أو النوع

وانه يكفي ان نقارن بين حالة مصر وهي من أخصب بلاد العالم وأغناها من حيث التربة والاقليم وبين حالة بلاد زراعية صغيرة — مثل دانمارك وهولندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقيا — لا تتمتع بكثير مما تتمتع به مصر من المزايا الطبيعية، لئرى الفرق الشاسع بين ما تجنيه هذه الامم الصغيرة التي تطبق في انتاجها أحدث الأساليب العلمية من ثروات طائلة من زراعتها ومنتجاتها الزراعية وبين ما يخسره مصر بسبب تخلفها في هذا الميدان

زراعة الفاكهة وتنظيم التصدير

سبق ان أشرنا الى المساعي التي بذلت للتوسع في زراعة الفواكه ورتقيها . ونزيد هنا ان هذه المساعي مع ما ترتب عليها من نتائج مشكورة لا تزال دون ما نبغي ودون ما يمكن عمله في هذا الباب

ان زراعة الفاكهة يجب ان يراعى فيها الى جانب حاجة الاستهلاك المحلي حاجة الاسواق الخارجية سواء من حيث الصنف أو المقدار . وفي اعتقادي ان مصر تستطيع ان تجني من إصدار الفاكهة الى الخارج ارباحاً طيبة اذا استطاعت ان تنظم زراعتها وإصدارها تنظيمًا حسنًا ولمصر في ذلك مزايا ظاهرة يمكن اجمالها فيما يلي : —

أولاً — موقعها الجغرافي . فهي تستطيع لقرها من اوربا ان تنافس كثيراً من البلاد البعيدة التي تصدر الفواكه الى اوربا مثل جنوب افريقية واميركا وجزائر الهند الغربية

ثانياً — ان لمصر مزية موسمية فالفواكه تنضج فيها في مواسم معينة قبل ان تنضج في بلاد اوربا الجنوبية مثل اسبانيا وايطاليا واليونان — وهي التي تنافس مصر في تموين اوربا بالفواكه في فترة من الزمن

ثالثاً — ان التربة المصرية أصلح من غيرها لزراعة بعض اصناف الفواكه كالموالح وهي تنتج منها انواعاً أجود كثيراً من الانواع المماثلة لها التي تنتجها اوربا الجنوبية فالبرتقال المصري مثلاً أجود كثيراً من البرتقال الايطالي والاسباني

فهذه المزايا كفيلة بأن تفتح للفواكه المصرية في الخارج أسواقاً عظيمة ولكننا من الأسف لم نوفق حتى اليوم الى تنظيم الاصدار تنظيماً علمياً . ونريد ان نفهم عملية الاصدار هنا بأوسع معانيها . فهذا التنظيم يقتضي أولاً أن نبدأ بالعمل على زراعة الاصناف المحقق رواجها وان نزرع منها بالقدر المناسب من الناحية التجارية وان نبذل كل ما يمكن بذله لاجادة انتاجها . كما أنه يقتضي تنظيم كل ما يتعلق بالاصدار منذ تسلم المحاصيل من الحقل الى ان تصل الى ايدي المستوردين في اوربا . ويشمل ذلك جني المحصول وفرزه وتعبئته وفقاً للاساليب الحديثة ثم شحنه في بواخر تعد لذلك على القواعد الحديثة وتوزيعه في الاسواق الخارجية تبعاً لاحتياجاتها . فهذه المسائل جميعاً لا تزال بحاجة الى الدرس والتنظيم والتنسيق وفي الوسع أن نعمل كثيراً لتحسينها وترقيتها . وأما من كثير من البلاد التي سبقتنا في هذا الميدان مثل الولايات المتحدة وجنوب افريقيا واستراليا وزيلندا الجديدة وغيرها من البلاد التي تنتج الفواكه وتصدرها . ومن الممكن ان نقبس كثيراً من نظم هذه البلاد في انتاج الفواكه وتصريفها . وقد شرحت بعض هذه النظم في كتابي «على هامش السياسة» فثلاً يمكن تنظيم الاصدار على أساس تعاواني وأن تنشأ لذلك الغرض جمعيات تعاونية في مختلف مناطق زراعة الفواكه على ما هو متبع في البلاد التي ذكرناها . فاذا لم تتجسج هذه الطريقة واعتقادي انها لن تتجسج الى سنوات عديدة مقبلة فمن الضروري عندئذ ان تتولى الحكومة هذا الامر بنفسها

وما يقال في تنظيم انتاج الفواكه وإصدارها يقال كذلك في الخضروات . وفي وسع مصر ان تحيي فوائد محققة من اصدار بعض الخضراوات والبقول الموسمية الرائجة في الاسواق الاوربية . وهذه الحركة التي لا تزال في بدايتها يمكن ان تتسع وتنمو نمواً عظيماً اذا احسن تنظيمها . كذلك تستطيع مصر للاسباب المتقدمة ان يكون لها شأن يذكر في تجارة الازهار ولا سيما في تجارة الورد في فصل الشتاء حينما يصل ثمن الورد الواحدة الى شلنين أو ثلاثة في انكلترا

مسألة النقل البحري

واذا كانت الحكومة قد اهتمت في الاعوام الاخيرة بمسألة تنظيم تعبئة الفاكهة وشحنها فانه لا يزال عليها ان تعالج موضوعاً خطيراً هو حلقة مهمة في عملية الاصدار وهو موضوع النقل البحري واعداد البواخر اللازمة لنقل الفاكهة والخضروات والازهار

فقد اهتمت جميع البلاد التي تصدر هذه الاصناف باعداد بواخر خاصة مهيئة بجميع الوسائل اللازمة لنقل هذه الاصناف دون اضرارها بالحرارة او البرودة في اثناء السفر ولقد شاهدت سلسلة من الابحاث العلمية تجري في المعهد العالمي الامبراطوري بانكلترا المصلحة استراليا وجنوب افريقيا وزيلنده الجديدة لتقدير درجة الحرارة او البرودة اللازمة لكل صنف من اصناف الفاكهة والخضروات والازهار . ذلك انه لوحظ بالتجربة ان درجة الحرارة الواجب توافرها في عتابر الفاكهة في البواخر تختلف باختلاف انواعها فدرجة الحرارة او البرودة اللازمة لحفظ الموز تختلف تماماً عن درجاتها لحفظ البرتقال . والدرجة اللازمة لحفظ البرتقال تختلف عن الدرجة اللازمة لحفظ التفاح وهلم جرا . وقد سجلت هذه التجارب التي تعمل في داخل باخرة بنيت فوق الارض درجات الحرارة اللازمة لحفظ مختلف اصناف الفواكه والخضروات والازهار . ولوحظت نتائجها عند تجهيز البواخر المعدة لنقل هذه الاصناف وكان من نتائجها ان اصبح من الممكن ان يصل الى انكلترا تفاح نيوزيلنده وبرتقال جنوب افريقيا بعد سياحة تستغرق شهراً أو ستة أسابيع وهي في حالة جيدة وتبقى كذلك المدة اللازمة لتصريفها واستهلاكها وقد آن لنا ان نعني بمثل هذه الابحاث الهامة . وان نسترشدها في تنظيم تصدير محاصيلنا كما آن لنا ان نعني بمسألة نقل المحاصيل بجميع انواعها بالوسائل الحديثة التي تجمع بين السرعة والمحافظة على سلامة الاصناف المنقولة مع اعتدال الاجور

وعلى هذا النحو الحكيم من وصف العيب واقترح الاصلاح طالع المحاضر موضوع توزيع المحاصيل في الخارج والداخل ومشكلة النقل الداخلي وطرقه من طرق زراعية وسكك حديدية وملاحة نهريّة ومما قاله في موضوع الصوامع وتخزين الحبوب : —

اذكر ما قرأته مرة لأحد الباحثين وهو ان مصر تخسر من تخزين الحبوب بهذه الطريقة ما لا يقل عن ١٢ في المائة من وزن هذه المحاصيل . وقرأت أيضاً في ورقة رسمية من أوراق وزارة التجارة اننا نخسر من طريقة تخزين الحبوب الحالية ما لا يقل عن مليون ونصف من الجنيهات . ولست أعرف طريقة البحث التي اتخذت أساساً لهذا التقدير وهل روعي فيه الى

جانب الخسارة في الوزن مقدار الخسارة في انحطاط النوع . وأقصد بذلك ان القمح الذي أصيب بالتسويس مثلاً يخف وزنه ولكن هناك خسارة نوعية أخرى وهي ان مثل هذا القمح ينقص ثمنه لانحطاط نوعه وقلة الطلب عليه . اذ لا ريب ان عدد الراغبين في أكل الخبز المصنوع من الدقيق المزوج بالسوس قليل

واني لأرجو ان تقوم المصالح المختصة ببعض التجارب الدقيقة في هذا الباب لتقدير خسارة مصر الحقيقية من تخزين حبوبها بهذه الطريقة تقديرًا علميًا يراعى فيه بكل دقة ولمدة طويلة من السنة ما يوجد من الفوارق بين هذه الحبوب وبين الحبوب المماثلة التي تحفظ في صوامع صغيرة تنشأ لمثل هذه التجارب

أجل هناك عقبات كثيرة هي التي حالت حتى اليوم دون انشاء هذه الصوامع وهذه العقبات نوطان . فالعقبة الاولى والاساسية هي التي سبق ان أشرنا اليها وهي ناشئة عن كثرة بذور الحبوب المنزرعة وعدم تحديد انواعها تحديداً دقيقاً والاكتفاء منها بانواع قليلة جيدة . فليس من المعقول ان تنشأ الصوامع ثم تملأ باصناف مختلفة من القمح فيكون ذلك سبباً في نزول اثمان الاصناف الجيدة منها الى مرتبة الاصناف الرديئة كما انه ليس من المعقول ان تنشأ صوامع لكل نوع من انواع الحبوب التي تزرع في مصر الآن . واذاً فلا بد ان نقوم اولاً بتنظيم اختيار البذور حسبما اشرنا ولن نستطيع انشاء الصوامع قبل ذلك واذا انشئت فلن نستفيد منها على النحو المرغوب فيه

والعقبة الثانية وهي ليست صعبة الحل هي مسألة من يقوم بانشاء هذه الصوامع ومن أين تأتي بالاموال اللازمة لانشاءها . وعندي انه ليس من عمل الحكومة ان تقوم هي بانشاءها أو ادارتها بل يجب ان تستعمل الحكومة في الوقت المناسب نفوذها لاقتناع البنوك وكبار التجار بأن يقوموا بهذا العمل فرادى أو جماعات

ولا بأس من ان تبدأ بذلك بعض المصالح الحكومية التي تتولى عملاً زراعياً كمصلحة الاملاك الاميرية مثلاً أو يبدأ به بنك التسليف الزراعي . ولست اشك في أن التجربة الاولى متى نجحت فانها سوف تنتهي بعد قليل الى أن تكون نموذجاً ينسج على منواله في كل مكان وفي اقرب الاوقات

وختم بقوله « لقد حاولت ان اختصر هذا البحث المتشعب الاطراف في أضيق الحدود كما حاولت ان أشرح في كلمات قليلة النقط الاساسية في موضوع خطير فأرجو ان اكون وفقت فيما قصدت »

السيرة

في الفن الاسلامي

للدكتور زكي محمد حسن

مدرس الآثار الاسلامية في جامعة فؤاد الاول

صحَّ عند بعض الباحثين من المحدثين ان ما ورد في الاحكام الاسلامية خاصاً بالنحت والتصوير لا يفيد التحريم القاطع، وقد ذهبوا في تأويل ما ورد من الأحاديث وتحقيقة مذاهب شتى تعطي ان تحريم الاشتغال بهذا الفن لم يكن إلا تمثيلاً للرأي السائد بين الفقهاء في بداية القرن الثالث الهجري

والرأي عندنا ان النبي عليه السلام، والخلفاء الراشدين من بعده، ثم المتمسكين بالدين من بني أمية نهوا عن التصوير ليحموا المسلمين من الأصنام والتماثيل والصور التي قد تقود البسطاء الى نسيان الخالق او اتخاذها وساطة له، او عبادتها لذاتها، فضلاً عن ان رجال الدين كانوا يعتبرون عمل الصور او التماثيل محاولة متطاولة في تقليد الخالق عز وجل وقد كانت كراهية التصوير عامة بين رجال الدين من سنيين وشيعية، وليس صحيحاً ما يزعمه البعض من ان المذهب الشيعي لا يعترف بهذا التحريم. فالواقع ان في كتب الحديث الشيعية أحاديث تحريم التصوير، وان حكم رجال الدين من الشيعة هو عينه حكم أهل السنة في كراهية الصور والتماثيل

على ان تحريم التصوير في الاسلام لم يقض على هذا الفن قضاء تاماً. ونظرة الى تاريخ الفنون الاسلامية تقنعنا بأن بعض القوم في كثير من الاحيان لم يكثر لهذا التحريم، وان هذا التهاون كان يحدث في شتى أقاليم الامبراطورية الاسلامية. فازدهر فن التصوير في بعضها، ولاسيما في الاقاليم التي كانت لها تقاليد فنية عظيمة في النحت والتصوير، كإيران، وفي البلاد التي تأثرت بإيران في هذا الصدد، وخضعت في بعض حقبات التاريخ لتفوذها الثقافي، كاهلند وتركيا، ومصر في عصر الدولة الفاطمية

ولكن الذي لا شك فيه ان الاسلام — كشرعية موسى — لم يتخذ الفن عنصراً من عناصر الحياة الدينية، ولم يشمل برعايته، فان تحريم الصور الأدمية، إن لم يكن لوحظ واتبع

في كل العصور والاقطار الاسلامية ، فقد حال دون استخدام التصوير في المصاحف وفي العائير الدينية كالمساجد والأضرحة — اللهم إلا في حالات نادرة جداً — فأصبحت المساجد والكتب خالية من صور يستعان بها على شرح العقيدة وتقريبها الى المؤمنين ، او على توضيح تاريخ العقائد الدينية وسيرة أبطال الملة ، كما في المسيحية والبوذية والمناوية

أجل ، إن بعض المسلمين من ذوي الافكار الحرة والتسامح الديني كانوا يرون — منذ العصور الوسطى — ان تحريم التصوير في فجر الاسلام كان يقصد به محاربة عبادة الاوثان التي كان المسلمون لا يزالون حديثي العهد بتركها ، وأما بعد ان توطدت دعائم الاسلام وتغيرت حال المسلمين الاجتماعية فليس في التصوير ما يخالف تعاليم الدين الحنيف وأصوله . وصحيح أن الإيرانيين كانوا أكثر الشعوب الاسلامية مخالفة لتعاليم الاسلام في النهي عن التصوير ، ولكن رجال الدين في ايران كانوا يكرهون التصوير والمصورين ، شأنهم في ذلك شأن رجال الدين في سائر انحاء العالم الاسلامي . وهكذا نرى ان الاسلام لم يكن فيه فن ديني قط ، اللهم إلا اذا حسبنا عمارة المساجد والأضرحة وكتابة المصاحف بالخط الجميل

ولكن بعض المصورين الإيرانيين عرضوا — فيما رسموه من الموضوعات — الى بعض الحوادث ذات الصبغة الدينية فصوروا الرسل والأنبياء ، صوروا محمداً صلى الله عليه وسلم وأتوا برسم خيالي له في صور توضح بعض حوادث السيرة النبوية ، على نحو الصور التي رسمها المصورون الغربيون في العصور الوسطى لتوضح بعض الحوادث في سيرة السيد المسيح عليه السلام أو اتباعه من الرسل والقديسين

وطبيعي ان الصور ذات الموضوعات الدينية نادرة جداً لأنه اذا كان محرماً رسم الكائنات الحية بوجه عام ، فكيف يكون محرماً وعمقوتاً ان يصور خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم وأكبر الظن ان الفنانين لم يحاولوا في فجر الاسلام ، ان يصوروا اي حادث من السيرة النبوية ، فان اقدم الصور التي نعرفها في هذا الميدان ليس بينها ما يرجع الى ما قبل القرن الثامن الهجري ، (الرابع عشر الميلادي)

ولكننا نعرف حديث صورة للنبي عليه الصلاة والسلام رآها سائح عربي في الصين إبّان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وأشار اليها المسعودي في « مروج الذهب » ، في الفصل الذي عقده للحديث عن ملوك الصين . قال بعد الكلام عن رجل قرشي من ولد هبار بن الأسود انتهى به المطاف الى بلاد الصين فاستدعاه ملكها عند ما علم بقرابته من نبي العرب صلى الله عليه وسلم : « ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك إن رأيتني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال القرشي : وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل ، فقال لم أرد هذا وإنما أردت صورته

فقلت أجل فأمر بسفط فأخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجاً وقال للترجمان أره صاحبه فرأيت في الدرج صور الأنبياء فخركت شفتي بالصلاة عليهم نوح عليه السلام في سفينة وموسى عليه السلام وبنو اسرائيل وعيسى بن مريم عليه السلام ، على حماره والحواريون معه ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل وأصحابه محققون به في أرجلهم نعال عربية من جلود الابل وفي اوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك» وليس بعيد الاحتمال ان تكون هذه الصور قد وجدت حقاً وقد يكون صانعوها من اهل الصين انفسهم ، والمعروف ان علاقتهم التجارية ببلاد العرب ترجع الى العصور القديمة كما يحتمل ان تكون من صناعة النساطرة الذين تزحوا من الشرق الادنى واستقروا في الصين منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي)

على ان اقدم الصور التي وصلتنا لبعض حوادث السيرة النبوية موجود في مخطوط من كتاب « جامع التواريخ » للوزير رشيد الدين ، جزء منه محفوظ في الجمعية الآسيوية بلندن والجزء الآخر في مكتبة جامعة ادنبره باسكتلندة . وهذا المخطوط مؤرخ بين عامي ٧٠٧ و ٧١٤ بعد الهجرة (١٣٠٧ — ١٣١٤) وفي صورهِ موضوعات من السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي ، والانجيل وتاريخ الهند والديانة البوذية ولاعجب فقد كان هذا الكتاب يشتمل على التاريخ العام الذي كان معروفاً في ذلك الحين

ولا تزال في المخطوط المذكور ، صور خيالية ، تمثل احداها مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليها العبارة الآتية باللغة الفارسية : « ولادت هايون پادشاه كائنات عليه السلام » (انظر شكل ١) وتمثله الصورة الثانية في الشام حين رآه الراهب بحيرا ، وتنبأ له صلى الله عليه وسلم بالشأن العظيم (شكل ٢) . أما الصورة الثالثة ففيها رسمه عليه السلام يحمل الحجر الاسود ليضعه في مكانه من الكعبة ، بعد ان حمله زعماء مكة على نسيج يمسك كل منهما بطرف منه (شكل ٣) . وفي الصورة الرابعة رسمه صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي من سيدنا جبريل في غار حراء (شكل ٤) . أما الخامسة فتمثله مع ابي بكر الصديق في الغار ، وبجوارهما سيدة تحلب شاة ، وذلك أثناء الهجرة النبوية الى يثرب (شكل ٥) . أما الصورة السادسة فتمثل حادث المعراج

والواقع ان قصة المعراج كانت أحب قصص السيرة النبوية الى الايرانيين فرسموها في عدد كبير من الصور والمخطوطات ، ولكننا لا نعرف صورة لهذه القصة أصاب فيها الفنان حظاً من التوفيق والسمو أوفر من صورة المعراج في مخطوط من المنظومات « الخمس » للشاعر نظامي كتب في تبريز بين عامي ٩٤٦ و ٩٩٤ هـ (١٥٣٩ — ١٥٤٣) للشاه طهماسب بيد الخطاط المشهور شاه محمود النيسابوري ، ويفخر اليوم بمخازنه المتحف البريطاني . فان الناظر يؤخذ لأول وهلة بأبداع

ألوان هذه الصورة وجلال مظهرها (شكل ٦). ويرى فيها السماء بسحبها البيض، والنبي عليه السلام راكباً فرسه «البراق» ذات الوجه الآدمي. وفي يمين الصورة بالجزء السفلى ترى الأرض التي تركها النبي وحولها غلاف ابيض كروي وأمام النبي سيدنا جبريل يقود الزكب في السموات وبين الرسول وسيدنا جبريل ملك مجنح يحمل مبخرة معلقة في عصا ويخرج منها لهب ذهبي. وعلى يسار النبي صلى الله عليه وسلم ملك آخر يحمل صحناً فيه بخور يحترق، وفي الصورة ملائكة آخرون يحمل بعضهم أطباقاً من الجواهر والفواكه وفي يد أحدهم تاج مئین

وصفوة القول أن في هذه الصورة خيالاً واسعاً وحركة وحياة تجعلها من أبدع آيات التصوير الإيراني كما أننا نلاحظ في رسم النبي عليه السلام ما اتبعه الفنانون الإيرانيون في معظم الأحيان من إخفاء ملامح الرسل، وذلك على عكس رسمه في الصورة المحفوظة في كتاب جامع التواريخ، فإن المصور لم يتبع فيها هذه القاعدة، وإنما ابتدع رسماً خيالياً للنبي عليه السلام ملؤه الجلال والوقار، ولم يحط بهالة من النور، كما كان الفنانون يفعلون في معظم الأحيان حين يرسمون الرسل والأنبياء

وتمت مخطوط آخر فيه بعض صور من السيرة النبوية وهو نسخة من كتاب «الآثار الباقية» للبيروني محفوظة في مكتبة جامعة أدنبره ومؤرخة من سنة ٧٥٧ هـ (١٣٠٧) — (١٣٠٨). وفي إحدى هذه الصور ترى رسم النبي صلى الله عليه وسلم، وحول رأسه هالة من النور، وقد امتطى جملاً وبجواره السيد المسيح عليه السلام، ممتطياً حمراً

كما ترى في مخطوط ثالث من كتاب «روضة الصفا» لميرخواند صورة النبي في الكعبة عام الفتح يحطم الاصنام وقد رسمه المصور يحمل سيدنا علياً فوق كتفيه ليصل إلى الاصنام العالية فيتناولها ويلقي بها على الأرض، كما ترى في المخطوط نفسه رسماً يوضح حادث غدير خم بعد حجة الوداع، وهو الذي يذهب الشيعة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى عنده بالخلافة للإمام علي كرم الله وجهه. ونلاحظ في هذه الصورة أن الفنان رسم حول رأس الإمام علي هالة من النور، مما يدل على أنه كان قنانياً شيعياً المذهب

وتمت مخطوطات أخرى فيها صور بعض الحوادث من السيرة النبوية، حسبنا أن نشير إلى وجودها، وإن نستنبط منها ومن غيرها أن الفنانين الإيرانيين وتلاميذهم عمدوا في بعض الأحيان إلى السيرة، فرسموا بعض حوادثها، لتوضيحها وتحلية المخطوطات التي كانت تسردها على نحو ما وضعوا بالصورة قصص الرسل الآخرين. وإذا استثنينا حادث غدير خم، وهو الذي يعتقده الشيعة، فإن سائر ما صورته الفنانون من السيرة يشمل بعض الأحداث العظيمة الشأن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

السيادة المصرية

وموقف مصر كعضو في أسرة الدول

بحث لمحمود كامل المحامي

عني أسانذة القانون الدولي العام منذ عهد بعيد ، بحصر حقوق الدول وواجباتها، وتقسيمها إلى حقوق أصلية وحقوق فرعية . وقد انعقدت لهذا الغرض عدة مؤتمرات اميركية وأوربية ، أصدرت قرارات حاولت فيها تعريف تلك الحقوق وحصرها ، وأهم هذه القرارات التصريح الذي أصدره « مجمع القانون الدولي » الاميركي ، في اول اجتماع له في واشنطن في ٦ يناير سنة ١٩١٦ ، وهو الذي نص فيه على ان « لكل شعب حق البقاء ، وحق الحماية ، وحق صيانة كيانه » (١) ، والتصريح الذي أصدره « اتحاد القانون الدولي » في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٦ ، وهو الذي نص فيه على ان « الدولة لها حق الصيانة ، وحق استمرار البقاء » (٢) . والتصريح الذي أصدره « مجمع القانون الدولي » في اكتوبر ١٩٢١ ، بناء على مشروع وضعه العلامة الفرنسي « ده لابراديل » De Lapradelle ، وهو الذي تنص المادة الاولى منه على ان « كل شعب انتخب لنفسه على الارض التي يشغلها حكومة قادرة في الداخل على ان تحتفظ بالأمن وفي الخارج على ان تتعاون على انماء العلاقات المطردة التقدم المبينة على المنفعة الدولية العامة والعدالة والسلم ، له حق الاعتراف به دوليًا كدولة » (٣)

(١) المادة الاولى « Toute nation a le droit d'exister, de proteger et de conserver son existence » فوشي صفحة (٤٠١) طبعة سنة ١٩٢٢

(٢) المادة الاولى « L'État a le droit de conserver et de perpetuer son existence »

(٣) « Tout peuple qui s'est donné sur le territoire qu'il occupe un gouvernement capable, à l'interieur, de maintenir l'ordre, à l'exterieur de coopérer à l'organisation de plus en plus developpée des relations fondées sur l'utilité commune, la justice et la paix, a le droit à la reconnaissance internationale de sa nation comme Etat, »

ومن هذا النص الذي وضعه العلامة « ده لا براديل » يتضح ان عنصر مقدرة الدولة على حفظ الامن فيها ، اي عنصر حمايتها من الاخطار الداخلية ، ضروري لتكوين الدولة ، فهو يعتبره اكثر من حق ، لانه شرط رئيسي لامكان الاعتراف بشعب ما كدولة وقد عرف فوشي حق الصيانة بقوله « ان الدولة لها دون شك الحق في ان تتخذ جميع الاجراءات التي تضمن بقاءها ضد الاخطار التي تهددها » (١)

وذكر العلامة اوبنهايم ان « حق الصيانة عامل على جانب عظيم من خطر الشأن في وضع الأمم بين اعضاء الأسرة الدولية . ومعظم الكتاب يصرون على ان لكل دولة حقاً جوهرياً في صيانة نفسها » (٢)

ولن أستطيع هنا ان أشير حتى ولا الى القليل من الآراء التي تجمع على ان لكل دولة مستقلة حق البقاء والصيانة ، فهو حق بديهي لا يمكن لدولة ان تدعي أنها عضو في الأسرة الدولية ، مساوٍ لباقي الاعضاء ، اذا لم تكن متمتعاً به

فهل كانت مصر متمتعاً بهذا الحق قبل معاهدة « الزعفران » التي وقعت في اغسطس ١٩٣٦ ؟ إن لهذا الحق في شروح القانون الدولي العام كما رأينا من تعريف « ده لا براديل » مظهرين : احدها مظهر داخلي ، وآخر خارجي . أما المظهر الداخلي ، فهو حق الدولة في تنظيم المهاجرة منها واليها ، وابعاد الاجانب (٣) الذين ترى في بقائهم على أرضها خطراً على أمنها ، اي خطراً على حقها في صيانة نفسها . لان ابعاد المصريين غير جائز بمقتضى الدستور المصري ، كما انه غير جائز عند غيرنا من الدول

فهل لمصر حق ابعاد الاجانب الذين ترى السلطات المشرفة على الامن العام ، أنهم يهددون أمنها وطمانيتها ؟

إن الامتيازات التي كان يتمتع بها رعايا الدول الممتازة الاربع عشر ، كانت تسلب مصر هذا الحق البديهي الجوهري . . . وهو حق الصيانة . فلم يكن للحكومة المصرية حق ابعاد اجنبي ممتاز ، الا بموافقة القنصل الذي يمثل الدولة التي ينتمي اليها الشخص المراد ابعاده . ولم

(١) "Un état a incontestablement le droit de prendre toutes les mesures destinées à garantir son existence contre les dangers qui le menacent" — فوشي صفحة (٤١٠) طبعة سنة ١٩٢٢

(٢) "Self preservation is a factor of great importance for the position of the states within the Family of nations and most writers maintain that every state has a fundamental right of self—preservation"

— صفحة ٤١٤ من كتابه طبعة سنة ١٩٢٠ (٣) Expulsion

يكن ميسوراً أن تتوصل الحكومة المصرية الى الحصول على تلك الموافقة التي تعتبر—وحدها—هدماً لذلك الحق الاول من حقوق الدولة ، وبالتالي اهداراً لشخصية مصر الدولية وتطور نظام ابعاد الاجانب بعد ذلك ، فتمكنت الحكومة المصرية من ان تبتدع نظاماً شاذاً ، عام ١٨٦٦ ، اذا اتفقت مع قناصل الدول الممتازة ، على انه اذا اختلفت الحكومة مع قنصل الشخص المراد ابعاده ، فان الخلاف يعرض على لجنة مؤلفة من تسعة قناصل ، يتفق على انتخابها بين القنصل والحكومة المصرية ، وهذه اللجنة تفصل في الامر . فاذا قررت الابعاد ، فيجب ان يتم اخراج الأجنبي المراد ابعاده بمعرفة قنصله

ولا شك في ان هذا النظام الذي ظل سارياً حتى تاريخ توقيع معاهدة «الزعفران» ، كان ينشئ حكومة اخرى داخل الحكومة المصرية . . كما ان نفس الاجراءات التي كانت تتبع في التمهيد لابعاد الاجانب الممتازين ، تدل دلالة واضحة على ان مصر لم تكن تتمتع بذلك الحق البديهي ، وهو حق صيانة نفسها كدولة مستقلة . وذلك يبدو من الاطلاع على المنشور الذي أرسله وكيل وزارة الداخلية في شعبان ١٣٤٤ ، الى الجهات الادارية المختلفة ، بشأن ابعاد الاجانب الممتازين . اذ ينص هذا المنشور على تكليف القلم الجنائي في ادارة الأمن العام ، إرسال جميع التقارير التي ترد من المديرات والمحافظات بطلب ابعاد الاجانب ، الى ادارة الأمن العام الأوربية لأخذ رأيها . فاذا ما أعطت هذه الادارة الاخيرة رأيها ، بلغ الأمر للمديرية او المحافظة ، مع تنفيذ ما تشير به عند الاحتياج الى تدخل قنصلي . وذلك بأن تقدم الجهة طالبة الابعاد ، الطلب القانوني الى القنصل المختص . . .

وقد نص في هذا المنشور ، على ان « تقدم المحافظة او المديرية جميع المساعدات القانونية للسلطات القنصلية لتنفيذ ما تصدره القنصليات من القرارات » (١)

وبذلك أصبح موقف الحكومة المصرية بمديرها ومحافظيها وضباطها وجنودها ، مستخربين لتنفيذ أوامر قناصل الدول الاجنبية ، على الوجه الذي يترأى لهؤلاء القناصل . مع ان الامر يختص بصميم حق تلك الحكومة البديهي ، في صيانة كيائها من عبث المجرمين الاجانب ، قتلة او لصوفاً ، او متشردين ، او شيوعيين ، او ثواراً على نظام حكمها ؟ . . . ولكن معاهدة الزعفران ، قررت صراحة ما يلي :

« تلغي المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات والوثائق القائمة ، التي يكون استمرار بقائها مفاقماً لأحكام هذه المعاهدة » (٢) . كما قرر رئيس الوفد المصري الرسمي في المذكرة المصرية الثالثة ، التي أرسلت في شكل خطاب الى السفير البريطاني ، ما يأتي :

(١) المادة السادسة من المنشور (٢) المادة الرابعة عشرة من المعاهدة

«بالإشارة الى المادة الرابعة عشر من المعاهدة التي وقعناها اليوم ، اشرف بابلانكم ان الحكومة المصرية تنوي الغاء ادارة الأمن العام الاوربية فوراً . ولكنها ستستبقي لمدة خمس سنوات من تقاذ المعاهدة ، عنصراً اوربياً معيناً في بوليس المدن »

أي ان ادارة الأمن العام الأوربية ، التي كانت شوكة في حلق السيادة المصرية ، بكل اختصاصاتها — ومن بينها اتخاذ اجراءات ابعاد الاجانب — قد زالت تماماً . وردت تلك الاختصاصات الى السلطات المختصة اصلاً بالفصل في ذلك ، في كل دولة مستقلة ذات سيادة .. وهي السلطات المصرية . وهو رد ضروري جوهري ، لحق ضروري

ولاقامة الدليل على خطورة هذا الحق — حق الابعاد الذي قد يبدو للبعض تافهاً بالقياس الى باقي حقوق الدول ، الاخرى — يجدر بي ان انقل هذه الفقرة من شرح العلامة «فوشي» لحق الدولة في ابعاد الأجانب^(١) . فقد تساءل فوشي «هل الابعاد عمل شرعي ؟» . ثم اجاب نفسه فيما يلي : «ان اولئك الذين يعترفون للدولة بحق السيادة المطلق على ارضها ، لا يجب ان يجيبوا عن هذا السؤال الا بالاجاب . فالمالك هو سيد بيته^(٢) . وما دام له الحق في ان يسمح بزيادة الارض التي يملكها ، او بعدم زيادتها ، فيجب ان يكون له ايضاً حق السماح ببقاء الاجانب الذين يقدون عليه ، او ابعادهم ، كيفما يترأى له »

وقد اصبحت الحكومة المصرية ، في ظل معاهدة «الزعفران» ، «سيدة بيتها» — على حد تعبير فوشي — ولعل في هذا ما يكفي للتحدث عن اول الحقوق الدولية التي اكتسبتها مصر . وهو حق البقاء والصيانة

أما المظهر الخارجي لحق البقاء والصيانة ، فينطوي على بضعة حقوق اهمها :
 ﴿حق السيادة﴾ : وهو حق اعترف به تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، في اول الامر ، اعترافاً ناقصاً مشوباً ببقاء قوات الجيوش البريطانية المحتلة . فجاءت المادة الاولى من معاهدة «الزعفران» واعترفت بانتهاء ذلك الاحتلال اعترافاً صريحاً . ولم يعد بقاء تلك القوات بقاء مؤقتاً في جهات محدودة ، الا لحكمة التعاون مع الجيش المصري في الدفاع عن قتال السويس . وهو تعاون موقوف بقدرة الجيش المصري على الاستئثار بالدفاع عن القنال وبذلك انضمت مصر الى الأسرة الدولية ، وأصبحت شخصاً من أشخاص القانون الدولي العام . بينما لم تكن تعتبر كذلك منذ مئات الأعوام . ولا أريد هنا ان أعود الى ما قبل الفتح التركي ، إذ يكفي ان أقرر هنا أنها كانت بعد ذلك الفتح ولاية تركية . أي دولة «تابعة» بكل ما تعبر عنه هذه الكلمة من معنى . . دولة ناقصة السيادة من ذلك النوع الذي يطلق

عليه العلامة « لورنس » اسم « Client State » في مقابل اطلاقه اسم « Patron state » على الدولة « المتبوعة » ، او الدولة « السيدة » في تعبيره . وكانت تلك الدولة هي تركيا حتى في أشد العصور الذهبية التي غزت فيها الجيوش المصرية حدود الدولة العلية نفسها وظلت الحال على هذا المنوال الى ان قام الجيش العراقي بثورته ، وقهرته الجيوش الانكليزية ، واحتلت أجزاء مختلفة من الأراضي المصرية . إذ ظلت مصر ملزمة بدفع الجزية للبواب العالي ، كما بقيت الجيوش الانكليزية داخل الحدود المصرية

وفي هذه المرحلة ، كانت قد فثت شخصية مصر الدولية ، فلم يكن لمصر بطبيعة الحال حق التمثيل الخارجي السياسي كما لم يكن لها حق ابرام المعاهدات باسمها . بل انها لم يكن لها حق ابداء الرأي في المعاهدات التي تمت الموافقة عليها بين انكلترا والبواب العالي ، بشأن مصر عام ١٨٨٧ ، والتي أقرت حالة الأمر الواقع ، وهو احتلال الجنود الانكليزية للأراضي المصرية . كما تقرر في حيدة قنال السويس ، وحرية المرور فيها وقت الحرب ووقت السلم ، لجميع الدول . . . ولم تكن مصر طرفاً فيها ! . . . وتكرر ذلك في الاتفاق المعروف باتفاق « استانبول » عام ١٨٨٨ ، الذي وقعه ممثلون يحملون أوراق التفويض الرسمية المعتمدة طبقاً لقواعد القانون الدولي العام ، من دول انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وأسبانيا وإيطاليا وهولندا وروسيا وتركيا دون مصر ، وهي البلد الذي تمر قنال السويس في أرضه ، والتي كان مفروضاً أنها صاحبة السيادة على القنال وقد قرر هذا الاتفاق مبدأ حرية المرور في القنال وقت السلم ووقت الحرب ، لجميع المراكب التجارية والحربية ، أيّاً كانت الدولة التي يرفع المركب علمها وتعرض أيضاً لقناة المياه العذبة المارة بمحاذاة القنال ، فشمها بالحماية لتغذية تلك المنطقة بالماء . كما شمل بها أيضاً فتحتي القنال من الجهتين ، ومياهاها الإقليمية . أي منطقة الأميال البحرية الثلاثة شرق القنال وغربها

وظلت مصر تعاني ذلك الوضع الشاذ الذي وضعها فيه تبعيتها للبواب العالي ، تبعية تظهر في استمرارها على دفع الجزية واحتلال القوات الانكليزية لأراضيها . الى ان أعلنت الحماية الانكليزية على مصر عام ١٩١٤ ، فتحدد مركزها الدولي كدولة محمية . ولست اريد ان اعيد ذلك الى الاذهان ، ولست اكني اكتفي بأن اشير الى ما ذكره العلامة « اوبنهايم » — استاذ القانون الدولي بجامعة كمبردج ، وعضو « مجمع القانون الدولي » في وصف الدولة المحمية :

« ان الدولة الحامية تسود المحمية دولياً . فان هذه الاخيرة بفقدانها الحق في ادارة شؤونها الدولية ، تكون قد فقدت سيادتها ، وبذلك لا تعتبر الا نصف دولة » (١)

وظلت مصر تعتبر في نظر الاسرة الدولية ، نصف دولة ، طول مدة الحرب العظمى ، وحتى

صدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وهو تصريح اعترفت فيه انكلترا باستقلال مصر ، ولكنها قيدت ذلك الاستقلال ، بتحفظاتها الاربعة المعروفة . وأبلغت ذلك التصريح الى الدول ، فلم يغير من وضع مصر الدولي الا تغييراً طفيفاً ، لأن مصر ظلت مقصية عن عضوية الاسرة الدولية ، بأوجه النقص العديدة التي كانت تشوب سيادتها وحققها في ملكية اراضيها ، وباقي حقوقها الدولية الاخرى . الى ان جاءت معاهدة « الزعفران » فاعترفت اعترافاً صريحاً باستقلالها ، دون « تحفظ » يدع لاعضاء الاسرة الدولية الآخرين ، مجالاً للشك . فقد نصت المعاهدة على انه « انتهى احتلال مصر عسكرياً بواسطة قوات صاحب الجلالة الملك الامبراطور » ^(١) كما نصت ^(٢) على ان نظام « الانتداب السامي » في قصر الدوبارة — وهو نظام كان حليف الاحتلال — قد انتهى وأصبح « يقوم من الآن فصاعداً ، بتمثيل صاحب الجلالة الملك الامبراطور لدى بلاط صاحب الجلالة ملك مصر ، وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس ، سفراء معتمدون بالطرق المريعة » وقد استوقف النظر ما اشتملت عليه المذكرة المصرية الاولى ، الملحقه بمعاهدة « الزعفران » من الاشارة الى انه « نظراً لأن حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا وامبراطور الهند سيكون اول ممثل أجنبي يمثله في مصر سفير ، فان السفراء البريطانيين سيعتبرون ذوي أقدمية على باقي الممثلين السياسيين المعتمدين في بلاط صاحب الجلالة ملك مصر » . وفسر ذلك بأنه انتفاص من الشخصية الدولية لمصر . ولكن الواقع ان أرقى مراتب أعضاء السلك السياسي الاجنبي في مصر ، هي درجة « وزير مفوض » ، ودرجة السفير المقررة لممثل انكلترا في البلاط المصري — كما هي مقررة لممثل مصر في البلاط الانكليزي — تعلو درجة الوزير المفوض طبقاً لقاعدة بديهية من قواعد التدرج في التمثيل السياسي . ومع ذلك فليست هذه اول سابقة من نوعها في تبادل الممثلين السياسيين ، فالولايات المتحدة ترسل سفراء يمثلونها في جمهوريات أميركا الجنوبية . ولهذه الجمهوريات سفراء في واشنطن ، مع أنها لا يمثلها في دول القارة الاوربية الا وزراء مفوضون . فينتج من ذلك — احتراماً لتلك القاعدة الدولية البديهية — ان يتقدم سفير الولايات المتحدة على جميع أعضاء السلك السياسي الاجنبي في عواصم تلك الجمهوريات . ولم يقل أحد قط في اي شرح من شروح القانون الدولي العام ، ان شخصية تلك الجمهوريات الدولية ناقصة أو ان سيادتها قد اعتدى عليها . شخصية مصر الدولية كمضو في الاسرة الدولية قد استكملت اذن ، باعتراف انكلترا بانتهاء الاحتلال ، وبالتسليم لمصر بحققها — كدولة مستقلة ذات سيادة — في الانضمام الى عصبة الامم على قدم المساواة مع باقي اعضاء الاسرة الدولية وهذا الاستكمال للشخصية الدولية ، كان لا يمكن ان يتم بتصريح كتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢

(١) المادة الاولى من معاهدة « الزعفران » (٢) المادة الثانية من معاهدة « الزعفران »

بل كان لا بدّ له من عقد المعاهدة التي تمّ عقدها ، وفي ذلك يقول العلامة « اوبنهايم » :
 « إن الاعتراف بالدول ، هو العمل الذي بواسطته يبدو بوضوح ان دولة قديمة أصبحت
 مستعدة لكي تتعامل مع دولة جديدة ، كشخص دولي وعضو في أسرة الدول » (١)
 وهناك ثمرة دولية خطيرة تجنيها مصر من اعتراف معاهدة « الزعفران » اعترافاً دولياً
 صريحاً باستقلال مصر ومن اطلاق يد مصر اطلاقاً حراً تاماً في ابرام المعاهدات والاتفاقات
 الدولية مع أية دولة أجنبية ، ما دام موقف الجانب المصري لا يتعارض مع المحالفة التي تنص
 عليها المعاهدة الحالية . هذه الثمرة هي قطع خط الرجعة على الدول الاجنبية التي لرعاياها مصالح
 اقتصادية منتشبة في مصر . وهي الدول التي تتطلع منذ زمن بعيد الى « التدخل » في شؤون
 مصر ، كما تدخلت في شؤون غيرها من الدول الشرقية ، بحجة ظاهرها الدفاع عن مصالح
 رعاياها المالية في تلك الامم الشرقية ، وحقيقتها تحقيق ما رب استعمارية مختلفة

وهذه النظرية من نظريات « التدخل » الاستعماري ، اعترف بها شراح القانون الدولي
 العام ، وعقدوا في تفسيرها والتعليق عليها ، الفصول المسببة الطوال . وهم — جميعاً —
 لا يتورعون عن الاعتراف بان الاغراض الاستعمارية للدول العظمى ، تعمى عند الاقدام على ذلك
 التدخل ، عن تبين اي شيء آخر الا تحقيق الغرض الاستعماري الذي اوحى بالتدخل وقد قسم
 فوشي (٢) الاسباب التي تعلل بها الدول العظمى تدخلها في شؤون الدول الصغرى الى ثلاثة أقسام :

١ — السياسة الاستعمارية ، او رغبة الدول العظمى في توسيع أراضيها . وتحت هذا
 الوحي تدخل الدول الأوروبية في شؤون افريقيا وآسيا ، منتحلة المزايا والحجج المختلفة
 ٢ — الدفاع السياسي عن مصالح رعايا الدول المتدخلة . وفي هذا التدخل لا تكتفي الدول
 المتدخلة — عن طريق المباحثات الدبلوماسية ، او التدخل بالقوة المسلحة — بتعويض رعاياها
 تعويضاً عادلاً عن الاضرار التي اصابهم . بل ان تلك الدول — منساقه باعتبارات سياسية —
 طالما طالبت لرعاياها بامتيازات تفوق الامتيازات الممنوحة لنفس رعايا الدولة التي يحدث التدخل
 في شؤونها . وهذا ما حدث من دول أوروبا عند تدخلها في شؤون دول اميركا الجنوبية ، وعلى
 الخصوص شؤون جمهورية فنزويلا

٣ — الدفاع عن مصالح المجموعة الدولية ، تحت ستار مبادئ العدالة والانسانية . ولكن
 هذا الستار يخفي في الحقيقة أغراضاً أخرى ، توحى بها الأنانية والاثرة والرغبة في السيادة

(١) "Recognition is the act through which it becomes apparent that (١)
 an old state is ready to deal with a new state, as an International person
 and a member of the Family of Nations" من كتابه « اوبنهايم » صفحة ١٣٥ - فقرة ٧٢

(٢) فوشي — « شرح القانون الدولي العام » صفحة (٥٥٥)

السياسية . وهذا النوع من التدخل ، لا تقدم الدول عليه — كما يبدو من ظاهره — وهي مجردة من الغرض ، بل تدخل وفي عزمها الفوز بتحقيق مصالح اقتصادية او تجارية ، او حتى غزوات تضم بواسطتها ممتلكات معينة الى أراضيها ، كما حدث عندما فرضت الدول على آسيا فتح موانئها للتجارة الاوربية ، وكما حدث عندما فرضت على بناما حرية المرور في قناتها ، وكما حدث عندما فرضت الرقابة المالية على مصر وتونس ، وكما حدث في تركيا عندما أرغمت على ادخال اصلاحات ضرورية . وهذا التدخل دائماً ينتهي بوضع يد الدولة المتدخلة ، على أراضي الدولة التي يحدث فيها التدخل ، او على كيانها المغنوي ، وهي الدولة التي حدث التدخل بفكرة الدفاع عن مصالحها لتحقيق مصلحة دولية عامة . . . ألم ينته التدخل المالي في مصر وتونس في القرن الماضي باحتلال بريطانيا العظمى وفرنسا للدولتين ؟ ألم يتطور التدخل في شؤون الشرق ، وهو التدخل الذي كان ظاهره الدفاع عن مبادئ الانسانية الى تقسيم الامبراطورية العثمانية الى دول صغيرة ، اعترفت بها الدول المتدخلة لتحقيق اغراض خاصة ؟ . .

هكذا قسم العلامة فوشى ، وهو يكاد يعتبر اكبر ثقة عالمي في القانون الدولي العام ، الاسباب الحقيقية التي توحى الى الدول العظمى بالتدخل في شؤون الدول الصغرى . .

فهل مصر بمنجاة من شبح هذا التدخل ؟

اني لا أعرف بين أعضاء الأسرة الدولية شخصاً دولياً جعلته الظروف يرتبط بشبكة لا نهاية لها من الالتزامات الدولية كمصر . فالدولة المصرية لا تزال مدينة للعدد الكبير من حملة أسهم الدين ، وهي مرتبطة باتفاقات دولية معينة خاصة بشركة قناة السويس ، وامتيازات هذه الشركة لها صيغتها الدولية . كما ان ذلك العدد الكبير من شركات النور والمياه والسكر والترم والمناجم وقطارات السكة الضيقة ، وان كانت شركات مصرية ، الا ان اسهمها يحملها اشخاص ينتمون الى جنسيات مختلفة . ومصر تعزم جادة ان تساوي في المعاملة بين رعاياها وضيوفها الأجانب ، وهي في هذا العزم ، تمحو الفروق التي كانت تضع الاجانب في موضع اسنى من الموضع الذي كانت الحكومات المصرية السابقة في العهد الغابر تقنع بوضع المصريين فيه . وسوف يحس الاجانب — في اول الأمر على الاقل — بثقل تلك المساواة البديهية التي لا يعترف القانون الدولي بسواها ، خصوصاً وقد بدأت الحكومة المصرية تنفذ سلسلة المشروعات التي ترمي بها الى زيادة مواردها . واولها فرض ضريبة الايراد ، وضريبة التركات والضرائب الاخرى التي ستجبي من المصريين والاجانب على السواء . وهي ضرائب كانت نظام الامتيازات يعني الاجانب منها . ولقد فطن المفاوضون المصريون الى ذلك الخطر المحتمل من الاعتراف باستقلال مصر ، وردسيادتها اليها ، واستكمال شخصيتها الدولية ، فاجتأطوا لسد كل ثلمة قد

تفقد منها احدى الدول العديدة التي ترتبط او يرتبط رعاياها في مصر او في الخارج مع الحكومة المصرية بروابط اقتصادية وتجارية معينة ، الى محاولة التدخل في شؤون مصر ، كما حدث في الماضي ، وكما يحدث كل يوم مما ذكره العلامة فوشي في صراحة علمية نزيهة ، فنصت معاهدة « الزعفران » على انه : « يعترف صاحب الجلالة الملك الامبراطور ، بأن المسؤولية عن ارواح الاجانب واموالهم في مصر ، هي من خصائص الحكومة المصرية دون سواها ، وهي التي تتولى تنفيذ واجباتها في هذا الصدد » ^(١) كما نصت على انه : « يعترف صاحب الجلالة الملك الامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن ، لم يعد يلائم روح العصر ، وحالة مصر الحاضرة ، ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر في الغاء هذا النظام دون ابطاء وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهذا الخصوص في ملحق هذه المادة » ^(٢)

وقد نصت الفقرة الاولى من هذا الملحق على :

« ان الاغراض التي ترمي اليها التدابير الواردة في هذا الملحق هي :

١ — الوصول على وجه السرعة الى الغاء الامتيازات في مصر ، وما يتبع ذلك حكماً من الغاء القيود الحالية التي تقيد السيادة الدولية ، بما في ذلك التشريع المالي على الاجانب » كما نصت الفقرة الرابعة من نفس هذا الملحق على انه

« من المتفق عليه انه في حالة ما اذا وجد من المستحيل تحقيق التدابير المشار اليها في الفقرة الثانية ، فان الحكومة تحتفظ بحقوقها كاملة غير منقوصة ازاء نظام الامتيازات ، بما فيه ، الحاكم المختلطة » وفي يقيني ان هاتين المادتين تكفيان مصر شر كل تدخل يخطر او يمكن ان يخطر ببال دولة من الدول الدائنة ، او التي كانت تتمتع بامتيازات رعاياها التشريعية والمالية . وهذا الشر كان محتمل الوقوع في كل وقت ، لو ان انكسرت اعترفت باستقلال مصر التام ، وأجبت جيوشها عن مصر ثم رحلت دون الاحتياط الذي فطن اليه المفاوضون المصريون ، بوضع النصوص التي اشرنا اليها في هذا البحث . لأن استكمال دولة لاستقلالها التام وسيادتها المطلقة ، لا يمنع — في العرف الدولي — تدخل دولة اخرى في شؤونها تحت اكثر من ستار وهمي ، او حجة ، كما رأينا في العلامة فوشي . بل ان هناك اكثر من شارح من شراح القانون الدولي العام ، يعترفون بشرعية « التدخل » ويسوغونه

فالعلامة الالماني « كمبتز » Kamptz ، يرى ان التدخل قاعدة من قواعد القانون الدولي العام وان لكل دولة ان تتدخل في شؤون دولة اخرى من جيرانها ، ما دامت هناك مصلحة ما ، وهو قيد مطاط كما يرى القاري ، اذ ان تقدير هذه المصلحة متروك على الدوام للدولة

(١) المادة الثانية عشر من معاهدة « الزعفران » (٢) المادة الثالثة عشر من معاهدة « الزعفران »

المتدخلة . والعلامة الفرنسي باتور Battur ، ينضم الى العلامة كامبتز Kamptz في رأيه ^(١) وها في هذا طبعاً يعارضان المدرسة الدولية الاخرى التي يزعمها كانت Kant ، الذي قرر انه ^(٢) :

“Aucun Etat ne doit s'imposer de force perpetuelle dans la constitution et le gouvernement d'un autre Etat”

وقد ذكر العلامة الانكليزي ولیم هول : —

« ان الاسباب التي استند التدخل عليها ، او التي يبرر التدخل بها عادة ، قد تعود الى حق الصيانة او حق تقويم العمل الخاطيء ، او الى ارغام دولة على احترام تعهداتها ، او الى صداقة الدولة المتدخلة لأحد حزبين متعادين في دولة أخرى ^(٣) »
ثم انتقل الى تقرير رأيه في الصفحة التالية من كتابه ، فأورد صراحة انه لا يعترض له على بعض الاسباب المبررة للتدخل

ومع ان العلامة «أوبنهايم» قد اعترف في كتابه « A Treatise of International Law » ^(٤) بأن التدخل كقاعدة ينكره قانون الأمم الذي يحمي الشخصية الدولية للدول ، الا أنه عاد بعد ذلك فأورد ان هناك شكاً في خلو تلك القاعدة من الشواذ ، وأقام الدليل على ذلك بأن هناك أنواعاً من التدخل تستند الى حق ، وأنواعاً أخرى ، وان كانت لا تستند الى حق الا أنها تجد ما يسوغها في القانون الدولي ، رغم اعتدائها على شخصية الدول التي يوجه اليها التدخل ^(٥)
فاذا كان هذا هو رأي شرح القانون الدولي العام في نظرية « التدخل » فاذا كان يمكن ان يكون مركز مصر وهي مرتبطة بتلك السلسلة المتشابكة من الالتزامات الدولية التي قيدتها في الماضي ثم وهي معترضة التحرر من بعض تلك الالتزامات في القريب العاجل ، وفسخ البعض الآخر ، واحلال غيره على أساس دخولها في « اسرة الدول » ، شخصاً كامل السيادة ، يقف على قدم المساواة مع الدول الاخرى الاعضاء في الاسرة ، ماذا كان يجزؤه القدر الغامض لمصر من نكبات « التدخل » لو ان المفاوضين المصريين لم يفظنوا الى وجوب دفع كل شبهة يمكن ان تمهد — بطريق مباشر أو غير مباشر — الى تدخل الدول الاخرى ؟ [للبحث تنمة]

(١) باتور في كتابه “Traité de droit politique et diplomatique”

(٢) « كانت » المادة الخامسة من مقال : “Essai Philosophique sur la Paix”

(٣) ولیم هول في كتاب “A Treatise of International Law” — صفحة ٢٨٥

(٤) صفحة ٢٩٢ من الكتاب

(٥) “There is just a little doubt that this rule has exceptions, for there are interventions which take place by right, and there are others which although they do not take place by right, are, nevertheless, admitted by the Law of Nations”

مكانة المصادفة

في ميادين الملاحظة لا نخدم
المصادفة الا النفوس المهيأة
« باستور »

في تاريخ الكشف العلمي

أستاذ نسوقف النظر

في سنة ١٧٥١ كتب السياسي البريطاني المشهور هوراس والپول Horace Walpole الى صديقه المري المشهور هوراس مان Horace Mann يقترح عليه اضافة كلمة جديدة الى المعجم . تلك الكلمة كانت سرّ ندبة (وهي تعريب اللفظ الانكليزي المقترح Serendipity) . ولكن اللفظة لم تشع وقلما تجدها في المعجمات الانكليزية . وروي الدكتور كانون Cannon استاذ وظائف الاعضاء في جامعة هارفرد انه سأل احد زملائه ما معنى ذلك اللفظ فقال انه يمثل حالة عقلية تجمع بين رابطة الجأش serenity والغباوة studipity . ولكن الحقيقة ان والپول استخرجها من قصة خرافية قديمة تمت الى جزيرة سرنديب (ومن هنا تعريبنا لها على الوجه المتقدم) بصلة وثيقة . وسرنديب هو الاسم القديم للجزيرة المعروفة الآن باسم سيلان في المحيط الهندي . ومدار تلك القصة الخرافية ان ثلاثة امرأ ذهبوا في رحلة فوجدوا بغير قصد او حكمة اشياء ذات قيمة لم يكونوا يبحثون عنها . ولذلك ترى هذه اللفظة حين تجدها في المعجمات تعني العثور مصادفة على اشياء جديدة لم تطلبها او على ادلة غير منتظرة تؤيد رأياً من آرائك وليس ثمة ريب في ان حديث ارتقاء الانسان العلمي حافل بأمثلة كثيرة من «السرندبة» تدل على ما للمصادفة من مكانة في تاريخ الكشف العلمي وارتقاءه

ولعل أكثر هذه الامثلة استيقافاً للنظر كشف كولبوس للعالم الجديد . فقد أبحر من اسبانيا مؤمناً بأنه سيكشف طريقاً الى جزائر الهند الشرقية أخضر من الطريق المعروف حينئذ فواجه على غير انتظار عالماً جديداً . ومن المعروف في تاريخ الريادة انه لم يدرك اولاً قيمة هذا الكشف . بل يقال انه لم يعرف أين كان ولا الى أين مصيره (١)

او خذ مثلاً آخر من تاريخ البحث في الظاهرات الكهربائية . فقد روي ان نخذي ضفدع كانتا معلقتين بسلك نحاسي من مشبك حديدي يحيط بشرفة دار رجل يدعى جالفاني بمدينة

(١) راجع الدكتور كانون في المجلة العلمية الشهرية عدد مارس ١٩٤٠ صفحة ٢٠٤ وما بعدها

بولونا الايطالية . فلو حظ انهما ترتعشان كلما هبَّت الريح وحركتهما فلمستنا احد اعمدة المشبك . ولا يعلم هل كان جالفاني — وهو مشرّح وفسيولوجي — اول من لاحظ هذه الظاهرة او قرينته الذكية . ولكن من الثابت ان جالفاني لم يهمل ما رأى لأن ذلك حمله على الشروع في سلسلة من البحوث مدارها الظاهرات الكهربائية في الانساج البشرية الحية . وقد خلد اسمه في لفظ « الجلفنة » العلمي واشتق منه فعل يدور على ألسنة المتكلمين باللغة الانكليزية عند ما يريدون ان يصفوا فورة النشاط في احد من الناس وهو galvanize . ومباحث جالفاني حملت فولطا على البحث في توليد التيار الكهربائي بادناه لوحين فلزين مختلفين احدهما من الآخر (لاحظ ان مشاهدة جالفاني الاولى كانت تشمل سلكاً من النحاس وقضيباً او عموداً من الحديد) . وهذه المباحث افضت الى اختراع البطارية الكهربائية أو العمود الفلطاني وخلد اسم فولطا في لفظ « فولط » المستعمل وحدة للقدرة Potential الكهربائية

الى هذه البداية البسيطة يرتد اختراع التلغراف والتلفون والاذاعة اللاسلكية واحتمال اتقان التلغزة العملية . واليها ايضاً يرتد البحث الذي يشغل عقول طائفة من كبار العلماء في عصرنا وهو بحث مداره « الكهربائية الحيوانية » وأبوابه الكثيرة (١)

حتى في ارتقاء العلوم الكهربائية ، لا في بدايتها فقط ، كان (للسرنديبة) او للمصادفة مكانة عالية في غير كشف واحد ذي شأن . فالطبيعي الديمركي اورستد كشف بالمصادفة تلك العلاقة الخفية بين الكهربائية والمغناطيسية . فقد كان في احد الايام يلقي محاضرة وكان يمثل على ما فيها باستعمال سلك من الاسلاك يسري فيه تيار كهربائي قوي فاتفق له وهو يحرك هذا السلك ان وضعه وضعاً أفقيّاً فوق ابرة مغناطيسية ساكنة . وكان قد سبق له ان وضع مثل هذا السلك عن قصد وضعاً عمودياً على تلك الابرة فلم يحدث شيء . فلما وضعه مصادفة وضعاً أفقيّاً دهش اذ رأى الابرة تنحرف وتدور دورة مداها تسعون درجة . فأدرك في الحال انه امام ظاهرة جديدة فعمكس اتجاه التيار الساري في السلك فدارت الابرة واستقرت في اتجاه معاكس لاتجاهها السابق . وجاء فرايدي بعد ذلك فأثبت ان التيار الكهربائي في السلك لا يؤثر في اتجاه الابرة المغناطيسية فحسب ، بل ان تحريك مغناطيس يولد تياراً كهربائياً في السلك . على هذه الملاحظات اليسيرة قامت جميع العلوم الكهربائية والصناعات التي تستمد الطاقة منها

ولست المصادفة أقل أثراً في علوم الاحياء منها في علوم الطبيعة . كان الفسيولوجي الفرنسي كلود برنار يعتقد ان الرسائل العصبية التي تسير في الالياف العصبية تحدث تغييراً كيميائياً

بسبب حرارة . وحوالي منتصف القرن الماضي قاس حرارة اذن ارنب ثم قطع العصب الذي ينقل الرسائل اليها متوقفاً ان يبرد الاذن عند ما تحرم من وصول الرسائل العصبية اليها وهي بحسب رأيه تحدث حرارة في ألياف الأعصاب . فدهش دهشة كبيرة عند ما وجد ان حرارتها أعلى بعد فصل العصب منها قبله . ولكننا نعلم الآن أن قطع الاعصاب التي تسيطر على عضل الاوعية الدموية في اذن الارنب تحفظها في حالة معتدلة من الانقباض . فلما قطعت تلك الاعصاب تمددت العضلات فزاد ورود الدم الى الاوعية فارتفعت حرارة الاذن . وكذلك فتح كلود برنار صدفة الباب على كشف فسيولوجي خطير الشأن وهو ان الدورة الدموية خاضعة للجهاز العصبي ، وهو أهم كشف فسيولوجي تم بعد كشف الدورة الدموية نفسها قبل ثلاثة قرون ومن ذلك كشف فيتامين K وان نقصه يزيل من الدم مادة لازمة لتخثره . فقد كان « دام » Dam واعوانه في كوبنهاغن عاصمة الدنمارك يبحثون في التوازن الحيوي في فراخ الدجاج (الكناكيت) فوجدوا ان الفراخ التي تغذى بطعام معين تصاب بنزف داخلي تحت الجلد وفي العضل . فلما غذيت بالحبوب بعد اضافة أملاح معينة اليها امتنع النزف . فانشئت سلسلة من التجارب الدقيقة ثبت منها ان سبب النزف ليس نقص أحد الفيتامينات المعروفة وانما سببه نقص عامل خاص مانع للنزف يوجد في دهن كبد الخنزير وبعض النباتات وكثير من الحبوب فدعي هذا العامل فيتامين K . ومن المعروف الآن أنه مادة لاغنى عنها في الجراحة فهناك مرضى يصابون باليرقان الناشئ عن انسداد القناة الصفراوية وعلاجه عملية جراحية . ولكن الدم لا يتجمد في هذه العملية الا بتجمداً بطيئاً فيعرضون لخطر الوفاة زفأً وهذا النزف يمنع باضافة فيتامين K الى غذاء المصاب فيعود الدم الى حالة تتيح التجمد السريع فلا يحدث النزف هذه أمثلة مختلفة على تأثير المصادفة في الكشف العلمي . ولكن المصادفة وحدها لا تكفي ان لم يكن ذهن الباحث منهيئاً للاستفادة مما يقع في دائرة حسه . فكشف أرخيدس للثقل النوعي عندما لاحظ خفة جسمه في حمام ملآن ماء ، وكشف نيوتن لنا موس الجاذبية عندما لاحظ سقوط تفاحة في البستان ، ما كانا مستطاعين لولا تهيه ذهنهما لذلك . ما اكثر الذين خف وزنهم في الحمام قبل أرخيدس والذين شاهدوا سقوط التفاح في البساتين قبل نيوتن ! فالكشف العلمي القائم على المصادفة لا يقتضي ملاحظة ما يحدث فقط بل ادراك مغزى ما يحدث كذلك . ولذلك غيت كلية الطب في جامعة هارفرد بكتابة عبارة باستور المشهورة وتعليقها على الجدار في حجرة الطلاب وترجمتها كما يلي « في ميادين الملاحظة لا تخدم المصادفة الا النفوس المهيأة » . وهذا يقتضي التسلح بعلم السابقين لفهم مغزى كل جديد غريب وعدم التقيد به والاستعداد له لأن النفوس الحرة والعقول الجريئة هي التي تمكن أصحابها من شق الطرق الجديدة

حطام

== قصة ==

لمحمود سيف الدين الايراني

— ١ —

كان يسير دون اكتراث ، غير عابىء ، دون وعي ، في شيء كثير من البلاهة الطارئة . في مثل هذه الحال تستوي القيمُ جميعاً في احساس الانسان : الاخلاق ، القانون ، النظام ، العرف . جميعها اشياء تافهة ، لا قيمة لها مطلقاً . الجريمة نفسها تبدو مغرية ، فاتنة الخيال ، لها نغم عميق القرار يستهوي النفس المكدودة ... وارتعش ارتعاشة حادة ، مؤذية من قمة رأسه حتى أخخص قدميه . أيمن ذلك ؟ أتكون الجريمة في بعض الاحيان سبيلاً الى الخلاص ؟ ثم ... هل تجب الجريمة — وهذا في رأس القائمة — ما يسوغها في أحوال معينة ؟ لقد وجد البطل الروسي ^(١) مسوغاً مقنعاً لجريمته ، بدا له اول الامر قوي المنطق ، شديد اللّمعان ، ولكنه أخفق في النهاية . كانت الفكرة فلسفية محضة في عقله . كانت شيئاً كمعادلة جبرية أو نظرية هندسية : « الخط المستقيم هو اقرب طريق بين نقطة وأخرى » — ليس في هذا ريب — تعادلهما من ناحية ثانية هذه النظرية : « لا قيمة لحياة انسان عقيم اذا كان في القضاء على هذه الحياة ما يعود على الآخرين ، الموهوبين ، بالخير ويفسح أمام مواهبهم الموءودة الطريق على رحبه ! » قياس حاذق ، ولكن المسألة هنا لا تقاس على هذا النحوي وفي مثل هذه الدقة الحسابية ، محال ان تأتي نتيجة فكرة ذهنية — في حالة نفسية موكل امرها الى الضمير ، بل الى مجموع القيم المعنوية لوجود الانسان — مطابقة تماماً لعاقبة نظرية مادية محدودة الافق ، كل نجاحها في تطبيقها العلمي الدقيق . محال ، لاريب في ذلك مطلقاً لقد أخطأ رسكلنكوف وظلت عواقب هذا الخطأ في أعقاب ضميره تلاحقه وتهاجمه وتبتليه بالصرع والهذيان : « أجل محال ... محال ان يقوم الخير على أساس من الشر » . أومضت هذه اللّوحة الاخيرة في أعماقه ايماضاً خاطفاً ، ثم غامت على فكره سحابة خمول ، بعد هذه الاشرافة السريعة عاوده احساسه الحاد بتعاسته ،

(١) رسكلنكوف في قصة « الجريمة والقصاص » لـ « دوستيفسكي »

دفع مرة أخرى في أحضان بلاهته وخجاة لاحت له هذه الفكرة الضبابية : ولكن الجريمة موجودة مع ذلك ، رغم كل شيء لا بد أن تكون ثمة حاجة الى الجريمة لا يقوى على ردها ضمير ولا يحول دونها خير أو شر . حاجة نفسية تهزأ بجميع الاعتبارات « والا فما هو هذا الحنين في نفسي الى الجريمة ؟ » وخيل اليه لحظة انه لو أعطي سكيناً او مسدساً فهو خليف ان يرتكب جريمة القتل بكل ارتياح في نشوة وظفر ! « هاذا قد عدت الى التفكير من جديد . هل جميع الذين يقتلون يفكرون هكذا ، بالاحاجة . انني لأعجز من طفل وأحقر من ذبابة ... » أحقر من ذبابة ؟ لا ريب في ذلك البتة . وأحس بارتياح الى هذه الكلمة وراح يرددها ويلوكها بين شديه : « أحقر . من ذبابة . أحقر من ذبابة . »

وعادت الجريمة ، من جديد ، تبسم له وتغريه وتكشف له عن عريها الفاتن . وقد زاد خفقان قلبه : « لم لا ؟ » وعلى الأرض سرت في بدنه رعدة ، وغرقت الصورة في لجة فائرة ثم عادت تطفو وتنارجح فوق اللجة ، مزهوة ، رقصها الموج ، وصوبت اليه نظرة طويلة فائرة ... كلها شهوة وشبق . تدعوه الى لذة خارقة . فيها وعود ووعود ... وحرك في ضميره هذا السؤال : « أليس هذا معقولاً ! لم لا تكون الجريمة سبيلاً الى الخلاص ؟ » ولاح له ان الطريق قد انفسح امامه بسرعة البرق ، الى ما لا نهاية ، ثم عاد بقتة وأطبق عليه بقسوة خارقة ، وبدا له كأن ثعباناً خفيفاً قد النف حول مخنقه وراح يضغط ويضغط . فانهبرت أنفاسه ، واختفت الصورة الفاتنة وراء أفق قصي ، ثم عادت — لا يدري كيف — تتراقص فوق موجة ، وتبسم في سخرية وازدراء ... ولم تلبث ان غرقت في أغوار سحيقة ، أغوار نفس مكدودة . مهينة . استفاق بقتة ولا يزال صدى فحسح بعيد يصفح سمعه : « أعجز من طفل وأحقر من ذبابة ! » وشعر بحقارته هذه المرة شعوراً واضحاً جداً . ولد له — على ضوء لحظة نيرة — ان يزن ويقارن ويستنتج : « لو لم اكن حقيراً ومنحطاً ... لما عجزت ولما كان الاخفاق يعرقل سيري كيفما سرت واياي انجحت . والا فكيف صح لي ان أبلغ الأربعين وأنا في مثل هذه الضعة المهينة ؟ ثم . لماذا يلاحقني الاخفاق ، بل ويطاردني ، ويأخذ بتلابيبي ويتشبث بأذيالي ولا يدع لي منفذاً الى أي سبيل ؟ وبماذا يمتاز جميع الناجحين في الحياة ليتقدموا وتثمر جهودهم ويكافأوا وأخفق أنا وأرقد مقهوراً ذليلاً ؟ لا لتليل لذلك سوى اني حقير جداً حقارة يشعر بها الجميع ويروني مثلاً حيّاً لها »

ووقف هنيهة ذاهلاً مدهوشاً : لماذا لم يفكر في هذا من قبل ؟ لم لم يهتد الى هذا السبب البديهي الا في هذه اللحظة : « أكان عسيراً علي ان أفهم ذلك ؟ لا ريب في اني حقير . وغبي ايضاً . والا لما اعوزني كل هذا الوقت الطويل لأتبين الحقيقة » وراح يتابع سيره كاهلاً ،

كانسان مكدود مضى . وكان الهواء مكتوماً خانقاً ، والليل حالكاً شديد الوطأة . وكان الشارع الكبير يمتد أمامه ، لا تكاد المصابيح القائمة على جانبيه تغلب بنورها الخابي ، المختصر ، على حلوكة الليل الطاغية . وخيل إليه — في احساس مفاجيء — ان هذه المصابيح أشبه ما تكون ، فوق عمدتها الهزيلة ، برؤوس فلاسفة حمقى تحترق لتنير الطريق الابدي أمام مشرد يأس مثله ! ولكنه لا يزال يسير ، ولا يزال هذا الشارع الكبير يمتد أمامه ويمتد . وتفرع عنه أزقة ومنعطقات وحارات متعددة . ثم تتصل به شوارع أخرى وغيرها وغيرها . كشرابين مخلوق خرافي جبار . في قلب هذه المدينة الصاخبة ، تمتص دماء ابنائها ، تستنفد حياتهم ، تستنزفها قطرة قطرة . تزدرد منهم كل شيء : آمالهم . أحلامهم . أحقادهم . همومهم . تفنك بهم من حيث لا يدرون . ولا يفتأون يقدمون لها وقودها الابدي ولا يفلتون ابداً من شباكها ، في تطاحن مستمر ، أبدي الهول ، مفترس كوحش جائع ، لا يشبع أبداً . ثم تسلمهم لمثل هذا الليل العابس ، هذا الحيوان الاسود ، الرابض العميق الصمت كمقبرة قذرة : « أجل كمقبرة . مقبرة قذرة ، لا ريب في ذلك » . وأحس بشيء من الراحة لهذه الفكرة ، كأنما قد أفرغ فيها كل ما في صدره من كراهية وغل قدس

ورفع رأسه الى السماء الكافية ، وهو لا يني يسير ، غدا سيره تسكعاً مملاً ، شيئاً كالهرب ، يدفعه احساس مبهم ، كأنما يريد ان ينجو . أي شيء هذا الذي يلاحقه بقسوة وبشرده في هذا الليل الطاغى ؟ رفع رأسه الى السماء بذهول كأنما قد وهن ذهنه . ولكن فجأة أومض في رأسه خاطر : قابل بين هذه النظرة المكدودة الذاهلة المرفوعة الى السماء ، وبين نظرة أخرى المفروض فيها — في مثل حاله ويأسه — ان تتجه بـ . . . بماذا ؟ أوه ! بالدعاء والابتهال مثلاً . . .

أي دعاء ؟ وانفجر ضاحكاً بسخرية ، بمرارة عميقة مفاجئة ، ضحكة مجنون ، ضحكة نادرة تعبر إما عن أقصى شعور بالفرح والسعادة ، وإما أنها تدوي بأهول أصداء العذاب والألم — وبفترة وقف في عرض الشارع وراح يتحسس نفسه كمخبول . وانحدرت يده الى جيبه وأخرج منها بضع قطع فضية — كل ثروته — وراح يتأمل لمعانها تحت نور مصباح باهت . واختلجت شفاته ، وسرت في جسمه رعشة ، وكأنما استقر على رأي فجائي وتمم : « حسن . حسن جداً . » وخيل إليه أنه يرى فوق رأسه ، في هوة السماء ، نجماً يهوي بسرعة وقد خط وراءه خطاً متقوساً لا معاً لم يلبث ان غاض واحى . فابتسم ابتسامة بلهاء ، واختلجت في ذهنه عبارة شكسبيرية مشوّهة : « ان على الارض وفي السماء لأسراراً تعجز عقولكم عن ادراكها » . وبرز النجم الهاوي — في لوح خياله — من جديد وراء يهوي مرة أخرى وهو يحجر وراءه ذيله اللامع المتقوس . وتبادر الى ذهنه أنه صنو هذا النجم الهاوي ومثله ، ومصيره الى الهوي والسقوط من شاطئ كصيره ! وعادت هذه العبارة مملاً نفسه : « ان على الارض وفي السماء . »

إن قرأها؟ أفي هملت أم في مكثت أم في العاصفة؟ ثم هل هو واثق بأنها وردت على لسان شكسبير. هكذا كما تبادرت إلى ذهنه هو؟ ولماذا كل هذا الاحتفال بها، أي جديد فيها مما لم يفتن إليه أحد من قبل؟ يا للحجاجة! وهم أن يلقي عن صدره هذا العبء الجديد ويطلق من أعماقه نفساً طويلاً، عريضاً، مريحاً، وينطلق مهرولاً خفيفاً، أسعد ما يكون بالرجوع إلى أحضان بلاهته، ولكنه حبس أنفاسه فجأة وراح يهذي كعتوه: «ليس ذلك كله مصادفة ومحض اتفاق! لا بد أن يكون لهذا معنى. معنى عميقاً!» وهلع قلبه، وتخلعت ركبتاه من تحته، وغشيت غاشية وتقصّد جبينه بعرق بارد، لزج كريه. فقد تمثل نفسه يهوي من حلق إلى حضيض قرار سحيق ويتحطم شظايا طائفة. ثم أفاق وكل عضو في جسمه يرتعش، وكل عصب يرتعد وينقبض، ومفاصله كلها قد وهنت وخارت، وقلبه يدق في قفص صدره ويكاد يثب من حلقه. واستند بظهره إلى عمود النور قبل أن يتهاوت على نفسه وينهار. وبقي فترة على هذا الوضع إلى أن سكن طائر، وعاد إليه بعض روعه وإطمأن إلى الأرض الثابتة تحت قدميه. فتنفّس الصعداء وأخرج منديله القدر وراح يمسح جبينه ووجهه وهو يردد: «عجز من طفل وأحقر من ذبابة...» وشهدت بذلك وأمنت عليه كلاب الليل بنباحها البعيد. وهبت نسمة ليلة رطبة راوحت جبينه المحموم فانتعش قليلاً وأشعل لفافة حقيرة واستل منها نفساً عميقاً ملأ به رئتيه ثم أرسله من فتحتي أنفه وفيه في نفثة شديدة حرى، وراح يغذ السير وقد نسي فجأة كل شيء... عاد كل شيء منزلقاً إلى الأعماق، تحت طبقة كثيفة، يسبح نحو جحوره وسراديه. وخيل إليه أن خوفه وقلقه وتطيره أشياء تافهة جداً... حتى حقارته نفسها لم يعد لها في شعوره ذلك الوقع المؤلم ولم يبق شيء يملأ نفسه وتنبه له حواسه جميعاً إلا صورة واحدة لا تفتأ هي الأخرى تحايله من وراء سجابة رقيقة: «حانة ضيقة... بعض المقاعد موائد صغيرة قدرة... وفناء مترجعة»

— ٢ —

لهذه الحانة مزايا جديدة تجعلها في رأيي نادرة المثال، فهي رخيصة جداً أي أنه يستطيع أن يفرق فيها همومه ويذيقها كل ليلة بقروش يسيرة، ثم هي مأوى لأناس يلدّ له أن يجالسهم ويستمتع إليهم، قد يكون هذا عند غيره ولعماً بدراسة طبائع الناس وأخلاقهم واختبار ميولهم وأهوائهم وغرائزهم... إلى آخر هذا الهراء... كلا ليس هنا السر، ولا ثمة مرتبط الفرس، المسألة عنده لذة خاصة، «كيف ومزاج»، ولكنها تبقى مع ذلك حائرة تتذبذب بين أمرين، ليس من السهل الأخذ بأحدهما دون الآخر: فهو إما أن يغترف من همومهم وتماساتهم ما يضيفه إلى رأسماله الخاص، همساً فوق هموم قطرات يصبها في كأسه العامرة أبداً... قطرات لا تطفح بها الكأس ولا تفيض... ولكنها تكشف مادتها وتزيد حارارة. وإما أنه يلتذ شقاءهم ويستمرئهم، فيخدعهم بما يبدو عليه من الاهتمام بهم والاصغاء إليهم، وهم غافلون يدونه من نفوسهم بوقود يلهب حفيظته

ويشعل ابدأ نار البغض والكراهية في صدره . هذا وهو في هذا كأنما ينتقم لنفسه، لشقائه الخاص في الشقاء العام ، تذوقه بشراهة كلب يهش جيفة كلب آخر ...

اما أعظم مزايا هذه الحانة وأغلاها وأثمنها وأقننها فهي هذه الفتاة المتبرجة دائماً... التي لا تقف تدور راحة غادية بين الموائد توزع ابتساماتها على الجميع ولا تضن بغمزات عينها على هذا وذلك وذلك... على طرف لسانها كلمة مهيأة لكل واحد ، كلمة توافق مزاجه وتلائم نفسيته وتضاعف... نشوة الخمر في رأسه أنها « روح » هذه الحانة ، روحها المشرقة المتوهجة ، تجذب الفراش من بعيد... يحوم حولها أسعد ما يكون بالوقوف في نارها والاحترق بلهبها... هي الآمرة الناهية المتحكمة ، وهي الطائعة الخاضعة المستسلمة ، هي « الحلية » و« نور العين » و« ست الكل » ، وهي « البنت » الخادعة الماكرة التي تلعب على مائة جبل هي الأمل والحيلة والنور والظلام ، والصحو المشرق والا كفه رار المربد هي التي لا تقوّم قبلتها بعشرات الكؤوس ، وهي التي تهب الضم وتجود بالعناق دون مقابل او ثمن . هي التي بسببها تشهر الخناجر والمدى وتقلب الموائد وتحطم المقاعد واواني الخمر ، وهي التي تستل أناملها البضة الماكرة من الجيوب ما يزيد روة الخمار ويضخمها يوماً بعد يوم هي . هي « فرحة » ! فرحة التي لا تزال ابنة ثمانية عشر ربيعاً . وستظل كذلك الى ما شاء الله « فرحة » المحفورة صورتها على ألواح الف خيالة . فرحة التي يمكن لريشة الرسام ان تنقل صورتها في بضعة خطوط سريعة والتي لا يحتاج القلم الى أكثر من بضعة كلمات لوصفها كأن يقول مثلاً « ربعة القوام » بدينته في غير اسراف ، عامرة الصدر ، نافرة الثديين ، ثقيلة الردين ، بيضاء البشرة واسعة الفم ، دجاء العينين الخ... فرحة هذه لها الف صورة وصورة غير هذه . ومع ذلك فليس ثمة ما يدعوا الى العجب والدهش اما ما يذهل حقاً فهو هذا الحب ، هذا العشق الملهب ، هذا التدله العجيب الذي تزخره « فرحة » في قلوب رواد الحانة ، وتحيشيه في نفوسهم ويحرق به دماءهم . الانثى التي يشتهها الكل . الانثى الوحيدة التي تشع انوثتها في كل رأس وتدور فيه مع الخمر صورتها في كل كأس ، ورضائها في كل رشفة . تخايل الواحد في عري مطلق فوق الحب ، فيئن ويزوم ويتلع ريقه . وتلوح للثاني ، في سؤر الكأس ، وكلها عيون تغمز وانداء ريانة تهز وتجل . وتبدو للثالث في شبه ضباب خمر ، تضحك . تضحك . تقهقه . ملقية رأسها الى الوراء ، باسطة له ذراعيها . تدعوه الى اقتحام الحصن . وتعدده بما لا يخطر له على بال . ومع ذلك فليس من يعرف اسرار هذا البدن الا أفراد قلائل ، ثلاثة او اربعة يرتعون في بجوحة هذه الخطوة السعيدة غارقين أو حتى فوق هاماتهم في فيض نعمة سخية . والباقون . كوحوش الغاب يرودون حول الانثى ، ككلاب الطريق الضالة تبحث بأنوفها وخياشيمها عن الفريسة المنشودة !

— ٣ —

وقف بباب الحانة كهلامة الاستفهام . فلا هو يدخل ولا هو يلوي قدمه ويمضي . لم يلحظ وجوده أحد وسط الضوضاء والعربدة وسحب الدخان ونشوة الخمر . « فرحه » وحدها تدور بين الموائد أضحك ... تقهقه ... تغمز بعينيه ... تتحكك بهذا بذراعيها العاريتين ... فيسرع مثلها ويطلب كأساً أخرى ... وترت للآخر على خده بيدها الرخصة وتمر بأناملها خلال شعره فيمص شففيه ويطلق راحته على ردفها او يمس بجذر أحد ثدييه فتناى ضاحكة ضحكة وقحة وتطلب له خيراً كغرامة مفروضة ومقدرة سلفاً ... وهي بين هذا وذاك لا تقفأ تردد بعضاً من اغنية مبتذلة في صوت خليع :

ايه يعني لو ريجتني وعملت غيري لبيتك
وتميل عليه وتقول له طاوعتني

وحانت منها التفاتة فأمسكت عن الغناء بغتة وانطلقت تجري نحو الباب ، ووقفت قبالة الرجل ، فلم يتحرك ولم يبد عليه انه يراها ، فذهلت هنيهة ثم كأنما تفتطنت الى شيء ما فابتسمت وأمسكت يده وصاحت :

— ادخل ... يا استاذ !

فارتعشت أهدابه وسرت في جسمه رعدة وتمتم وهو يحرك قدميه :

— أ ... ء ... صحيح ... سأدخل ...

وأعطته ظهرها وعادت الى الحانة تتخلع وتتكسر وتلوك بصوتها الشيق :

وتميل عليه ه

أستاذ ! أيمكن ان يكون له اسم غير هذا ؟ هو نفسه لا يكاد يعرف اسمه الاً بجهد . منذ متى يدعونه استاذاً ؟ لو اراد ان يتذكر هذا التاريخ بالضبط لكان حتماً عليه ان يعود الى اول عهده بالزميل العزيز « بؤس » ، منذ اول لحظة وضع يده في القيد مختاراً تشجيعه وتغريه ابتسامة الزميل المخلص ... الى اليوم ، الى هذه الثانية ... كلما انقضى نظرة من حوله وجد الزميل الامين بجانيه خاضعاً ، ضئيلاً ، لا تذاً به ابداً ، يتطلع اليه بعينين حزبتين وجلتين ... يده بجانب يده في القيد الابدي ! حتى في فراش نومه ... هو معه ابداً ... بجانيه ملتصق به وله من وراء ظهره غطيظ لا ينقطع ... ألفة قديمة وحب مقيم !

له في هذه الحانة منضدة خاصة ، وقف عليه ، لم يفكر احد ان يحتلها او ينازعه اياها . فهي اما خالية ومقعدها الى جانبها في مسكنة وذلة لا تحظى من العابرين بأكثر من نظرة ... أو لحمة سريعة ، غير متمهلة ، وإما يكون هو جالساً اليها على نحو لا يذكر أحد انه تغير : يضع رجلاً فوق رجل ويتكىء برفق الى المائدة من ناحية ويعتمد عصاه تحت ابطه من ناحية ثانية ، وأمامه

«الزجيلة» لا يفتأ يستل انفاسها على ايقاع كركرة اشبه ما تكون بحمزة محتضرة لا يموت... وكأس العرق ابيض بلون الحليب — بعد كسره بالماء — يحتل ابدأ وسط المائدة كأمر معتز وحوله جاشيته الخاضعة من صحنون صغيرة تحمل «المزة» اشكالاً وألواناً... ولا سلطان عليها الا لأنامل الأستاذ اما ترفع الكأس يشطف منها جرعات مترنة ، حكيمة ، مريثة... أو هي تدور على صحنون «المزة» تنتخب أجود وأشهى ما فيها . فاذا ما أتى على كأسين وشرع في الثالثة ، انفرجت اساريه واحمرت عيناه قليلاً وصفق يدعوه فرحة ! فتمهل وتباطأ مدة معينة تعرف هي بدهاء ان الشوق قد بلغ منه خلاها اقصى حده ، فتسرع اليه اذ ذاك في اهتمام واحتفال شديدين ، فيشرق وجهه وتند عن صدره تهدة خافتة ويتلقاها في ابتسامة حارة — أهلاً بالانس !

— أهلاً فيك يا روحي

— استغفر الله ... استغفر الله

فتكسر جفنها وتصوب اليه من تحت اهدابها سهماً نافذاً ... يستقر في اعماق بدنه فينتفض ويتلغم وتعثر الكلمات الجوفاء بين شفثيه ويمد يده في وجل وارتابك ويتناول راحتها ويقبلها بنهم ويتشممها بأفقه الغليظ ... بينما تفرق هي بالضحك . « قه... قه... قه... ها... ها... ها... حاسب... يا استاذ... قه... قه... قه... قه... » وجسمها كله يتهاك وتديهاها يطيشان ويهتران ، وعيناها تشعان ... وتلمع ثناياها تحت قوس ارجواني . و«يحاسب» الاستاذ بعد لأي، وبعد ان تكون هي قد استوثقت من ان «الاستاذ» لن يبرح الحان الا بعد كأسه السادسة... وهكذا دائماً...

اما الليلة . . فالأمر على غير ما تعهده الحانة منذ زمن طويل . فان أول ما استدعى العجب ورسم على العيون والافواه والوجوه عدداً وافراً من علامات التعجب والاستفهام والنقاط المعلقة هو جلسة «الاستاذ» الجديدة ، الطارئة ، غير الممهودة . لم يضع رجلاً فوق رجل ، ولم يتكىء برفق على المنضدة من ناحية ، والتي عصاه الى أحد الاركان فأعفاها من وظيفتها في القيام تحت ابطه العزيز ! ولكن الحدث الجلل الذي اثار الهمسات والغمزات في الاركان والزوايا ونشر في الجو علامة استفهام عريضة ، ضخمة ، ثابتة ... هو ان الاستاذ لم يطلب «زجيلته» ! كان هذا كثيراً... كثيراً جداً... شق عليهم ان يحرمهم هكذا دفعة واحدة... من اطيب مشهد... «الزجيلة» وحدها

— لعنها الله — فضحته... أعلنت سره... وأحدثت ارتباكاً وفوضى

— الاستاذ مشى بعضه على بعض...

— يمكن عيان

— مهموم ؟ ...

— مين يعرف ! — .

— ايش الحكاية ؟ لازم يكون فيه شيء لا ايوه شف شف

هو ... هي ... ها ... وش ... ش ... ش ... شس

من الاركان والزوايا والموائد من فم لأذن ... من افواه الآذان .. من هنا وهناك ...
مهممات ... ووسوسات ... خافتة ثم عالية ... فأعلى ... ثم اذا هي جلبة ... غرق فيها
لحن خليع : ... وتمي ... ل ... عليه ه

لحظة ... لحظات ... ثم قرت العاصفة واستكانت وعادت همساً خافتاً ، خفيضاً ، ثم لاشيء ...
عاد كل يداعب كأسه ويتلمظ ... وغاضت علامة الاستفهام العريضة . الضخمة ، الثابتة وارتفع
صوت خليع يلوك من جديد في بحون وتهتك

وتقوله ليه ... طاوع ... تني ...

لقد كان في الواقع حدثاً جليلاً .. أثار وراءه غباراً ولغطاً في هذه الحانة ... ثم مرّ بجرح
ذيله شأن الاحداث جميعاً حقيرة أو جلييلة ... حين تلمّ بعالمنا البائس ودينانا الفانية !
العين تستطيع رؤيته الآن بوضوح ، فان نوراً لا يرحم ينسكب عليه من أعلى السقف
ويجלו من حوله كل شيء ولا يدع من قسبات وجهه ومعارفه شيئاً مستوراً ، أو خافياً
يتألم له الفضول : ليس في الامكان ابداع مما كان ... تبارك الخلاق « صلعة كوراء مجلوة لماعة
ملساء تنزلق عليها الكف بفعل مادة دهنية لزجة لا تجد هذه الصلعة غضاضة ان تفرزها
من حين الى آخر ... فاذا ما غمرت الكف وانحدرت قليلاً الى أمام تلقتها مرجحة بها جبهة
نابعة فيها نواتيء وحزوف وخطوط غائرة ونافرة ومستطيلة ومتعارضة ... كلها السنة
ناطقة بمجد الجهاد والجلاد عشرين عاماً بجميع أيامها وأسابيعها وشهورها وساعاتها وثوانها
يداً بيد في قيد واحد والزميل الأمين « بؤس » ! أما أنت الاستاذ فانه في غلظه وتفرطحه
من الباحثين واتساع منخريه واحمراره صيفاً وشتاء ... لاية ... ومنار ... للتبوغ والعبقرية
التي جاز عليها محيطها وانكرتها عشيرتها ... عيناه فقط غير واضحتين لأول نظرة خلف
« مناظره » السمكة ذات الاطار المعدني الموصول بخيط ابيض عند استدارته حول الأذن ...
فاذا ما تفرس ذو طلعة بهاتين العينين هنية واحدة وجدها محترتين ذابلتين لا أهداب لهما
وتحتها جيوب رهوة كحبات العنب الفاسد ... الا أنهما غير خابتي الاشعاع ... حتى
اذا انحدرت العين لتشبع فضولها وجدت القامة عجفاء ممصوفة وسائر ما يبدو من الجسم كله

أدلة دامغة على ظلم الطبيعة وشكاوى مرة تلهج أبداً بعينها الفادح وخيبتها الأليمة . . . وتبحث عن واحد « كنيته » ليتخذها نموذجاً بارعاً يخوله ان يصيح بحق : « ما زلت الى اليوم قروداً لا تضاهيها قروود . . . »

— أطلب شيئاً . . . يا استاذ ؟ . . .

تقدمت اليه « فرحة » بهذا السؤال الحائر المتردد ، وهي لا تدري العبس وتتجههم أم تتودد اليه وتماثله أم تهزأ به وتسخر منه . . .

— هاتي عرقاً . . .

لم يرفع رأسه ولم ينظر اليها ولم يتحرك ولم يختلج فيه عصب ! وترددت وتمهلت قليلاً قبل ان تصدع بالطلب كأنما هي تنتظر شيئاً لا يريد ان يقوله . ثم لوت أخيراً قدمها وصاحت : « واحد عرق ! » وبقي هذا السؤال في نفسها لا يجد جواباً . « أين أهلاً بالأنس . . . الى آخر ما تعهد . . . ؟ » لا بد اذن ان يكون الامر أخطر مما تظن وتتوهم !

وشرب كأساً . . . وثانية . . . وثالثة . . . ولم يأخذ من الرابعة الا رشفة او رشفتين . . . ثم دارت رأسه وثقل جفناه ووهن جسمه وانحط عليه خمول ثقيل ، وبدا له ان كل ما في الحانة يدور بسرعة غريبة وان الارض تميد من تحته والحانة تتأرجح به ؟ والاصوات تصل اليه مبهمه غامضة في همهمات بعيدة مختلطة . . . فاعتمد رأسه براحة يده واتكأ بمرقه على المنضدة وأطبق جفنيه ، ولم يعد يسمع الا صوتاً منهسكاً يلوك من بعيد . . . من بعيد . . . من مكان قصي . . . « وتميل عليه . . . » وتقول له . . . « ثم لم يلبث ان راح يصرخ . . . ويصرخ . . . »

كان شعوره بادىء الامر كشمور من هُزِم في معركة . . . فاذا خرج منها مشعثاً بجراح تعباً ، منهوكاً ، محطماً . . . فانه على الاقل قد استراح واستكان . . . ولو كانت راحة أشبه ما تكون بالانهيار والتهدم . . . وخيل اليه ان أعصابه كادت حقيقة ان تنقطع وتتمزق وتريق دمه كله دفعة واحدة . . . لو لم تسعفه الحُر بهذا الحمول الطارئ . . . وهذا التوهم الذي أرخى له أعصابه ، وفكك ما كان ينذر بالانفجار في جسمه ، والذي يدفع به ، بيد ناعمة ، لينة ، مغرية ، الى ساعة من نوم بهيمي . . . وخالجه رغبة حائرة ، ضابية . . . « لو وجد نفسه في هذه اللحظة بعينها في غرفته بأعلى السطح ، ومضطجعاً في فراشه بقدره قدير . . . » ولكن هذه الرغبة ذابت بسرعة ، وطفق يغط ويصر على اسنان من حين الى حين . وانقضت فترة كأنها من العدم طغت من اعماقه خلالها سحابة سوداء حالكة انتشرت في أفق نفسه . . . وتساعد منها بخار داكن الى رأسه . وعلى حين غرة راحت السحابة تنداح قليلاً قليلاً ذاهبة

الى مصير مجهول ، ووجد نفسه فجأة جالساً الى مكتبه الحقيقى في غرفة بائسة رطبة بادارة جريدة « المبادئ الحرة » وعلى ارض الغرفة هنا وهناك ٠٠٠ في الاركان والزوايا وفي كل مكان اعداد قديمة من جرائد مختلفة ... وكية غير قليلة من « المبادئ الحرة » تحت نعليه بالضبط التي على كل ذلك نظرة ساخطة ثم بصق وتنحج وحاول ان يشعل لفافة فلم يجد ثقاباً فضرب الارض بقدميه ولعن الدنيا ومن فيها وكال عدداً وافراً من الشتائم على رأس صاحب الجريدة ثم هداً واستكان على مضض وتناول القلم وجمع أمامه كوماً من جرائد ومجلات وراح يبحث عن المقص دون جدوى . وبدا له انه اذا فقد هذا المقص فلن يستطيع ان يلقى لجريدة « المبادئ الحرة » شيئاً من الاخبار والمقالات ، فمز عليه ذلك واستشاط غضباً ودفع يده تبحث في عصبية حادة تحت أكوام الورق والجرائد فاصطدمت بشيء فأخرجه فاذا به طبق ما تزال فيه آثار باقية من « الفول المدمس » وفضلات من الخبز العفن ... فبهت ووجم ! هذا الفول اللعين يكاد يكون غذاء الوحيد الذي لا يتغير ابداً ... وانصرف غضبه الى مجرى آخر وتحرك في احشائه حقد دفين ، وهدد البشرية كلها بقبضة يده وتدفقت اللعنات من فمه كالحم يوزعها ذات اليمين وذات الشمال ويقذف بها على رأس كل مخلوق ، واتفخت اوداجه وجحظت عيناه وتقبضت اعصابه وتصبب العرق من جبينه ثم قذفها بصقة كبيرة جداً في وجه « المبادئ الحرة » ... وجميع المبادئ التي في الدنيا ... ونظر من طرف عينه الى النافذة التي الى يساره فاذا به فجأة يطل من شاهق ، وخيل اليه انه يرى فوق رأسه — في هوة السماء — نجماً يهوي بسرعة وقد خط وراءه خيطاً متقوساً لا معاً ... ففقد توازنه بغتة وانزلت قدمه وأوشك ان يهوي من شاهق فارتعدت اوصاله وجمد دمه في عروقه وجف حلقه وانقطعت انفاسه وهوى قلبه الى حذائه دفعة واحدة ثم صعد الى حلقومه بأسرع من لمح البصر وهو ما يني يدق بشدة ويقرع له ضلوعه دون ما رحمة ، وعلى حين غرة — دون ان يدري كيف وقع ذلك — وجد الحالم نفسه على الارض الثابتة الرحبة يعدو بسرعة غريبة ومن ورائه كلب جائع ينبس من أعماق خنجرة ملئانة ... وعلى جانبي الطريق وقف صبيان قدرون بخلقان بالية يضحكون ويهرجون ويشيرون بأيديهم ويتزاعقون ... وظهر له ، الى اليمين ، باب مفتوح فلولى قدمه ودخل فاعترضه سلم طويل راح يصعده مذعوراً وهو يلثم ، وفي أعلى السلم وجد باباً آخر دفعه يده فانفتح له فسارع بالدخول وصفق الباب وراءه وهو ما يزال يسمع نباح الكلب الجائع يقرع اذنيه عن قارعة الطريق لبث هنيهة لا يرى شيئاً من شدة الخوف ... وكانما هو قد اطمأن واستوثق من نجاته فلم يسمعه الا ان ينفث من اغوار صدره زفرة عميقة ، مريجة ، وطفق يدير عينيه في المكان الجديد ، فاذا هو قاعة واسعة نظيفة ينيرها مصباح كهربائي معلق في السقف

وسمع من خلفه صوتاً حلوأً ، منغموأً ، يناديه فاستدار على عظميه فاذا به وجهأً لوجه امام
 عادة حسناء في غلالة ارجوانية كاسية تبسم له ابتسامة عذبة وتدعوه قائلة : « اتبعني ا »
 فذهل ووجم ! وتحركت قدماء وسار وراءها مسلوب الارادة ، الى حجرة بديعة أسدلت على
 نوافذها ستائر مخملية بلون الزمرد ، ونثرت في جوانبها الارائك المريحة وقامت في احد اركانها
 خزانة بلورية فيها أوان من فضة وطرائف من الخزف والصيني ، وبسطت الأرض بسجادة
 ثمينة نسجت فيها الورود والأزهار أبان ازدهارها الربيعي . وفي وسط الحجرة مائدة كبيرة
 تقص بالا كال واللحوم على انواعها وصحاف الخضار والفواكه والحلوى ... وعبرت بأفق راحة
 الشواء الشهى فبهت وفرفراه وسال لما به وراح ينفذ الاطباق بعيون منهومة ؟ وبدرت منه نظرة الى
 الغادة الهيفاء فرآها تبسم أيضاً فخار واضطرب ، ولكنها هزت له رأسها وأومات اليه ان يجلس
 فتردد وخفق قلبه ، فعطفت عليه وقالت : « لم لا تجلس ؟ أما زلت مرتاعاً ... » فارتج عليه
 وفقد لسانه وأدهشه أنها تعلم أنه فزع ومرتاح ... ورفع يده بفتة بحركة طائشة كأنما يريد
 ان يدفع عن نفسه شيئاً ولكن يده اصطدمت بكوب من الماء على المائدة فانقلب واراق ماء
 على الاطباق والصحاف فجمد دمه وزاغت عيناه وانفجرت الحسناء ضاحكة بسخرية وازدراء
 ثم سمعها تقول بزراية واستخفاف : « أعجز من طفل وأحقر من ذبابة ... » فدار رأسه
 وتخاذل وغاب لحظة عن وعيه ... ثم أفاق من غيبوبته فوجد نفسه يخطب بأعلى صوته في
 حشد من الجماهير :

« ... لم نعد عبيداً أرقاء ، أيها الاخوان ، هذا زمن تؤخذ فيه الحقوق أخذاً ...
 أفما يجب ان نعرف كيف تنتهز الفرصة المؤاتية للنقض على الظالمين انتفاض الصاعقة ! علينا
 ان نكون يقظين اقوياء . سيكون النضال بيننا وبينهم حاسماً ، قاطعاً ، وسيكون النصر حليفنا في
 النهاية — ورفع يده بقوة ثم أهوى بقبضته على المنضدة وصاح — ان سواعدكم الفولاذية هذه
 هي التي ستهدم الحاضر بكل اوزاره وآثامه وتبني المستقبل — المستقبل القريب — قتيلاً زاهياً
 وضاح الجبين ... »

وبدل الهتاف والأعجاب ارتفع الصفير والدق بالارجل من جميع الاركان وعلت الضحكات
 الهازئة وانبعثت من الزوايا همهمات مختلطة تردد كلها في زراية لافحة : « أعجز من طفل ...
 وأحقر من ذبابة ... »

وفي لحظة انحى كل شيء وغاض ، واذا هو يسير وحيداً في الشارع القفر وقد دس
 يديه في جيبى سترته ، ينقل خطاه بوهن وأعياء ، وقد غامت على فكره سحابة من البله
 والغباء ...

وتذكر بعد جهد أنه في هذه الساعة على موعد مضروب بينه وبين «فرحة» فاندفع جازعاً وهو يقتلع اقدامه بجهد فاجع ! فوجدتها تنتظره عند باب الحانة المغلق فأسرع إليها وتأبط ذراعها دون أن ينبس بكلمة ، وسار يشق الظلام الى ان وصل الى عمارة شاهقة فاندفع يرقى السلم ، وفرحة الى ذراعه ، حتى بلغا غرفته بأعلى السطح . ها هي «فرحة» عنده أخيراً . . . وفي غرفته الحقيبة أيضاً . . . من يصدق ؟ . . . انها حقاً لسعادة . . . سعادة قد تنسيه كل شيء وترده راضياً عن الدنيا . . . وطوقها بذراعيه وانها بالقبل على خديها وفمها وعينيها وشعرها كحجموم . . . ثم ضمها الى صدره بظلم وجنون ، ودفن رأسه بين نهديها وراح يهذي ويفغم : « أهلاً بالانس . . . أهلاً بالانس . . . » وكانت هي تضحك ضحكات قصيرة متقطعة بين ذراعيه ، ثم اخرجت له لسانها وراحت تكايدته ، فغلا دمه في عروقه وطاش صوابه ودفنها الى السرير وراح ينضو عنها ثيابها كمخبول وهي تتلو وتتلخع . . . انها لشوق ايامه ولياليه . . . ولهفة قلبه المحروم . . . ولكن . . . ما الذي حدث ؟ يا للهول . . . لقد اختفت فرحة بقة . . . ذابت . . . غارت بها الارض . . . طارت بجناحين من النافذة . . . وها هو لا يضم الى صدره شيئاً سوى وسادة . . .

صعق في مكانه . . . وهرب دمه . . . وأحس في أعماق أعماقه بلوعة حادة ، مؤذية تأكل أحشائه . . . ونهض متخاذلاً ، ذليلاً ، مقهوراً ، وألقى من حوله نظرة حيوان جريح ووقع بصره فوق منضدة عرجاء على كتاب مغبر يحمل هذا الاسم : «الصبر مفتاح الفرج» ! ورفع رأسه قليلاً فصافح عينيه اطاراً متأكل ، نخره السوس ، وضمنه هذه الحكمة الغالية . . . بخط جميل . . . « القناعة كنز لا يفنى » ! فارتعد جسمه كله وتقلصت عضلات وجهه وطفرت من عينيه عبرة كبيرة حارة انحدرت على خده وشعرت كل جارحة فيه أنه قد هُزم الى الأبد . . . وانه قد قضى عليه وهوى من حالق . . . فنكس رأسه وأطرق واجماً . . . وعلى حين غيرة انتفض كمن به لوثة وأطلقها من صدره ضحكة خيفة . . . نادرة . . . أشبه ما تكون بعواء كلب يلعب . . .

وفي هذه اللحظة كان الحمار ممسكاً بالمكسنة بيد ويسهزئ بيد أخرى كتف آخر زبون عنده ليوقظه فقد طال عليه النوم والغطيط . . . ولكنه كوم من حطام لا يُففق . . .

يافا (فلسطين)

أين أنت ؟ ؟

الى الدين يفشون عن السعادة فلا يجدونها

هذي بواكير الربيع فاشترقي
قلبي تبرّم بالشتاء فهبني
والقيّد أعاني وعضّ جواحي
مَنْ لي بأجنحة العقاب لعلني
أنا من أضاعته الهموم فنفسني
ما الأرض من وطري ولا هي دارتي
ويكاد يخنقني مشوبٌ غيرها
في فسحة الأفق البعيد المطبق
لي مقعداً عند الربيع المورق
واعتادني أرقُ الفؤاد فرفقي
يوماً أحلق في الفضاء المطلق ؟
من كربة السجن الكئيب الضيق
كيف المقام على الضرام المحرق
مَنْ لي بروحٍ من مقبلك النقي ???

يا حشد أحلامي وموكب يقظتي
قدشتُ عنك فليل حمقاء الهوى
وغدوتُ ظمناً أعلل بالني
وأقول عل... وعلا لا تشفي الضنى
ودليل الهامي وآية منطقي
فرجعت محسوراً بقلي الأحرق
نفسي وهُنَّ معللات الخنق
أولا تطبّ الدواء من متحرق

أني نسجتُ لك الحيوط لعلني
ولقد حسبتك في الثراء وفاتني
وحسبتُ أن الحياء أنت وفاتني
وحسبتُ أن الحب أنت وفاتني
فكسرتُ أنوالي وقلتُ : مُعذّب
أنا بالقناعة سيدٌ بسعادي
أدنو الى سبب اليك وأرتقي
أنّ الثراء يحبُّ لكن لو بقي ...
أنا جميعاً في التراب سنلتقي ...
أنّ السعادة فيه لما تخلقي ...
من عاش في الأوهام عيش الأخرق
فاذا جشعتُ فاني العبد الشقي

محمد عبد الغني حسن

الاجرام والاصلاح

وسائل اصلاح المسجونين بعد الافراج عنهم

لمحمد رياض

مفتش الضبط بمحافظه مصر

—٢—

تمهيد السجون

ومن خير الانظمة التي يمكن اقتراحها في هذا الشأن : —

أولاً — ان تنشأ في السجون المعاهد المشار اليها لتعهد المسجونين بالثقافة الحلقية والدينية والاجتماعية بما يتفق واستعدادهم ، وتعد العاطل منهم لمزاولة الحرفة التي تلائم بيئته لتدريبهم على الالعب الرياضية والتمرينات العسكرية مع توزيعهم على أقسام يراعى فيها مقدار العقوبة المحكوم بها وحالة المحكوم عليه ونوع جريمته — وذلك علاوة على أداء الاعمال التي يقتضيها تنفيذ العقوبة المقضي بها تحقيقاً لمعنى الزجر والردع وتختص هذه المعاهد بالمسجونين المحكوم عليهم بالحبس مدة لا تقل عن أربعة اشهر ، أما المحكوم عليهم بمدة أقصر فانها لا تكفي للاصلاح علاوة على ان جرائمهم ليست على خطورة هامة تقتضي اصلاح الجاني ، فان عاد الى الاجرام تضاعفت عقوبته طبقاً لاحكام العود وعندئذ تصل الى المدة المقررة لتطبيق نظام الاصلاح ويجب تزويد السجون بموظفين مختصين في الطب الشرعي وعلم النفس والاثرومولوجيا الجنائية لفحص كل مجرم واستقصاء أسباب اجرامه وتوجيهه الوجهة الاصلاحية

ثانياً — تنشأ مصلحة خاصة يودع فيها المحكوم عليهم في جرائم ادمان المخدرات لوقايتهم من هذا الداء . ومما هو جدير بالذكر ان المادة ٣٦ من قانون المخدرات تجيز للقاضي بدل ان يحكم بعقوبة الحبس على المدمن ان يقضي بارسال الجاني الى اصلاحية خاصة لمدة لا تقل عن ستة اشهر ولا تزيد على سنة — ولكن بالأسف — إن هذا النص معطل التطبيق لعدم وجود هذه المصلحة . ولا يخفى ان ادمان جريمة شخصية لا يفيدھا عقوبة السجن بل ان العلاج الطبي ألزم فيها وأنفع ، ولذلك تجد ان أغلب المحكوم عليهم لا يرتدعون ويعودون الى الأدمان وكذلك تشمل المصلحة المجرمين الذين يرجع اجرامهم الى حالات مرضية طبقاً للنظريات الحديثة ثالثاً — لا يخفى سبيل المحكوم عليه الذي انتهت مدة عقوبته الا اذا تراءى لادارة

السجن انه أصبح صالحاً للإفراج عنه ، فاذا رأت انه ما زال خطراً على الأمن العام عرضت أمره على لجنة خاصة لابتداء الرأي في ابقائه او اخلاء سبيله

وللمحكوم عليه ان يتظلم من قرار اللجنة امام هيئة المحكمة التي أصدرت الحكم بعقوبته في حدود سلطتها الولائية فاذا رفض نظامه يبقى مدة اخرى لا تقل عن مدة العقوبة على ان لا تتجاوز سنة ويفرج عنه بعد ذلك افراجاً نهائياً — وفي حالة العود يكون قرار اللجنة نهائياً غير قابل للطعن. ونظراً الى خطورة المهمة التي تضطلع بها هذه اللجنة يجب ان يعنى باختيار اعضائها من رجال القانون والادارة والاختصاصيين في الطب الشرعي والعلوم الجنائية

رابعاً — ينشأ قسم خاص يضم هولاء المسجونين الذين لم تصلح حالهم بعد انقضاء مدة العقوبة ويمفون من أداء اشغالها الجنائية فلا تعتبر هذه المدة عقوبة اخرى ويتخصصون في خلالها لوسائل الاصلاح والتقويم. وهذا النظام يغني عن تطبيق عقوبة مراقبة البوليس — وسنعود الى هذه العقوبة بعد حين وتسري هذه القواعد المتقدمة على النساء ويراعى فصلهن عن الرجال خامساً — تبقى اصلاحية الرجال على نظامها الحالي باعتبارها محضصة لجرائم معينة ولجرائم تعددت سوابقهم ، وتعم فيها وسائل الثقافة والتدريب . ولربما كان للقواعد المتقدمة بعض الشبه بالقانون الصادر في انكلترا سنة ١٩٠٨ وهو يقضي بأن معتادي الأجرام بين ١٦ الى ٢١ سنة يحكم عليهم بالأشغال الشاقة وبعد انقضاء مدة العقوبة ينقلون الى السجن الواقي مدة اقصاها عشر سنوات لأصلاح حالهم. وقد وجه الى هذا القانون هناك طائفة من الانتقادات اهمها انه لا فائدة لعقوبة الأشغال الشاقة ما دام المسجون مآله الى السجن الواقي واقترح حذفها ولكن ردوا على ذلك بأن وجود عقوبة الاشغال الشاقة فيه معنى الزجر وان الأخذ بنظرية المنتقدين يترتب عليه ان يكون البادئ في الاجرام اشد عقاباً ممن اعتاده . ولقد قال وزير الداخلية في انكلترا عن معاهد بورستال في مؤتمر السجن الدولي التاسع ان معاملتها التهديبية حققت للشبان والشابات المفرج عنهم معاملة تهيئية فأن معظمهم بدلا من رجوعه الى ارتكاب الجرائم الجديدة كما كان شأنهم في السابق يأخذون الآن مكانهم في الشعب ويسرون سيرة المحترم للقانون

وجوه اصلاح المسجونين بعد الإفراج عنهم

تقوم وجوه الاصلاح على اساسين اولها تشريعي وثانيهما اجتماعي : —

(الاساس التشريعي) — أولاً — يجب تعديل الانظمة المعمول بها في تطبيق عقوبة مراقبة البوليس باعتبارها عقوبة تبعية او تكميلية . ذلك ان الاعتبار الملاحظ في توقيع هذه العقوبة ان يتحقق لرجال الحفظ الاشراف على المجرم بعد اخلاء سبيله مدة من الزمن يؤمن فيها على صلاح حاله وعدم عودته الى ارتكاب الجرائم — وان العلة في هذه العقوبة تطابق الحالة

الراهنة لنظام السجون اذ انها في تجربتها من الوسائل الاصلاحية لا تحقق تحسیناً لحال المسجون ولا وقاية منه ضد المجتمع فيتولى البوليس مراقبته بعد اخلاء سبيله في مسكنه او في مكان آخر مدة لا تزيد على خمس سنوات يفترض بعد انقضاءها ان المجرم قد أصبح مأمون الجانب فاذا كان المفروض في هذه العقوبة التحقق من صلاح المجرم وعرقلة ميوله الاجرامية فان انظمة الاصلاحات المقترحة ادخالها في السجون أبعد أثراً في الاصلاح وأوفى ضماناً

على ان مراقبة البوليس ليست مفروضة في جميع الجرائم بل هي مقتصرة على الجرائم التي اعتبر القانون توفر خطورة خاصة فيها

ولعله يندر ان يسارع المسجون بالعودة الى الاجرام بعد اخلاء سبيله وهو ما زال مكودداً بمناصب السجن ونفسه شقية بطول الحرمان كما ان المراقبة ليست قاطعة في الحيلولة دون صد المجرم عن الاجرام فبين مواعيد المراقبة فترات ليست قصيرة تسمح بارتكاب بعض الجرائم أو تديرها فضلاً عن ان المراقبة في ذاتها أدت الى صعوبات عملية ولا سيما في الاقاليم فكثيراً ما يرتكب المجرمون الموضوعون تحت المراقبة جرائمهم ويدلون على براعتهم بأنهم لم يفارقوا محل مراقبتهم في مواعيدها المقررة . كما افسدت العلاقات بين المجرمين ورجال الحفظ وسببت كثيراً من حوادث الرشوة وجنايات الاعتداء . واداة التنفيذ في هذه المراقبة هم عساكر البوليس او الخفراء الذين هم من مستوى المراقبين ويسكنون الى جوارهم فتعتمد الثقة في اداء واجبهم بدون تساهل او تحامل . ولهذا المراقبة احكام قاسية تحد من حرية المراقب ويترتب على اهماله احد احكامها ان يقع في جريمة جنحة تدفع به الى السجن مما يساعد على افساد حاله ويعوق اصلاحه ويعطله عن وسائل الرزق ويدفعه الى الاجرام . وأرى ان اصلاحات السجون تغني عن هذه المراقبة ويكفي تطبيقها على المجرمين العائدين وبذلك يقل عدد المراقبين ويمكن تنظيمها على وجه أكمل يطهرها من العيوب المشار اليها . أما غير العائدين فان تجريات البوليس كقيلة ببيان حالتهم فان ظهر انهم ما زالوا خطرين على الأمن أمكن انذارهم مشبوهين وتقديمهم للمحاكمة اذا لم تصلح حالهم طبقاً لاحكام قانون المشبوهين

ثانياً — ﴿ قانون المشبوهين والمتشردين ﴾ كذلك يجب المسارعة الى تعديل قانون المشبوهين والمتشردين فان له تأثيراً كبيراً في فساد حالة المسجونين بعد الافراج عنهم — ذلك ان نصوصه الحالية تعوقهم عن اصلاح حالهم ومساهماتهم في ممارسة الاعمال والمهن الحرة — فالمتشرد يوضع حتماً تحت مراقبة البوليس بعد انقضاء عقوبة الحبس وهي عقبة تمنعه من مزاوله اي مهنة شريفة فضلاً عن ان اي مخالفة بسيطة لشروط هذه المراقبة ترده الى السجن ولمدة أطول من مدة العقوبة الأولى وهكذا تتوالى عليه العقوبات على هذا المنوال المزعج المشاهد في تطبيق هذا القانون فلا يفرج عنه فترة الا ليعود الى السجن دهرأ — ولست أدري ما وجه

الخطورة في جريمة المتشرد — وهي جريمة شخصية بحتة — حتى يوضع المحكوم عليه بعد انقضاء العقوبة تحت مراقبة البوليس . وكذلك حالة المشبوه فانه محل مطاردة عنيفة ويبقى انذار الاشتباه الصادر اليه وصمة أبدية لا تفارقه مهما تصلح حاله ويتعد عن مواطن الاجرام

وليس هناك من داع الى الاسترسال في تبيان عيوب هذا القانون . فان الاجماع في وزارتي الحقانية والداخلية قائم على فساد . ويعنى الآن بتعديله بما يتمشى مع وجوه الاصلاح

ثالثاً — (قانون رد الاعتبار) ان الحكم بعقوبة جنائية او جنحة يؤدي الى الاتقاص من شخصية المحكوم عليه ويحول دون استعادة مكانته السابقة في الهيئة الاجتماعية ودون الوصول الى مركز شريف إذ ان الحكم بالعقاب في غالب الأحوال يتبع الحرمان من بعض الحقوق السياسية والمدنية ويسجل في قلم السوابق . وليس من العدل ان يحرم المحكوم عليه من ان يتبوأ في الهيئة الاجتماعية المكان اللائق به اذا بذل مجهوداً جديداً ليهتدي وأقام الدليل على حسن سيرته علاوة على ان مصلحة الهيئة الاجتماعية نفسها ان يندمج فيها المحكوم عليه الذي تاب وأصلح حاله — ولذلك قررت اغلب الشرائع احكاماً لرد اعتبار المحكوم عليه

وفي القانون المصري يعاد الاعتبار بحكم قضائي من محكمة الاستئناف بعد انقضاء ثماني سنوات بالنسبة الى المحكوم عليه بعقوبة الجنابة والعائد والذي سقطت عنه العقوبة بمضي المدة الطويلة وفي الشرائع الحديثة كالقانون الفرنسي والأيطالي يعاد الاعتبار بأحدى طريقتين اما بحكم القانون وأما بحكم القضاء الا ان اغلب القوانين اتبعت الطريقة القضائية فيعاد الاعتبار بحكم من المحكمة بعد فحص حالة الطالب — وقد اتبع القانون المصري هذه الطريقة اذ ان الاخرى محل اعتراض لأنها تسمح لشخص حياته غير سوية وسلوكه شأن باعادة اعتباره ما دام لم يرتكب جريمة معينة او استطاع اخفاء ما يرتكبه من الجرائم فأفلت من العقاب

ومن رأيي ان المدة التي يتطلبها القانون لأعادة الاعتبار هي مدة طويلة تقيم بعض العوائق في سبيل اصلاح المسجونين ولكن بعد تطبيق وسائل الاصلاح المقترحة يجب ان تنزل المدة الى حد معقول . وأرى تحديد هذه المدة على نمط القانون الفرنسي وقد حددها بخمس سنوات في احكام الجنابات وثلاث سنوات في احكام الجنح وترداد المدة الى الضعف في حالة العودة او في حالة سابقة تطبيق قانون رد الاعتبار على الطالب

رابعاً — (الوائح والقرارات الادارية) صدرت في مصر عدة لوائح وقرارات ادارية لتنظيم ممارسة بعض الاعمال والمهن الحرة تحتم الحصول على رخصة من السلطة الادارية لمزاوتها والرخصة لا تمنح للطالب الا اذا كان خالياً من السوابق او يكون قد انقضت مدة طويلة على آخر سابقة له والحكمة المرعية في هذه القيود هي حماية مصالح الجمهور التي قد يهددها

اتصاله بأرباب هذه الحرف . واذا كان السهر على مصلحة المجموع فرض على الحكومات فإن هناك تكليفاً آخر أجل شأناً وهو الكف عن مطاردة فئة من الناس وتجريدها عن حقها الطبيعي في التماس اسباب الحياة . ان المحكوم عليه الا ان يقضي عقوبته وعند ما يفتح له باب السجن توصل عليه أبواب الحياة فصاحب العمل يرفض معاوته ، واللوائح الادارية تأتي عليه الارتزاق ، فلا عجب اذا فسد حاله وانتحي ناحية الاجرام

يجب التساهل في الترخيص لهذه الفئة بمزاولة الاعمال الحرة وأرى قصر المنع على المجرمين العائدين والمحكوم عليهم في جرائم خطيرة بالنسبة لبعض الحرف التي لا تؤثر السابقة في مزاولة الطالب لها وانها لفرصة سانحة . وقد اصبحت هذه اللوائح والقرارات الادارية في شديد الحاجة الى تعديل لا نقضاء سنين طويلة على اصدارها وقصورها عن مواجهة بعض نواحي التطور فيجب ان يعاد النظر في شروط الترخيص حتى تتسع لمعاونة فئة مغلوطة على امرها بمعاونة لا تضر بمصالح المجموع

الاساس الاجتماعي

في جمعيات مساعدة المسجونين بعد الافراج

اولاً — في القرن الخامس عشر كان بعض الاغنياء يتبرعون بمبالغ لتخفيف ويلات المسجونين بعد الافراج عنهم . وفي اوائل القرن الماضي تأسست في انكلترا جمعية هبة الحاكم وهي لا تزال باقية الى الآن تؤدي مهمتها نحو هؤلاء المسجونين المفرج عنهم ثم تلتها عدة جمعيات عنيت بالتماس عمل من أصحاب الاعمال لهذه الفئة ولايجاد مساكن لهم في منازل الفقراء ذوي السمعة الحسنة . وفي ١٩٠٩ قدم قومسيون السجون لوزير الداخلية الانكليزية تقريراً جاء فيه أنه بعد البحث الدقيق في مهمة اعادة المجرم للحياة العادية ثبت ان هذه المهمة شاقة دقيقة ذات نفقات عظيمة مما يحسن معه اعانة الحكومة لهذه الجمعيات المتطوعة ولقد وافق المستر تشرشل على هذا الرأي وقرر ضرورة تأسيس هيئة جديدة لمساعدة المفرج عنهم من سجون الاشغال الشاقة وأعلن قراره في مجلس العموم في يوليو سنة ١٩١٠

وبناء على ذلك تكونت جمعية جديدة سميت الجمعية المركزية لمساعدة المسجونين المفرج عنهم من سجون الاشغال الشاقة وضمت لها جميع الجمعيات التي كانت تعمل مستقلة ولا تعتمد الجمعية الجديدة على التبرعات والاكتتابات بل على اعانة من الحكومة ويقضى نظامها ان تكفل بكل مسجون يفرج عنه حتى لا يتجرد من ضروريات الحياة ويصبح كنفوسا للحياة العامة والجمعية ترسل مندوبها للسجون لزيارة المسجونين قبل الافراج عنهم بوقت كاف للوقوف على رغباتهم وظروفهم وعما اذا كانوا يرغبون في رعاية الجمعية — وللجمعية مجلس عام تتمثل الجمعيات والمعاهد التي تشترك في هذا العمل الخيري ويرأس هذا المجلس وزير الداخلية وقد نجحت هذه الجمعيات في انكلترا نجاحاً باهراً في تقويم المفرج عنهم

كذلك انشئت في انكلترا جماعة بورستال لمساعدة الشبان المجرمين الذين سبق ارسالهم الى معاهد بورستال الاصلاحية — ومهمة هذه الجماعة تقديم الملابس والمال والسكن اللازم لهؤلاء الشبان والسعي لايجاد عمل يلائم استعدادهم . والمدة المقررة لرعاية هذه الجماعة لسكن شاب سنتان . وتدل احصاءات هذه الجماعة على كبير توفيقها ونجاحها

وقد لاحظت هذه الجمعيات ان الجمهور وارباب الاعمال قد يرفضون قبول هؤلاء المفرج عنهم ولذلك عمدت هذه الجمعيات الى وسائل مغربة منها منح ارباب الاعمال بعض مبالغ لقبول هذه الفئة علاوة على ضمانه الجمعيات لهؤلاء المفرج عنهم في تعويض ما يحدثونه من خسائر واضرار وأرى ان تنشئ وزارة الداخلية مكتباً خاصاً في ديوانها يبقعه مكاتب فرعية في المحافظات والمديريات للعمل على مساعدة المسجونين المفرج عنهم بقتبس نظامه من نظام هذه الجمعيات المنشأة في انكلترا يشمل جميع المسجونين المفرج عنهم من الرجال والنساء والاحداث

واجب مصالح الحكومة من مصلح المسجونين المفرج عنهم

ثانياً — يؤخذ من جميع احصائيات السجون في العالم ان أغلبهم من الطبقات الفقيرة التي تعد بها الحظ عن مزاوله عمل يقيها شر الحاجة ، لذلك كان من أهم المعاونات التي لها أفعلى الاثر في اصلاح هذه الفئة ان لا تقبض الحكومة يدها عن توظيف هؤلاء الناس في ادارتها وفروعها وان لا تبخل عليهم بالاعمال التي تطابق استعدادهم ويحذقون اداؤها ، وان تبدأ بضرب المثل للشركات والجمعيات المالية والافراد انه من خير البيئة الاجتماعية ان ترحب باندماج المحكوم عليه الذي كف عن ائمه وطوى صفحة جرمه — لقد عنيت اللجان المؤلفة للتفتيش على اصلاحية الرجال بالاشارة الى هذا المشروع الهام وخوطبت مصالح الحكومة فعلاً للعناية بالتنفيذ ولكن بالأسف ما زالت أغلب هذه المصالح ترفض قبول ما تقدم اليها من الطلبات . لقد وفي بعض المفرج عنهم في التعيين فصلح حالهم وكانوا محلاً للعجاب والثناء . ليس المراد تعيين هؤلاء المحكوم عليهم في أعمال هامة تتطلب حسن السيرة وكامل الذمة والبعد عن الشبهات ؟ ولكن هنالك أعمال أخرى دونها خطورة لا تمنع ان تفتح ابوابها لهؤلاء الذين غلبوا على امرهم وضائق بهم سبل الحياة

انشاء مستعمرات زراعية

ثالثاً — ويجب ان تعني الحكومة بان تنشئ في بعض أملاكها الزراعية مستعمرات خاصة لتشغيل بعض هؤلاء المفرج عنهم المدربين على الاعمال الزراعية باجور مناسبة مما يكفل اصلاح حالهم وتقويم اخلاقهم وتحسين سيرتهم ونسأل الله الهداية والنوفيق

(١) تقوم « رابطة الاصلاح الاجتماعي » برعاية الاحداث بعد الافراج عنهم . وذلك بتجهيز الحائمين بالمصانع ودور التجارة . وتفكر في انشاء مصنع صغير خاص بهم يعملون فيه

غذاء الجماعة

قاعدة لحساب الغذاء

الذي تحتاج اليه المدارس وغيرها من الجماعات

للدكتور حسن كمال

(١) — سبق ان عالجنا موضوع التغذية في اعداد المقتطف الثلاثة الاخيرة من ثلاث نواح مختلفة في الطفولة وبعد الاربعين وفي المرض. والآن عالجناه من جهة اخرى هامة اجتماعيًا واقتصاديًا ذلك لأن المدنية الحديثة اقتضت انظمة خاصة للعيشة والمكسب فاندماج العمال زرافات تحت طوائف متعددة. وما يقال عن العمال يقال عن معاهد العلم وطوائف الجيش والاسطول والمستشفيات وغيرها. فقيام هذه الجماعات يقتضي انظمة ثابتة لتغذيتها الغذاء الصحي حتى تنهض كل منها بنصيبها المفروض عليها في حياة الامة. وجاءت الحرب الاخيرة واتسفي فيها السلاح الاقتصادي بجانب السلاح الحربي فأخذت كل امة تبحث في ادخار ما يلزمها من غذاء حتى لا تقع فريسة للعجز في هذا الكفاح الطويل. نحن لا نقصد ببحثنا هذا ما يقدم لنا في المطاعم بالمدن فقوائم الطعام هناك يراعى فيها اولاً الافراط مع لذة الطعم وتنوع المشرب بصرف النظر عن القيمة الغذائية وذلك طمعاً في التعويض المالي. فغذاء المطاعم والحالة هذه ليس بالغذاء الصحي من حيث المقدار والعناصر المقصودة بهذا البحث

ورب سائل يسأل هناك صعوبة في تغذية الجماعة؟ وما هي هذه الصعوبة؟ وكيف التغلب عليها؟ وماذا تكون النتيجة اذا لم تكن التغذية صحية؟ وهل يحتاج هذا العمل الى طيب فتطول الاجراءات؟ الى غير ذلك من امثال هذه الاسئلة العديدة

الجواب عن ذلك أن لاصعوبة مطلقاً في ذلك متى علمت طريقة العمل. ومتى توافرك ذلك كان في وسعك التغلب عليها بسهولة سواء كان ذلك في تغذية طلبة معهد علمي او عمال مصنع او فريق من الجيش او مرضى بمستشفى وهلم جرا. ولا حاجة بنا الى القول ان التغذية الصحية اهم ضمان لجودة الانتاج الصناعي وقوة الدفاع فاذا نقصت هذه التغذية نقص الانتاج واذا توفرت توافر الانتاج. ومتى كان الانسان ملهماً بالموضوع وعنده البيانات اللازمة لذلك كان في وسعه القيام بذلك على أهون سبيل. ذلك لأن الجهد اشد اعداء الانسان ضرراً وأكثرها تفسياً

والغالب ان لكل جماعة فرداً مخصصاً للإشراف على تغذيتها يضع دائماً نصب عينيه وفرة العناصر الغذائية وتكاليفها مراعيًا في ذلك الاقتصاد وجودة الطهي . وإلى هذا الشخص توجه نظر القارئ الكريم كي يتتبع هذا العمل الهام والمسئلي في نفس الوقت (٢) جرت العادة ان يعتبر غذاء الرجل البالغ وحدة في حساب التغذية يقاس به أغذية الطاعنين في السن والاطفال وغيرهم . وإلى القارئ الكريم بياناً تقريبياً بما يشتمل عليه مثل هذا الغذاء غذاء الرجل البالغ — او الوحدة الغذائية — للطبقة الوسطى

ربع رطل لبن	يماثل	١٩٠	كالورى
بيضة واحدة	»	٨٥	كالورى
١٢٠ جراماً لحم	»	١٧٠	»
٦٠ جراماً جبن	»	٢٤٠	»
١٢٠ جراماً سمن	»	٩٢٠	»
٥٠٠ جراماً خبز	»	١٢٣٠	»
٦٠ جراماً سكر	»	٢٣٠	»
٤٥٠ جراماً بطاطس	»	٢٨٨	»
برتقالة او تفاحتان او برتقالة وموزة	»	٣٥	»
طماطة واحدة او سلطة خضراء	»	١٠	»
١٢٠ جراماً خضار	»	٢٢	»
المجموع	»	٣٤٢٠	»

ويحوي اللحم عادة ٢٠ ٪ عظاماً كما ان السمك لا يؤكل منه الا ٦٠ ٪ فقط — وذلك بعد فصل العظام والرأس وغيرها

وفيما يلي بيان بغذاء الرجل البالغ — الوحدة الغذائية — للطبقة الفقيرة (العمال) عيش بلدي ٦٠٠ جرام . لحم بقري ١٥٠ جراماً . لبن ٢٠٠ جرام . خضار بما فيه السلطة والبصل ١٥٠ جراماً ارز ٧٥ جراماً عدس او فول ٧٥ جراماً مسلي ١٥ جراماً . سكر ٣٠ جراماً ملح ٢٠ جراماً فلفل ٢٥ ر.

وهذا الغذاء يحوي حوالي ٣٠٠٠ كالوري ونفقته بالتسعيرة الحاضرة حوالي ٢٨ مليماً ومحسب قدر الحرارة الكامنة في الغذاء باعتبار ان الجرام الواحد من المواد الزلالية يعطى ٤ كالوري والجرام من المواد النشوية يعطى أيضاً ٤ كالوري اما الجرام من المواد الدهنية فيعطى ٩ كالوري

وللاحظ ان قدر الحرارة السكامة في الغذاء اللازم للانسان تختلف باختلاف المناطق . فالرجل المتوسط الجسم والنقل والقائم بجهد وسط وقاطن منطقة معتدلة يحتاج الى غذاء يعطي حوالي ٣٤٠٠ كالوري . فاذا سكن هذا الرجل في المنطقة القطبية لزمه حوالي ٧٠٠٠ كالوري اما اذا قطن المنطقة الحارة فانه لا يحتاج الا الى ٢٥٠٠ كالوري فقط

(٣) — عند عمل حساب تغذية الجماعة يعتبر غذاء الرجل البالغ وحدة تنسب اليها سائر الأغذية اما الوحدة فتختلف كما امكننا سابقاً باختلاف موارد الرزق اذا كانت متوسطة الحال او فقيرة — ولكل منهما قياس مذكور اعلاه — ويتضح للقارئ فيما يلي طريقة حساب غذاء الجماعة : —

العمر	كمية المقدار اللازم بالنسبة الى وحدة الغذاء الكامل	كمية الحرارة السكامة
رجل عمره فوق ٦٥ سنة	٠.٧٥	٣٠٠٠ كالوري
سيدة بالغة	٠.٨٣	٣٣٠٠ «
آنسة في سن المراهقة	١.٠٥	٤٢٠٠ «
رجل بالغ	١.٠٠	٤٠٠٠ «
شاب في سن المراهقة	١.٢٥	٥٠٠٠ «
طفل من ١٣ — ١٤ سنة	١.٠	٤٠٠٠ «
« ١١ — ١٣ »	٠.٩	٣٦٠٠ «
« ٩ — ١١ »	٠.٨	٣٢٠٠ «
« ٧ — ٩ »	٠.٧	٣٨٠٠ «
« ٥ — ٧ »	٠.٦	٢٤٠٠ «
« ٣ — ٥ »	٠.٥	٢٠٠٠ «
« ٢ — ٣ »	٠.٤	١٦٠٠ «
« ١ — ٢ »	٠.٣	١٢٠٠ «
« ٠ — ١ »	٠.٢	٨٠٠ «

وفي سنة ١٩٢٧ تألفت لجنة ببلاد الانكليز لبحث هذا الموضوع فيما يتعلق بالمدارس فوصلت الى ما يقرب من ذلك بعدما أنفقت وقتاً طويلاً في بحث عدد ساعات النوم وساعات الدراسة ومقدار الزمن الذي يصرفه الطالب في الالعب الرياضية ونوع هذه الرياضة الى غير ذلك من دقائق الامور

ولنطبق الآن معلوماتنا تطبيقاً عملياً فنقول على سبيل المثال : — مطلوب معرفة المقدار الغذائي اللازم بالوحدات لا سرقة قوامها والد ووالدة وثلاثة اطفال يعمل ذلك كالآتي : —

غذاء الوالد ١٠ (اي وحدة غذاء كاملة)

» الوالدة المرضعة ٨٣ ر٠

» طفل عمره ٣ سنة ٢٢ ر٠

» » » ١٠ » ٨٠ ر٠

» » » ٦ » ٦٠ ر٠

المجموع ٤٥ ر٣

ومتى علمنا ما تحتاج اليه العائلة وهو ٣٤٥ وحدة غذائية امكثنا ايجاد الغذاء الصحي اللازم للعائلة المذكورة بضربه في المقادير الواردة في نوع الغذاء المناسب في الفقرة (٢) ومن الجدول المذكور يتضح ان جسم الانسان بين سن ١٥ و ١٨ سنة يتطلب غذاء اكثر مما يتطلبه الجسم البالغ وبالأخص فيما يتعلق باللحم والاملاح المعدنية والفيتامين مع قلة العناصر النشوية مثال ثان : —

مدرسة بها ٣٥ طالبة (يتفاوت سنهن بين ١٣ و ١٤ سنة) و ٦٠ طالبة (يتفاوت سنهن بين ١٤ و ١٨ سنة) و ١٤ موظفاً . ما هو مقدار الغذاء اللازم لهذه المدرسة بالوحدات . وما قيمة ما يحويه هذا الغذاء من الحرارة الكامنة وكيف توزع هذه الحرارة ؟

الجواب : —

٢٥ طالبة يتفاوت سنهن بين ١٣ و ١٤ سنة يلزمهن غذاء يعادل $١٠ \times ٢٥ = ٢٥٠$ وحدة كاملة

٦٠ » » » ١٨ و ١٤ » » » $١٠ \times ٦٠ = ٦٠٠$ » »

١٤ موظفاً (مدرسون وعمال الخ) يلزمهم $٨٣ \times ١٤ = ١٢٠٠$ » »

» » ١٠٠

المجموع

وحدة الغذاء الكاملة اليومية تحوي ٣٤٠٠ كالوري (والاسبوعية ٢٣٨٠٠ كالوري)

فتضرب في مائة وهو عدد الوحدات المطلوبة لهذه المدرسة يومياً

من هذه مواد زلالية مقدارها اليومي ٥٠ — ٦٠ جراماً والاسبوعي ٣٥٠ — ٤٢٠ جراماً

ومواد دهنية مقدارها اليومي ١٠٠ — ١٥٠ جراماً والاسبوعي ٧٠٠ — ١٠٥٠ جراماً

ومواد نشوية مقدارها اليومي ٤٠٠ — ٤٥٠ جراماً والاسبوعي ٢٨٠٠ — ٣١٥٠ جراماً

وعلى هذا الاساس في الوسع عمل حساب الغذاء الصحي لوحدات الجيش والمستشفيات

والمصانع والأندية وغير ذلك

للككتور السر شاندر اكا ونكاتا رامان

حائز جائزة نوبل الطبيعية

أتيت لي فرصة نادرة أني طفت حول الارض ست مرات. ولا أزال أحافظ على صليتي

بمحسب استطاعته ولم يأل جهداً في زيادة مجموع العلم والعالم الجليل يعمل بنفس الروح التي يعمل بها الموسيقار المكن . فان

النفات الشجية المنتجة من عمله تحدث له نفس المسرة التي تحدثها لغيره من السامعين وبدون أي خسارة إن غاية العلم الحقيقي لا علاقة لها بطريق استعماله سواء أكان ذلك الطريق صواباً أم ضالاً فان أساس الالهام لجميع الاعمال العلمية هو دراسة الطبيعة واكتشاف الحقيقة . فقد اكتشفت في السنوات العشر الاخيرة اكتشافات عظيمة منها ما يتعلق بقوام الذرة وهو اضافة جلية الى العلم الانساني بلا نزاع، ولكن جميع تلك الاكتشافات لا تقدر بطبيعتها على ان تمس أحداً بأذى او تلحق به الضرر، وإن كان

نعرىف صاحب المقال

نعرف الى العالم العربي عالماً هندياً كبيراً آخر صاحب هذا المقال وهو الدكتور السر س. و. رامان رئيس أكاديمية العلوم في الهند واستاذ الطبيعة في معهد العلم الهندي ببنجلور وهو ذو شخصية عالمية في العلم. بدأ حياته كموظف عادي ولكن ولعه الشديد بالبحث والتنقيب دفعه الى دراسة العلم المحض دراسة عميقة فجاز فيه قصب السبق، فعين أستاذاً للعلوم الطبيعية بجامعة كالكته حيث تسنى له القيام بالبحث العلمي المحض اكثر امعناً وأوفى وجهاً فبلغ به الى نتائج اهتز لها عالم العلم، فنت فضله وشيد ذكره بتسمية تلك النتائج في اصطلاح العلم « اثر رامان » او « فعل رامان » Raman Effect وأصبح عليه جائزة نوبل والسر ونكاتا رامان أيضاً « رشي » كما سمي هو وغيره من العلماء العظام في هذا المقال وأبى تواضعاً ان يعد نفسه منهم . وهو في حياته الخاصة اكثرهم وفاء وأخلصهم حباً للانسانية . قد وشح وطنه الهند حبل المجد وطوقها قلائد الفخر بجده المتواصل وجناته الثابت وذوقه الصحيح وعلمه الغزير وبحته الصادق ونتائجه الباهرة ، فهي جديرة بأن تفتخر به وتباهي السيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

في تلك الرحلات بأشهر العلماء في جميع أقطار العالم ، فقد قابلت فيها مدام كوري ولورد وزرفورد وغيرهما من العلماء العظام ودرست حياتهم عن كسب فوجدت انه اذا كانت كلمة واحدة تعبر عن مفهوم حياتهم تعبيراً كاملاً فهي الكلمة السنسكريتية « رشي » (٢) . ان هؤلاء عاشوا عزاف النفس زهدان العين ، لم يطعموا في راء الدنيا ولا رغبوا في جاهها وخلصوا في حلبة العلم آثاراً مثلاً خلف ميمائل أنجلو في ساحة الفن — « اعمال الجلية التي لا تقدر بشئ حياتهم

تمثل مدى التقدم الذي بلغناه . كل منهم حاول يوجد هناك واحد في الألف من يفهمها فهماً حقيقياً

(١) نقلها الى العربية السيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي (٢) « رشي » معناه بالسنسكريتية الناصك الباحث عن الحق ، او الشاعر الملهم ، او الحكيم الملهم

على ان الناحية التي يجب ان تنظر فيها الى تلك الاعمال الجليلة هي ان نرى هل هي زادت مجموع العلم أو لا . فيها وحدها يجب ان تعتبر قيمتها وتقدير ، وليس بأنها ذات نفع او ضرر ، او ذات فائدة عملية او غير عملية . فالنظر الصحيح في الاكتشافات هو اعتبارها من اعمال الروح الانساني . فنحن نسر بها ونتباهى لأنها اعمال الروح الانساني . ان عبقرية العلماء المحققين ذوي البسطة والرسوخ في العلم مثل فراداي ، ومدام كوري ، ليست رهين الصناعة بل هي رهين الابتكار ، فهم يقومون بالعمل لأجل العمل وروح التضحية ولا يبتغون وراءه منفعة مادية . ان العلم شيء منظم ولكن مما يقلق البال في بعض الاوقات هو ظهور امارات الضعف عليه بفعل ثقله الخاص ، فقد غمرنا الآن بكثرة المؤلفات في العلم ، وبدأت الاعشاب الضارة تنمو في حديقته حتى ليلوح ان الازهار أقل فيها من الاعشاب . وعليه فنحن في حاجة ماسة الى هيئة تمثل أفضل العقول العالمية التي تستطيع ان تفرق بين الخنطة وحنالها وتقدم للناس ازهار العلم الحقيقية بطريق جازم

ان العلم شيء دولي فنحن لا نقدر على ان نحصنه بسور التعريفة . فلو ارادت الهند ان تتكلم بالجزم وتخير النفقات الامم الاخرى نحو كلامها فيجب ان يكون لنا هيئة تستطيع ان تتكلم بالجزم وتقطع اوصال جميع ما لا يليق بالبلاد بغير شفقة ورحمة . هذا مما يجب ان تقوم به هيئة من العلماء كما قامت به الجمعية الملكية في انجلترا او الهيئات المماثلة لها في برلين وفي فرنسا وهو نفس العمل الذي تسعى اكاديمية العلوم في الهند الآن الى القيام به

ومن المسائل الاساسية في العلم التي لا يمكن ان ينكرها احد وجهته الاجتماعية . وهذه المسئلة بمكانة من الصعوبة حيث لم يتح لأهل الحل والعقد الى الآن ان يتحدوا فيها رأياً ، فقد اختلفت آراؤهم وتباينت أفكارهم ، فمنهم من يرى ان العلم من الوجهة الاقتصادية لا يعيد ما ينفق عليه فلذلك يجب توفير المال وانفاقه في نشر التعليم الابتدائي ، ومنهم من يرى ان ذلك المبلغ ينفق تكفلاً بأجائمه التي لا بد ان تعوضه نتائجها يوماً ما . وعلى كل حال يجب ان تعرف البلاد غاية العلم الحقيقية بوجه عام وحاجاته ومطالبه وأيضاً ما يرجى من أهله فان على كل فرد واجباً نحو هيئته الاجتماعية لأنه يعيش فيها ويتنفع منها . وعلى اصحاب العقول الراجحة ان يعاونوا الدولة ويسعوا لعمل شيء عوضاً عما اخذوا منها . والطريق الحقيقي لفهم هذه المسئلة هو ان نرى ما عمل فيها في بلاد اخرى . وليس من يحجل ان نبوليون احيا اكاديمية العلوم الفرنسية وطلب من رجالها صناعة البارود واشياء اخرى ، بل كان هناك جماعة من العلماء تحف به دائماً ، ولكنهم لم يكونوا ممثلين او امره فقط ، فقد اكتشفوا في نفس الزمن اكتشافات علمية كثيرة

لا علاقة لها بأعمال الامبراطور الفظيعة . حتى في زمننا الحاضر قامت حالة من هذا القبيل في حكم موسوليني وهتلر . ولكن في الهند يجب ان لا يسمح بمثل هذه الاشياء ، فان الهند قطر كان العلم فيه دائماً ذا عزة لا تداني وجلالة لا تساوى . إنها قامت دائماً لنصرة العلم وأعزّت جانبه ومانعت حوزته لاجله هو لا غير . ولذلك اعتقد اعتقاداً جازماً أنه اذا سمح لعلمائنا بمباشرة اعمالهم مع التشجيع امكثنا ان نتجز اعمالاً جلية

اقول هذا ولا اريد به استصغار واجب العلماء نحو الهيئة الاجتماعية ، فاني اعتقد ان العالم الذي يهمل واجبه نحو الهيئة الاجتماعية وينصرف كلياً الى تثقيف نفسه واسعاد حاله رجل لا يليق بان يعيش في هذا القطر . ان واجبنا ان لا نبعد انفسنا عن الملايين من الهنود الذين يتضورون جوعاً واعتقد ان الذين يوطنون انفسهم على متابعة العلم للعلم يحوزون به مقاماً يوفقهم الى خدمة الهيئة الاجتماعية اعظم خدمة . فان ذوي النظر في العلم هم وحدهم الذين يقدرون على ان يسدوا الى الانسانية خدماتهم الحرة . فباستور ، ومدمام كوري وغيرها من العلماء العظام خدموا الانسانية وقدروا على ان يقفوا انفسهم على أوسع مصالحها ولكن هناك امر يجب ان لا يعزب عن البال وهو ان العالم الحقيقي لا يجب ان يملأ عليه ، فانت لا تستطيع ان ترجو منه خيره إن أمليت عليه حكمك . لذلك ينبغي لك ان تختار الرجل ثم تلقى حبله على غاربه وحينئذ فقط تنال منه نتائج ابعد غوراً وأعمق أثراً تستحق الاعتبار وتستوقف الانظار

لا شك في ان مستقبل الهند متوقف على مستقبل العلم في ارضها . اما ان العلم يجب ان يتوجه فيها الى الاشياء التي تهمل الفقراء في القرى ، فأمر لا يحتاج الى البرهان والدليل ليس بضروري ان يكون هناك مسابقة بين القوة الآلية (اي الميكانيكية) والقوة اليدوية . نعم كان مستحسن أن يخرج الزارع الماء من بئر ويسقي زرعه ولكنه اذا اعطي قوة كهربائية فهو يزيد بها محصوله بغير شك زيادة كبيرة . فالعلم يستطيع ان يساعد الناس الى حد بعيد لذلك لا حاجة الى الخلاف والحصام بين الانسان والناحية العملية للعلم

* * *

كان عندنا عدد وفير من الناس في البلاد قادرين على خدمتها خدمة حقيقية ولكنهم لم يُسمح لهم بذلك فأضاعوا وقتهم في امور تافهة . ونحن نقدر ان نشق اود قرائحهم ونقوم ميلها اذا اختيرت سياسة صحيحة للمتابعة في الامر . ان اصحاب تلك القرائح يجب عليهم تنسيق البحث العلمي في الهند على نحو ما نُسق في روسيا لكي يزداد ثروة شعبهم الحقيقية . فالبلاد خسبة في الذكاء . واذا اتخذت وسائل فعالة لاستغلاله زادت ثروة الشعب زيادة عظيمة

منسوجات المستقبل

او معجزات الكيمياء في صناعة الملابس
من اللين والحشب والفحم وغيرها

نظرياً عوضاً عن

تكاد كل مادة تنتجها الطبيعة في العالم ، تستعمل في صناعة الثياب او تجرب لأجل صنعها ومع ذلك فالتقدم الخطير في هذه الصناعة بدأ حينما تعلم الانسان طريقة الحصول على الياق النبات وشعر الحيوان fiber ، وضم بعضها الى بعض ، خيوطاً ففزع لا تم نسجها ثياباً تلائم مشارب الناس وكل ما تم في هذه الصناعة من قبل ، انما هو زرع ، عند مقابلته بما ينتظر ابتداعه في المستقبل . وما كان امرؤ منذ بضع سنوات ليتصور انه سوف يأتي يوم يتخذ فيه شعر نافع للمنسوجات من لبن البقر او خشب الشجر او فحم الحجر او سمك البحر او رمل البر ومن عجب ان كثيراً من ذلك الشعر وتلك المنسوجات قد تبوأ مكانه في التجارة . وما زال بعضها الآخر ، رهين المعامل الكيميائية ، ولكن خصائصها سوف تجعلها نافعة جداً في المستقبل وبعض تلك المنتجات نتيجة شغل الدول بتموين نفسها بمحاصلات بلادها الخاصة والاستغناء بها عن غيرها إذ ينبغي كل منها ان يخترع بالتركيب الكيميائي أليافاً ومنسوجات حتى يستقل بنفسه فيستغني عن الواردات الاجنبية التي قد تنقطع في خلال الحرب وهذه العلة هي المشجع على القيام بالمباحث المتواصلة في ايطاليا التي أفضت الى اختراع شعر اللانيتال Lanital ونسجته وهو أقرب أنواع الشعر الكيميائي الى الصوف الطبيعي ولما كان الجينين الذي يستخرج من اللين الاميركي لا يختلف عنه في لبن البقر الايطالي ، فعما قريب ستصنع في الولايات المتحدة ، مادة مثل اللانيتال للتجارة . وقبل تمكن العلماء في وزارة الزراعة الاميركية من انتاجها على سبيل التجربة ، فخذت حذوهم المعامل الكيميائية في الشركات الصناعية

وذلك الشعر الكيميائي الشبيه بالصوف الطبيعي صالح للبس ، رخيص الثمن ، ولا يحتاج صنعه إلا الى تعديل طفيف في الآلات الحالية التي تنتج الريون المعروف باسم الحرير الصناعي . وقوام

هذه الصناعة ، الجينين ، وهو العنصر الاساسي في الجين . ومع ذلك فان بقية عناصر اللبن (عدا الجينين) ينتفع بها أيضاً في وجوه شتى ، اذ تقشدة قشدة اللبن الخام لأجل استخراج زبدها ودهنها ، ثم يعالج اللبن المقشود بالحامض ليتجمد جبنينه ، فيصير « روبة » والمصل . « الشرش » الذي ينفصل في تلك الحالة ، يعالج علاجاً من شأنه ابطال مفعول ذلك الحامض ثم تغذى به الخنازير . ومن روبات الجينين ، يتولد مسحوق الجينين المجفف ، وهو قوام شعر الصوف الكيميائي . وكل ٢٦ جالوناً (الجالون = ٤٥٤٥ لتر) من لبن البقر تنتج زهاء ٨٨٨ الرطل من الزبد و٦٦٦ الرطل من الجينين . والرطل من شعر الصوف الكيميائي يمكن تركيه من كل رطل من الجينين . وتساوي البزة الكاملة التي قيوامها ثلاث قطع مصنوعة من الجينين ، بحسب السعر الاميركي الحالي ١٠٠ ملجم مثلاً للمواد الخام المؤلفة لها . والوجه ان مادة البروتين التي في الجينين ، هي العنصر الكيميائي الاساسي الذي صنع منه الكيميائيون ذلك الشعر الجديد النافع . ومن أجل هذا نحج الكيميائيون الاميريكون وغيرهم في تركيب الشعر تركيباً كيميائياً من بروتينات شتى وعلى هذا المنوال غدا الشعر الكيميائي في اميركا ، بصنع من قول الصويا او البسلة الصينية^(١) اما في اليابان وألمانيا ، فقد صنع الشعر الكيميائي الشبيه بالصوف الطبيعي ، من بروتين السمك وذلك على سبيل التجربة

وقد أسفر التحليل الكيميائي لشعر الصوف الصناعي ، عن احتوائه على جميع العناصر الكيميائية التي في الصوف الطبيعي ، وذلك بنسب تكاد تكون متشابهة ، ما عدا الكبريت فهو في الصوف الصناعي اقل منه في الطبيعي ، بمقدار طفيف . اما قدر الكربون فيه فأكثر قليلاً عنه في الطبيعي

ولصنع الصوف الصناعي بالاجهزة الحالية للحرير الصناعي التي تنسجه ، يذاب جبنين اللبن في المواد الكيميائية حتى يصير قوامه كالشراب السائل ، وحينما يبلغ قوامه الحد المطلوب ، يدفع ذلك السائل ، في ثقوب دقيقة . وعند ما يخرج ربوات هاتيك المجاري الدقيقة من تلك الثقوب ، تدخل في حمام كيميائي من الفورمالدهيد حيث تيبس فنصير شعراً ، ثم تلي تلك العملية عملية اخرى مستمرة ، يمر فيها الشعر الصناعي ، الى احواض اخرى محتوية على محلولات تنضجها ثم يجفف حتى تصير كرات من الصوف تظهر كأنها جزات الصوف الطبيعي النقية ، فيغزل هذا الصوف غزلاً لأجل النسج والحبك بالطريقة المألوفة . وفي الوسع تكييفه بالثخانة والطول المطلوبين وهذا الصوف الصناعي متين في الوسع تشبيبه بأجود أنواع صوف المرينو المشهور بمنااته وجودته ومن عهد اختراع هذا الشعر جعل العلماء يتساءلون فيما بينهم ، قائلين أأستطيع البكتيريا

(١) اشرنا الى ذلك في الاخبار العلمية بمقتطف مارس سنة ١٩٤٠

التي تسطو بسهولة على اللبن الحليب ، فتحمضه ، ان تفعل كذلك في الشعر المصنوع من الجينين فتصدي حديثاً عالمان هولنديان لفحص هذه المعضلة ، فثبت لهما ان البكتيريا الاكالة الجينين تلتفب الشعر الصناعي تلفاً محققاً ، إذ تطلق خميرة كيميائية تقوم بذلك العمل . ثم تبيننا أن الحرارة تقف مفعول تلك الخميرة الكيميائية . اذن ، ينبغي أن يقوم لابسو الصوف الصناعي بتطهير ثيابهم في الماء المغلي من حين الى آخر اتقاء لتلفها

وقد مضت سنوات على اختراع صنع الازرار في انحاء العالم ، من الجينين . وهذه الازرار ايضاً يتاح للبكتيريا الفتك بها كما اتضح من التجارب التي جربت في المعامل الكيميائية الخاصة . اما في الحياة العملية فان الظروف لا تسمح بتأثير الخميرة البكتيرية في جينين الازرار والملابس وكل الشعر العصري الكيميائي التركيب ، مدين باختراعه الى الحرير الصناعي الذي اخترع حالما وضعت الحرب العالمية اوزارها ، وقد زادت مقطوعة القطن في خمس عشرة سنة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٥ نحو ٦ ٪ وارتفعت مقطوعة الصوف في تلك الحقبة ٧ ٪ وزادت منتجات الحرير الطبيعي ٤٧ ٪ اما الحرير الصناعي فزادت منتجاته في المدة عنها ١٠٠٠ ٪ أي عشرة امثال ما كانت عليه في سنة ١٩٢١

ومما يجدر ذكره من تاريخ الحرير الصناعي أنه في سنة ١٨٨٦ أودع ايلير ده شاردونيه Hilaire de Chardonnet النبيل الفرنسي ، لدى الجمع العلمي الفرنسي ظرفاً مختوماً ، على ان يحتفظ به هناك ، مغلقاً ثلاث سنوات ثم يفتح . وفي سنة ١٨٨٩ فض ذلك الغلاف فاذا هو يحتوي على طريقة تركيب الحرير الصناعي فأعلنت للعالم . (وقد شرحت طريقة صنعه في مؤلفي الصناعات والصناع المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٧ حيث أشرت الى ذلك المخترع الجليل)

ومما لا مشاحة فيه أن خيوط (الريون: الحرير الصناعي) كانت في بدء أمرها غير متينة كالحرير الطبيعي ، ولم تكن لتحتمل الرطوبة كما يحتملها . وما كانت خيوطه تبلغ رفعها في الطبيعة ، فأدخلت على صناعته وجوه الاتقان تدريجاً . وفي خلال الحرب العالمية اتسع نطاق مصانع ذلك الحرير اتساعاً فاق ما كان يستهلك منه حينئذ . وسبب ذلك التوسيع انما كان خدعة كيميائية ، قصد بها تحويل مصانعه الى مصانع للمواد الشديدة الانفجار مثل النيتروسليلوز ولاجل انتاج طلاء لطلي أجنحة الطائرات . فلما استتب السلام ظلت مصانعه الكبيرة متعطلة زمناً طويلاً ، وكسدت سوقه حتى قام الكيميائيون بحل المعضلة التي كانت تحول دون الاقبال عليه ، اذ استطاعوا ازالة اللعنة التي كانت تميزه ، فأصبح مظهره أنعم مما كان عليه . فكان ذلك العمل ، مشفوعاً بالاتفاق الدولي على وصف

الشعر الذي يصنعه الإنسان باسم جامع ، وهو رايون rayon بدلاً من «حرير صناعي» ، باعثاً كبيراً على رفع منزلة صناعته

ولصناعة الريون ميزة فريدة لم تبلغها صناعة الحرير الطبيعي ، وهي التحكم المطلق في جمل نسجه على نسق واحد . وقد نجم عن المباحث التي تمت فيها ، تنويع الشعر الاساسي للريون تنوعاً يسهل معه ، اصطباغه بالاصباغ الجميلة اصطباغاً أشد من اصطباغ الحرير الطبيعي بها . اما الشعر الصناعي المرتقب ، فلن تكون فائدته مقتصرة على صنع الملابس ، فالزجاج المصهور من الميسور ، دفعه من ثقب دقيقة فيكون شعراً يفوق في رفعه الشعر البشري . والشعر الزجاجي يستطاع غزله خيوطاً ونسجه منسوجات فتصنع منه ستائر وأغطية للكراسي والمقاعد وغير ذلك

* * *

ومن السهل تنظيف منسوجات الزينة والستائر الزجاجية ، فتعيش زمناً طويلاً فهي لا تتأثر بالرطوبة ولا بالعفونة وهذا فضلاً عن قبولها للاصباغ الزاهية التي لا يحول لونها . وهذا كله له نفعه في الاماكن العامة ، ولا سيما مقاومتها للحريق . وعما قريب سنرى منسوجات الزجاج تُنسجُدها الكراسي في القاعات العامة في الفنادق والبواخر والمسارح ، كوسيلة من وسائل توقي الحريق

ولما كانت الادوات العامة التي تمتاز بكونها أشد عزلاً للكهربائية ، من المنسوجات الزجاجية ، قليلة ، فقد لقيت المنسوجات التي تُصنع منها ، رواجاً في الميدان الرحب للصناعة الكهربائية . وشعر الزجاج أخذ في التوغل في ميدان العزل الحراري ، مصحوباً بكل تقدم يتقدمه فكيف الهواء . وتستعمل المنسوجات الزجاجية والشعر الزجاجي لاجل التصفية (اي الترشيح) في الصناعة الكيميائية

وبصحب الزجاج بمثابة شعر فريد من الشعور الصناعية للمستقبل ، شعر المعادن ومنسوجاتها التي اخذت منافعها زداد من حين الى آخر . وبينما نرى الشعر المعدني مثل (نسيج الذهب) محسوباً من التحف الأثرية المحترمة زاه كذلك واسع الانتشار حالاً وينظر له مستقبل باهر ويتاح الآن مد السلك المعدني حتى يبلغ من الرفع اقصاه ، أما المعادن النفيسة كالذهب والفضة فقد ابتدعت وسائل عجيبة لصنع أسلاك منها رخيصة الثمن تصلح لصنع المنسوجات . من ذلك صنع اسلاك الذهب من أسلاك فضية ملبسة بالذهب . واسلاك الفضة ، من اسلاك نحاسية مطلية بالفضة وهلم جرا . بل أنه قد تبينت سهولة تغطية خيوط من القطن وغيره من الشعر الطبيعي بشرط من الفلزات فتظهرها بمظهر المعادن . والتراب المعدني ايضاً يمكن ذره على

الشعر النباتي وتثبيتته في موضعه بالمواد اللينة اللاصقة . وتقوم بآتمام هذه العملية مواد كيميائية شفافة مانعة لتكدير اللون تطلّى بها المنسوجات . ومع ذلك فمعظم استعمال الشعر المعدني ليس في صناعة المنسوجات اللازمة للزينة ، بل في ميدان الصناعة

ان الضرور (بودرة الوجه) والادوية والدقيق ، نماذج قليلة من مجموعة البضائع التي تتدخل بمناخل من النسيج المعدني . ويستطاع صنع الاسلاك المعدنية بمخانة تقل عنها في ادق الشعور والالياف الأخرى . وأدق المناخل التي تؤلف من ٤٠٠ عين في البوصة المربعة تنسج من سلك قطره $\frac{1}{1000}$ من العقدة . وهذا يشبه مخانة جل خيوط نسيج العنكبوت وقد بدأت اسلاك البلاطين الدقيقة تحمل حل خيط نسيج العنكبوت في كثير من الآلات البصرية التي تستعمل في المساحة ولتعيين المواقع ولم يستطع علم الكيمياء في بضع السنين الماضية ان يأتي بثمره أنضج من اكتشاف الطريقة التي تصنع بها الشعور الصناعية الجديدة من الفحم الحجري والهواء والماء ، إذ أنتج من هاتيك العناصر العامة الجزيلة ، شعراً يحتمل ان يصبح منافساً عملياً للحزير الطبيعي . ونعني به النيلون nylon وقد نسجت على سبيل التجربة من هذه المادة ، جوارب كادت تبلغ الهدف الذي كان ينشده مخترعو المنسوجات وهو صنع جورب شفاف مزدوج الخيط ، يجاري الجورب المثلث الخيط في متانته

* * *

والنيلون اول مادة صالحة للاستعمال في ميدان الشعر الصناعي الذي يستخرج من المواد غير العضوية . أما سائر الشعور الصناعية فتتركب من المواد العضوية اي المواد المتخذة أصلاً من الاحياء ، نباتات كانت او حيوانات . ويتسنى مد النيلون خيوطاً أرفع من خيوط الحزير الطبيعي ، ومظهره وملامسه يشبهان حزير الدود ولكنه أمتن منه وأشد مرونة . ولايهم كثيراً في صنعه ان تبلغ خيوطه الدرجة القصوى من الرفع بل يسوغ ان تكون نخبنة . ثم ان مادة الاكستون exton المستعملة بديلاً لشعر فراجين الاسنان ، انما هي اسم تجاري للشعر الصناعي المستخرج من النيلون . أما ماذا تكون اثمان جوارب النيلون حينما تظهر في السوق ، فهو أمر مجهول حتى الآن ، ومع ذلك فالمنتظر ان أسعارها ستكون مشابهة لأسعار أجود الجوارب الحريرية بما تمتاز به من الاحتمال واناقة المنظر

ومن الشعور الصناعية الجديدة البرفيل Pervel وهذا يصنع من السليولوز وهو في الأصل ورق ولكنه متين جداً بحيث يمكن استعماله مبللاً دون الخوف من تمزقه . وهو خال من الخيوط ولكنه لين مرن مثل النسيج . ولصنع هذا الشعر يضغط السليولوز ضغطاً مسطحاً . فلا يحتاج بعدئذ الى عمليتي الغزل والنسج . ومنسوجاته رخيصة ، ويتسنى رواجها في الاسواق بأسعار

منخفضة جداً. ومخترعاه هما رنيس دي ويت Francis De Witt وبول بريانت Paul Bryant وقد عنيا بانتاج هذا النسيج الرخيص لانهما كانا يبحثان عن نسيج يسهل استعماله ثم نبذه، بدلاً من ارساله الى الغسل لاجل تنظيفه. وهذا النسيج قد في نوعه لانه مع احتوائه على السليولوز فان ألياف السليولوز لا تنزل خيوطاً ولا تنسج نسيجاً بل تضغط ضغطاً مسطحاً كما سبق القول وباجتناب عمليتي الغزل والنسج يبلغ درجة الكمال باقتصاد عظيم. وهذا يوضح لنا كيف يتمكن المرء من شراء كيس وسادة او ميدعة او ملاءة سرير من هذه المادة الجديدة بثمان يزيد قليلاً على ما يدفعه أجرة لغسل أمثالها من القطن. وتصنع الآن من البرقيل، المواد (جمع ميدعة) والسائتر وأغطية الاسرة والموائد والمناديل وعشرات من الادوات التي ينطبق عليها مبدأ « استعمالها ثم انبذها »

ومن الشعور الصناعية الراتنجية نوع اسمه بوليڤينيل اسيٲال Polyvinyl acetal وقد عرض على الجمعية الكيميائية الاميركية في اجتماعها الحديث، وهو منافس للحريير الياباني الطبيعي ومستنبطوه طائفة من الباحثين في الشركة الكيميائية للكريد والكربون. ويمكن مده خيوطاً رفيعة كالحريير الطبيعي فتبلغ متانته ولكنها تفوقه في المرونة، وبعدم اختراق المياه اياها ولا تأثير النار فيها ومواده الاساسية، ملح الطعام والفحم والجير والهواء. ومن هذه المواد الاولية الرخيصة الجزيلة تصنع عجينة كيميائية راتنجية صافية كالماء

* * *

ومن الاشياء المقترح صنعها منها، عدا الجوارب، ثياب لا تحترقها المياه وخيوط لصيد السمك وشباك صغيرة وكبيرة (seines طراحات) لصيد السمك ايضاً وثياب لمقاومة الاحماض والقلويات ومواد عازلة للكهربائية وستائر لاجل المشنات (١) وهناك مادة شعرية جديدة تسمى باسم فينيون Vinyon وهذه لما تنتج انتاجاً تجارياً لصنع الجوارب. وخواصها تشبه خواص النيلون. وان كان تركيب النيلون الكيميائي يختلف عن تركيبها

(١) من شن الماء على الشراب فرقه. والفارة عليهم، صبا من كل وجه كأشنها. وفي اللسان شن الماء على شرابه، يشنه شناً. صبه صبا وفرقه، وقيل هو صب شبيه بالنضح. وشن الماء على وجهه أي صبه عليه صبا سهلا. وفي الحديث اذا هم أحدكم فليشن عليه الماء. فليرشه عليه رشا متفرقا. والشن الصب المنقطع. والسن الصب المتصل. وقد اشتق من الفعل شن اسم آلة على زنة مفعول ليستعمل فيها يستعمل عند العامة بالدش. وهي الشن: عن تذكرة فقه اللغة للاستاذ محمد عبد الجواد

الصورة القائمة

لحالة مصر الصحية



للككتور عبد الواحد الوكيل بك
استاذ علم الصحة بكلية الطب (١)

رسم الجيل الجديد السليم

نحن الاطباء وخاصة منا الرجال الصعيون نهدي في كثير من أبحاثنا ، كما يهتدي التجار ،
بالطرق الحسائية ، والمقارنات الاحصائية ، ولكن مع اختلافنا عن التجار الحقيقيين في ان بضاعتنا
هي الأرواح والأبدان ، وان مبدأنا هو الشراء ، والشراء دائماً وبأي ثمن لرفع مستوى تلك
البضاعة . فالتأجيل كثيراً في ان لنا دفاتر ونشرات احصائية رسمية ولكنها للمواليد والوفيات
والامراض . نرصد فيها الدخل والخرج من النفوس . ونرجع اليها عاماً بعد عام لنقارن نتائج
عملياتنا المختلفة من حيث المكسب والخسارة في تلك السوق التي نشغل فيها . وهي السوق
الانسانية المعرضة دائماً وبصفة طبيعية لأزلية لعوامل النزول والتدهور . أي عوامل البوار من
مرض وموت . فاذا دلتنا المقارنة على ان اعمالنا راجحة او بمعنى آخر انه قد نتج من مجهوداتنا تقليل
أو تأجيل لتلك الخسارة المحتومة في حياة بني آدم : أي تقليل المرض وتأجيل الموت ، حمدنا الله
وشكرناه ، وظللنا نسير في السبيل الذي رسمناه او رسمه السابقون لنا في خدمة الانسانية والوطن
اما اذا دلت المقارنة على اننا نخسر ، او ان مكسبنا معدوم او ضئيل فان ذلك لاشك يدفعنا
مخلصين الى البحث عن السبب والاسباب . وهذه قد تكون راجعة الى عدم صلاحية الخطط الطبية
والصحية التي نسير عليها . او عدم كفاية الجهد الذي نبذله في تنفيذ تلك الخطط . او عدم كفاءة
في انفسنا . او هذه الاسباب مجتمعة ويكون اذ ذاك واجبتنا هو الاسراع في اصلاح تلك الحال
والآن هل كانت تجارتنا الى اليوم نحن الاطباء الصعيون عملية راجحة للإمة والبلاد او عملية
خاسرة او راكدة . هذا سؤال تجيب عنه بأفصح لسان ، وأجلى بيان ، ارقام الاحصاءات
الصحية . ولا سيما ما نسميه (نسبة الوفيات العامة) ، وهي نسبة الموتي الى كل الف من السكان

(١) التي الدكتور الوكيل بك محاضرة في المؤتمر الحادي عشر للمجمع المصري للثقافة العلمية فاخترنا
منها الحقائق التالية التي تصف حالة مصر الصحية على حقيقتها المؤلة وستتبعها في الجزء القادم بما يراه من
خطط لاصلاح الحال

وإذا راجعنا متوسط نسبة الوفيات العامة في مصر كل خمس سنوات من سنة ١٩٠١ الى ١٩٣٥ وضررنا صفحاً عن الزيادة الفاحشة في الوفيات التي حدثت في الفترة من ١٩١٦-١٩٢٠ بسبب أوبئة الحرب العظمى وخاصة وباء الأنفلونزا القتال الذي تلاها رأينا ان نسبة الوفيات لم تتحسن شيئاً بل انها قد زادت قليلاً في غضون هذه المدة الطويلة حتى في السنين الاخيرة ذاتها التي امتازت بنشاط نهضتنا الحديثة وكذلك زيادة الضبط في احصاءاتنا الصحية

أي ان الجيل الحاضر من المصريين ، اذا أخذناه جملة ، لا يزال للأسف يفنى بنفس السرعة التي فني بها آباؤه واجدادهم أو أكثر منها . وذلك بينما الممالك المتقدمة جمعاء قد سجلت هبوطاً مستمراً في نسب وفياتها بحيث صار الجيل الحديث فيها متمتعاً بما لم تتمتع به الاجيال السابقة من قلة المرض وطول العمر. ونحن اذا راجعنا نسبة الوفيات العامة سنة ١٩٣٧ في مصر وثلاثين دولة أخرى في مختلف القارات متدرجين من الأسوأ الى الأفضل ، اتضح لنا ان مصر تقع في رأس القائمة ومن هذه البلدان الهند واليونان وبلغاريا وفلسطين بل ان نسبة الوفيات في روج كانت في تلك السنة ٨ر٨ في الألف حالة ان النسبة في مصر كانت ٢٧ر٢ في الألف وتدل الارقام كذلك على ان متوسط نسبة الوفيات الانكليزية في السنين الاولى من القرن الحاضر كانت ١٦ في الألف وهو ما يوازي ٢/٣ نسبة الوفيات اذ ذاك في مصر . ولكنها قد هبطت الآن بمقدار الربع الى ١٢ في الألف أي الى اقل من نصف ما لدينا . بينما ظللنا ثابتين بل زدنا قليلاً عن المعدل الذي ورنناه عن القرن الماضي . فاذا سرنا بالمقارنة الاحصائية خطوة أخرى وارادنا المفاضلة بين وفيات المصريين والانكليز عن طريق توزيع مجموعتي السكان الى طوائف أو فئات بحسب السن وجدنا ان آثار المساويء الصحية ليست وفقاً على عمر دون آخر في بلادنا بل هي متغلغلة في الأمة يصادفها المصري في مهده كما يصادفها في شبابه وكهولته وهرمه فالمصريون عمراً بعد عمر الى سن الستين هم أتعس حالاً وأسوأ ما لآل من حلفائهم الانكليز وحتى في سن الشباب القوي المتين يحصد منا الموت ضعف ما يحصد منهم . ناهيك عن الطفولة الاولى والشيخوخة الاخيرة التي يفنى منها لدينا اضعاف من يفنى منها لديهم

هذه هي الصفحة الاولى من الدفاتر الاحصائية المصرية وما تسجله من خسارة أو قلة نجاح في تجارتنا الانسانية . ولكننا قبل ان نبي النتائج على هذه المقدمة السيئة يجدر بنا ان نفحص قليلاً في تلك الدفاتر لنزيد الوقائع بياناً باتجاهنا ناحية أخرى لها شأنها وخطرها . ذلك لان مصر في الحقيقة قد صارت منقسمة في عهدنا الحاضر أكثر من أي وقت آخر الى جزئين . ليس هما الوجه البحري والوجه القبلي كما يقول علم تقويم البلدان ، بل هما الحضر والريف . أو المدن والقرى ، كما يعلم الباحث الصحي والاجتماعي . ففي غضون تلك المدة أي منذ اوائل القرن

الحاضر هبط متوسط نسبة الوفيات في مدتنا الثلاث الكبرى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد كما يلي : في القاهرة هبط من ٣٨ في الالف في اوائل القرن الى ٢٩٧٢ وهو هبوط يوازي ٣٢٪ أو الثلث . والاسكندرية هبطت نسبتها في تلك المدة من ٣٣٧ الى ٢٥٨٨ أي بما يوازي ٢٣٪ أو نحو الربع . وهبطت نسبة بورسعيد بمقدار ١٩٪ أي نحو الخمس . بينما الوفيات في القطر المصري عامة وكان متوسطها ٢٥٣ في اول القرن بلغت في النهاية ٢٦٢ في الالف بل اتنا اذا اخذنا الحضر جملة (أي المحافظات وعواصم المديريات وبنادر المراكز) ولم تقتصر على القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والريف جملة وجدنا نسبة الوفيات في الخمس عشرة سنة الاولى من نهضتنا الحاضرة قد نقصت في الحضر من ٣٢٤ في الالف الى ٢٩٦ في الالف حالة انها زادت في الريف من ٢٤٠ في الالف الى ٢٥١ في الالف

يتضح لنا من هذه الارقام ايضاً انه بينما سجلت المدن المصرية عامة في تلك الفترة تحسناً يقدر بنسبة ٩٪ اذا بالريف لم يسجل حتى هذا التحسن الطفيف بل زاد سوءاً بمقدار ٥٪ وهنا نلمس احد الاسباب الجوهرية لعدم نجاحنا في السوق الانسانية المصرية . وهو اتنا أغضنا أعيننا الى اليوم عن الريف وأهله وهم اكثر السكان . ووجهنا عنايتنا الكبرى الى المدن ومع ذلك فهل كان ذلك التحسن الذي قد يتفاخر به البعض في حالة مدتنا الكبرى هو التحسن الجدير حقاً بالمفاخرة ؟ كلا . وذلك لسببين (اولاً) — ان درجة التحسن لم تكن ماحوسة شيئاً الا في القاهرة والاسكندرية وبور سعيد . حالة ان المدن الاخرى لم تصادف ذلك الحظ ، فظننا مثلاً ان متوسط نسبة الوفيات فيها في الفترة (١٩٢١—١٩٢٥) يبلغ ٣١٠ في الالف ثم هبط في الخمس السنوات التالية الى ٢٩٣ ولكنه زاد ثانية في الفترة التالية الى ٣٠٨ — وأسيوط كان المتوسط فيها بالتوالي اثناء ذلك ٣٣٢ — ٣٤٩ — ٣٤٥

أما السبب (الثاني) فهو ما يراه الانسان اذا قارن نسبة الوفيات في المدن المصرية (بما فيها القاهرة وبور سعيد والاسكندرية) بما يقابلها في الممالك الراقية الاخرى . فنسبة الوفيات في المدن الهولندية مثلاً هي ٩ — ١٠ في الالف . وفي المدن الالمانية ١٠ — ١١ والدنماركية ١٢ والفلندية ١٢٤ والانكليزية ١٢ — ١٤ والارلندية ١٥ والبلغارية ١٦ واليونانية ١٩ بينما هي في المدن المصرية ٢٩٦ في الالف . ثم ان احصائيات وفيات الاطفال تستوقف النظر . فالوفيات في هذه البلاد تتضمن نسبة كبيرة جداً من الاطفال الذين لم يبلغوا السنة الخامسة من العمر . كما يستدل من الارقام الآتية

١ — كان عدد الوفيات في القطر المصري عامة سنة ١٩٣٧ (٤٣٤٢٠٨)

ب — وكان منهم أطفال رضع اي لم يبلغوا السنة الاولى من العمر ١١٤٨٥٦ أي بنسبة ٢٦٤٪

ج — وأطفال عمرهم من ١ — ٥ سنوات ١٢٧ر٨٩٢ أي بنسبة ٢٩ر٤٪
 د — أي كانت جملة الاطفال الموتي في السنة ٢٤٢ر٧٤٨ أي بنسبة ٥٥ر٨٪ من مجموع المتوفين . ويتضح من ذلك ان هناك جيشاً جراراً من زهاء ربع مليون من الاطفال يموتون كل عام في مصر ويتكوّن منهم أكثر من نصف الوفيات العامة في كل سنة حالة انهم في انكلترا مثلاً لا يبلغون أكثر من ١٪ الوفيات . فيما كان أغنى جيش الامهات الذي ولد هذا الجيش عن متاعب الحمل والوضع والنفاس والرضاعة والتمريض اذا كانت هذه نتيجة النعب والنصب ومع ذلك فان هذه الارقام السيئة لا تدل على كل ما هناك من خطر . اذ ان وفيات الاطفال هي كذلك في مصر آخذة في الارتفاع . ففي سنة ١٩١٩ كانت نسبة وفيات الرضع اي الذين لم يبلغوا سنة واحدة من العمر في انكلترا ٨٩ في كل الف مولود وفي مصر ١٢٨ فنقصت في سنة ١٩٣٧ في انكلترا الى ٥٨ وزادت في مصر الى ١٦٥
 يتضح من ذلك ان وفيات اطفالنا الصغار هي ايضاً في صعود متواصل حتى في هذا العهد الذي نحن فيه بينما هي في هبوط سريع متصل في انكلترا وكذلك في سواها من الممالك المتقدمة . ولا أزيدكم في هذه الناحية أرقاماً ولا بياناً ولا أسفاً . اذ الطفولة المريضة الفانية لا يمكن ان ينتج عنها الا شعب مريض سريع الفناء
 هذه هي صفحة الموت في مصر مقارنة بمثلها في الشعوب المتقدمة نخلص منها الى الحقائق التالية
 اولاً — ان الأحوال الصحية في القطر المصري عامة تعتبر أسوأ الأحوال بالقياس الى كافة الأمم المتقدمة في القارات الخمس حتى تلك التي تشبهها أو دونها في نسبة المتعالمين وهذا يدل على ان هناك عيباً أو نقصاً في الجهود التي بذلناها الى اليوم للعناية الطبية والصحية بالسكان
 ثانياً — ان الأحوال الصحية في الريف الذي تسكنه أغلبية المصريين ليست سيئة فحسب بل انها تسير من سيء الى أسوأ
 ثالثاً — ان التحسن الصحي الذي حدث في المدن هو تحسن طفيف لا يستحق التفاخر به اذ لا تزال بعيدة عن مجارة المدن الراقية
 رابعاً — انه بجانب هاتين المشكلتين الأساسيتين من الوجهة الصحية توجد مشكلة أساسية مشتركة هي جذيرة بأكبر اهتمام وهي ارتفاع وفيات الأطفال ارتفاعاً كبيراً
 والآن وقد استخلصنا من احصائيات الوفيات هذه النتائج الواضحة التي يجب ان تتجه اليها الجهود قبل سواها، فانه يجدر ان نكمل الصورة التي نعرضها الليلة بصورة أخرى عن الأمراض المنفشية في البلاد . ذلك لأن الموت ليس في ذاته الاً نهاية وله بداية هي المرض . والمرض هو الذي يجب اولاً ان تتجه اليه الجهود بالوقاية فان لم تكن فبالعلاج

ومع ان سجلاتنا الاحصائية عن الأمراض هي للأسف بعيدة عن ان تفي بالمرام ولا سيما في الريف المحروم من الأطباء فالتا مع ذلك نستطيع الوصول الى تقدير أمراض المصريين في الوقت الحاضر من مصادر مختلفة يمكن الاعتماد على أغلبها . واليك خلاصة تلك المعلومات يمكن تقسيم الأمراض التي تصيب شعباً من الشعوب الى ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

أولاً — **الأمراض المعتادة** * من جراحية وباطنية وهذه لا يكاد يختلف في نوعها شعب عن آخر ويجب ان يكون من السهل تدبير أمرها بتوفير سبل العلاج وخاصة للطبقات الفقيرة ومتوسطة الحال . والخلاصة التي يخرج بها الباحث بالاستقراء ^(١) أن لا أقل من مليونين من المصريين يصابون في كل عام بالأمراض العادية اصابة تقعدهم عن العمل او الكسب عدة أيام . وهذا بخلاف من يصاب بتلك الأمراض وانما الى درجة لا تقعدهم عن العمل وبخلاف الخسارة الفادحة في النشاط القومي الناشئة عن تفشي الأمراض الاجتماعية والوبائية

ثانياً — **أمراض اجتماعية** * وهي عادة أمراض مزمنة لا تقتل سريعاً ولكنها توجد منتشرة في السكان ولا يقتصر أثرها السيئ على الأفراد بل يتعداهم بصفة مباشرة او غير مباشرة الى المجتمع عامة فيضعف من اتاحه أو تفكيره أو نسله . كما يضعف مقاومته للأمراض والموت . وأهم هذه الأمراض في مصر هي الامراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما . وامراض سوء التغذية كالبلاغرا . وأمراض العيون كالرمد الحبيبي والصيدي . والامراض السرية كالزهرى والسلان . وأمراض أخرى كالدرن الرئوي والامراض العقلية وهذه وما يشبهها هي المحك الحقيقي لصلاحية الخطط الطبية والصحية التي تتبعها الدولة . اذ ان اسباب تلك الامراض توجد عادة متغلغلة في تلافيف الفقر والجهل والعادات السيئة وكذلك في نوع العمل الذي يرتقب به الانسان والوسط الذي يعيش فيه . وتحتاج الى يقظة وجهود متواصلة من جانب الرجال الصحين والاجتماعيين ويبلغ عدد المصابين بهذه الامراض كما يلي : بالرمد الحبيبي ٩٠ في المائة من السكان أي ٥٠٠.٠٠٠ ر ١٤ . والبلهارسيا ٧٥ في المائة من السكان أي ١٢ مليون . والانكلستوما ٥٠ في المائة من السكان أي ٨ ملايين . والديدان المعوية الاخرى ٥٠ في المائة من السكان أي ٨ ويضاف الى هؤلاء المصابون بالملازيا (١٢٠.٠٠٠ ر ١) والبلاغرا (١٢٠.٠٠٠ ر ١) والزهرى (١٢٠.٠٠٠ ر ١) والسلان (٨٢٠.٠٠٠) — وجملة المصابين بالامراض السرية ٢٠٠.٠٠٠ . ثم ان المصابين بالدرن الرئوي ٣٠٠.٠٠٠ وبامراض عقلية مختلفة بين موظفي الحكومة ومستخدميها ٣٢ ألفاً وبالخدم خمسة آلاف

ثالثاً — **الامراض الوبائية** * كالتيفوس والتيفوئيد وسواها . ولعلها أسهل الامراض توقياً

(١) وقد أيد الدكتور الوكيل بك هذه الخلاصة بإيراد احصاءات تسند هذا الرأي

ومنعاً . وذلك بفضل ما كشفه الطب الحديث من اسبابها وطرق عدواها ومكافحتها . ومع ذلك فالاصابات بها تتفاوت بين ٥٠ ألفاً وتسعين ألفاً ولا شك ان الحقيقة ثلاثة امثال او اربعة امثال ذلك اي نحو ٢٥٠ ألفاً وفي مقدمتها الحصبة والتيفويد والدفتريا والدوسنتاريا والانفلونزا والحمرة هذه هي امراض المصريين . اذا جمعناها بعضها الى بعض مرضاً مرضاً وجدنا جملتها زهاء ٥٠ مليوناً أي انها تكفي لاصابة شعب من ٥٠ مليون نفس بحيث يصيب كل شخص منهم مرض واحد فاذا وزعناها على المصريين أصاب كل شخص في المتوسط ثلاثة امراض في وقت واحد واذا اتبعنا ما يفعله الاحصائيون الاميركيون وأردنا ان نترجم هذه الارقام بالجنينيات التي تخسرهما الامة في الجهود القومي بسبب هذه الامراض واذا قدرنا ان متوسط قيمة الجهود الذي يبذله الشخص السليم في السنة يساوي ١٢ جنيناً فقط ، وان المصاب بثلاثة امراض يهبط انتاجه الى النصف وهو تقدير كثير التواضع ، رأينا ان ما تخسره البلاد بسبب هذه الامراض هو زهاء (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠) من الجنينيات في كل عام . بخلاف الآلام البدنية التي لا يمكن تقديرها . وهي خسارة جديرة ان تفتح العيون دهشة وتملأ القلوب اهتماماً . كما انها جديرة بان تذكرها ولالة الامور حين يضعون ميزانية الخدمات الطبية والصحية التي نعجز بدونها عن تقليل هذه الخسارة المادية الكبيرة في هذه البلاد . ولكي ندرك ما علينا حتى نستوفي ما يجب نحو الامة المصرية من الناحية الصحية وفقاً للمثل الصحية المقررة أعرض عليكم مايلي

(١) يوجد من المستشفيات الحكومية ذات الاسرة في القطر المصري لعلاج الامراض العادية ٧١ مستشفى منها ٢٨ مستشفى عمومياً بما في ذلك قصر العيني و ٤٣ مستشفى مركزياً ، وتشمل جميعاً نحو ٩٠٠٠ سريراً بينما البلاد محتاجة الى ٣٢٠٠٠ سرير للامراض العادية بمعدل سريرين لكل الف من السكان فالباقي هو ٢٣٠٠٠ سرير (اي ١٥٤ مستشفى في كل منها ١٥٠ سريراً)

(٢) — يوجد من مراكز رعاية الامومة والطفولة في القطر عامة ٥٥ مركزاً منها ٣٧ للحكومة و ١٨ لمجالس المديرية . حالة ان البلاد محتاجة الى ٢٢٥ مركزاً في المدن (بمعدل مركز لكل ٨٠٠ مولود من غير الاغنياء) و ٣٣٠ مركزاً في القرى (بواقع مركز لكل ١٢٠٠ مولود) اي الجمل ٥٥٥ مركزاً او عشرة امثال الموجود منها في الوقت الحاضر

(٣) — يوجد من عيادات الامراض السرية في القطر ١٩ عيادة فقط حالة ان المصابين بالامراض السرية يقدرون بمليونين اكثر من نصفهم مصاب بمرض الزهري ذلك السم الاجتماعي الذريع الذي لا يقتصر اذاه على الشخص فقط بل على النسل اي يشمل الاجيال القادمة بدنياً وعقلياً وفكرياً والبلاد في حاجة الى ٨٠ عيادة على الاقل (بمعدل عيادة لكل ٢٠٠٠٠٠ من السكان كما هو الحال في انكرا) فالباقي الذي يجب علينا انشاؤه هو ٦١ عيادة جديدة

(٤) — يوجد من مستوصفات الدرن ١٤ مستوصفاً ومن المصحات اثنتان بهما ٦٩٦ سريراً غير ١٦٠ سريراً في المستوصفات أي ٨٥٦ سريراً للمسولين المقدر عددهم بـ ٣٠٠٠٠٠٠ بينما البلاد في حاجة الى ١٥٠ مستوصفاً (بمعدل مستوصف لكل ٢٠٠ متوفى بالسل) والى ٣٢٠٠ سرير في المصحات (بمعدل سرير لكل ٥٠٠٠ نسمة من السكان). فالباقى الذي يجب إنشاؤه ١٣٦ مستوصفاً و ٢٣٤٤ سريراً في عدة مصحات

(٥) — يوجد لعلاج البلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية في القطر أجمع ٩٥ عيادة من ثابتة ومتنقلة وملحقات بالمستشفيات والمدارس وهي تعالج في كل عام نحو مليون من المرضى منهم نحو ٥٧٠٠٠٠ بالبلهارسيا بينما المصابون بها في القطر ١٢ مليوناً ونحو ٢٧٠٠٠٠ بالانكلستوما بينما المصابون بها ٨ ملايين ونحو ١٢٠٠٠٠ بالديدان المعوية بينما المصابون بها يقدرون بمائتي ملايين أيضاً

فلا عجب اذا كانت قلة عدد هذه العيادات باعثاً على خيبتها في القضاء على هذه الامراض بناتاً في القطر منذ الشروع في انشائها من حوالي ٢٠ سنة. ومع انها تشفى من تعاليجهم وقد قلت مضاعفات تلك الامراض عامة في القطر فانها لقلّة عددها تترك الكثرة دون علاج فتعود مهم العدوى الى من عولجوا. فاذا كان الغرض من انشائها هو القضاء على هذه الامراض عن طريق علاج المرضى وتنظيفهم من العدوى فانه يجب زيادة هذه الوحدات حتى تبلغ ٢١ ضعف عددها الحالي (٦) — يوجد من مستشفيات الرمد وعياداته بالقطر المصري ٨٧ مابين ثابت ومتنقل. منها ٧٤ للحكومة و ١٣ لمجالس المديرية. ويبلغ عدد المرضى الجدد الذين يعالجون بها سنوياً نحو مليون وربع مليون بينما المصابون بالرمد بالقطر يقدرون بـ ١٤٥ مليون

ومع ان هذه المستشفيات والعيادات قد أسدت منذ الشروع في انشائها في أوائل القرن الحاضر خدمة طبية جيدة وخاصة في منع مضاعفات الرمد الصيدي اذ هبطت نسبة العميان بعين واحدة أو عينين في مصر الى ٥٠٪ من المرضى المفحوصين سنة ١٩٣٦ بعد ان كانت ثلاثة امثال ذلك في سنة ١٩٠٩، فان عددها غير كاف بناتاً لعلاج المصريين وتنظيفهم من الرمد الحيبي ويجب زيادتها الى عشرة امثالها على الأقل. وربما كانت الحاجة ماسة كذلك الى عيادات وقائية اخرى خاصة للأطفال مع الدعاية الصحية القوية على نطاق واسع لمقاومة العدوى التي تبدأ في الانسان عادة في اثناء الطفولة

(٧) — يوجد من مكاتب الصحة التي يعنى اطباؤها وموظفوها بالشؤون الوقائية والصحية العامة في مختلف انحاء المملكة ٢١٥ مكتباً في القطر اجمع يشغل أغلب اطباؤها على نظام «بعض الوقت» اي ان لهم بحكم هذا النظام ومرتباتهم القليلة ان يشتغلوا في عياداتهم الخاصة لتكملة مواردهم

الشخصية . ولا يزيد عدد الحاصلين منهم في تلك المكاتب على دبلوم الاختصاص في الصحة العامة (التي لا يسمح في الممالك الراقية توظيف مثلهم دون الحصول عليها) عن ٣٠ طبيباً . بينما البلاد محتاجة الى ٤٦٦ طبيباً من نوع مفتشي الصحة الاخصائيين (بمعدل طبيب صحي لكل ٦٠,٠٠٠ في المدن و ٣٠,٠٠٠ في الريف) . على ان يكونوا جميعاً حاصلين على دبلوم الصحة العامة ويشغلوا على نظام «كل الوقت» أي يكونون منقطعين لأعمالهم الرسمية دون سواها

(٨) — أما من وجهة تحسين البيئة او الوسط فليس في مصر سياسة تخطيطية مقررّة الاً لمدينة الاسكندرية وحدها . ولا توجد عمليات مياه نقية من مياه النيل المرشحة او الآبار الاً لنحو اربعة ملايين ولا توجد مجار عمومية في ثمانى مدن . ولا يزال هناك ٣٧٤٠ بركة مساحتها زهاء ١٠٠٠ فدان . كما اننا أبعد ما نكون عن مشروعات ازالة الاحياء غير الصحية وانشاء المساكن الرخيصة للطبقات العاملة بينما انه في الاقطار المتعدنة قد صار تصحيح هذه امراً واقماً من عشرات السنين

(٩) اما من وجهة عدد الاطباء اللازمين للبلاد فاقنا اذا أخذنا بالمعدل الادنى في الممالك المتعدنة وهو طبيب لكل ٢٠٠٠ نسمة، وجدنا ان هذه الامة المكونة من ١٦ مليوناً تحتاج الآن الى ٨٠٠٠ طبيب للعناية بها طبيباً وصحياً . وليس عندنا منهم غير ٤٠٠٠ طبيب على الاكثر بين مصري وأجنبي وموظف وغير موظف

وهذا العدد يزداد الآن بحسب التقارير الرسمية بمعدل ١٤٥ طبيباً في العام منهم ٩٢ أي نحو الثلثين من كلية الطب بمصر والثلث الباقي من خريجي المعاهد الاجنبية في الخارج . فاذا أردنا سد النقص على عشر سنوات مع ملاحظة نمو عدد السكان في تلك المدة الى ١٨ مليوناً وجدنا ان الحالة تتطلب تموين البلاد بما لا يقل عن ٥٠٠ من الاطباء الجدد كل عام في تلك السنوات العشر . ويكون من الواجب اذن مضاعفة عدد الخريجين من أطباء كلية الطب ليكونوا ٢٠٠ في العام . وفي الوقت نفسه الاسراع في انشاء مدرسة أخرى بالاسكندرية تخرج ايضاً ٢٠٠ في العام في العشر السنوات الأولى ، وبعد ذلك يمكن تخفيض العدد الى النصف في المدرستين

أما المولدات وكذلك الممرضات والزائرات الصحيات والمعاونون الصحيون وهم اليد اليمنى أو على الأقل اليد اليسرى للاطباء فالبلاد فقيرة فيهم فقراً أشد كثيراً من فقرها في الاطباء مع ضرورتهم القصوى للعناية الطبية والصحية بالامة وتحتاج البلاد الى زيادة عدد الخريجين والخريجات منهم اضعافاً مضاعفة في مدارس متعددة طبقاً لما هو ممارس في الممالك الراقية التي تعتبر فيها كليات التمريض والتوليد والزائرات الصحيات من اكبر المعاهد شأناً لتعليم الفتيات صناعة يعيشتن منها وكذلك معاهد معاونين الصحيين للشباب

ندوة الأرواح

» يا حبيبي

أحببتك بقدر ما يجب الاعمى أن تصبح عيناه مبصرتين، فكرة
ندية ترف في خاطري المقفر الكئيب ٠٠٠ فهل ظفرت من قلبك
النوراني بخفقة اشفاق ملائكية تسفح في دمي الشعور بالحنو؟ ٠٠٠

وَشَعَّ الْفُلُ مَفْرَقَيْنَهَا وَمَا جَتْ فوق نهديها نفحةُ النوبهارِ
أَنَّ الْوَرْدَ فِي يَدَيْهَا عَطُورٌ هي بثُّ مُطَيَّبُ الْأَسْرَارِ
وَاتِّلَاقُ الْأَحْلَامِ فِي مَقْلَبِهَا يغمرُ الروحَ باعتلاجِ النارِ
وَرَفِيفُ الصَّفَائِرِ السُّودِ يُوحِي شَفَقِيَّ الطُّيُوفِ وَالْأَشْعَارِ
تَهْرُقُ السِّحْرَ فِي الْحَدِيثِ قَتْسَرِي خمرةُ الحبِّ في مدى أغواري
وَاحْتِلَاجُ الْأَنْفَامِ فِي شَفَتَيْهَا يُذْهِلُ النَّفْسَ عَنْ جَوَى الْأَوْتَارِ
.....

وَافْتَرَقْنَا فِي فَوَادِي لَهَبٍ مستحبٌ ، مُذْهَبُ التَّسْعَارِ
وَخَفُوقٌ ، وَلَهْفَةٌ ، وَحَيْنٌ ، ورمادٌ مَكْلَلٌ بِاسْتِعَارِ

مَا دَنَا النَّيْءُ مِنْكَ إِلَّا لِيَحْظِيَ بكِ في ذاته غداةَ النهارِ
زَفَرَاتُ الصَّبَاحِ نَحْوَكِ نُورٌ هو وجدُ الشُّرُوقِ وَالْأَسْحَارِ
غَنَوَةٌ أَنْتِ مَنْ فَمِ اللَّهِ ، سَكْرَى وأنا السَّمْعُ ، مُنْهَضَتُ الْأَغْوَارِ
جَدُولٌ أَنْتِ ، رَائِقٌ ، ذَهَبِيٌّ وضميري الشَّطَّانُ لِلتَّحْدَارِ
أَنْتِ عَشْقٌ ، مُسْتَعَذِبٌ كَوَكِيٌّ وأنا العِصْرُ مَفْعَمٌ بِالْأَوَارِ

أَنْتِ ظِلٌّ ، مطهرٌ ، سرمدِيٌّ وأنا الرملُ في اتقادِ الصحاري
أَنْتِ كُلُّ الحَيَاةِ ، أَنْتِ ربيعٌ موركُ النَّبتِ ، ساحرُ الأزهارِ

أظلمَ الليلُ فاسترقتُ كياني جائشُ الروحَ ، فأكلَ القيثارَ
وتغنيتُ باسمكِ العذبِ حتى غصَّ حلقي برنة التكرارِ
أنا يا ربةَ الجمالِ غريبٌ ضلَّ في القفرِ سمتهُ المتواري
فأرَ في داخلي اشتياقٌ رهيبٌ لبقاعِ وَهْمِيَّةِ الآثارِ
شادَ لي الوهمُ يا (بهجة) كوخاً ألقياً على رُبِّي الأنهارِ
قد غداه الخيالُ حتى تراءى ندوة الأرواحِ الظماءِ الحارِ
مقمرِ العشبِ ، ليس فيه خريفٌ لفه الماسُ من نهيرِ جاري
سَقَسَقَ الزرورُ المُلوكي فيه بين وُزُقٍ ، مُرَقَّشاتِ صغارِ
كنتِ فيه إِلَهَةً من فُتُونِ وحواليكِ سَجْدَةُ الأَبصارِ
وأنا من عبدانكِ الخُرْسِ لكنْ مطلقُ القلبِ في هناءِ الجوارِ

.....

سُجَّةُ الحُلَمِ استغرقتني ومدت في أنفاسها اللطافِ السواري
وأذا بي صَحوتُ من سكراتي ومرائيكِ في دموعي الفيزارِ
وسوادُ الهزيعِ يزحمُ عُنُقِي وارتعاشُ الأشباحِ في أفكاري

شرعةُ التَّربِ يا حبيبةُ سُنَّتِ لبني الطينِ ، لا بني الأنوارِ
فدعيمهم على الأباطيلِ وأصفي لأغاريدي في الظلامِ الساري
وتعالِي .. نَطِيرُ إلى الغيمِ ، إنَّا قد مَلَمْنَا أَرْضِيَةَ الأوكارِ

عبر الرحمن الخميس

صناعة مطران

المبحث الثالث عشر

الفنية

للدكتور اسماعيل احمد ادهم

«توطئة»: قلنا — فيما سبق — ان اساس الشاعرية ادماج الحياة في الطبيعة الفنية ، وقد تناولنا بالمبحث في الفقرة الاولى من المبحث الحادي عشر وجه هذا الادماج عند مطران كما تناولنا في الفقرتين الثانية والثالثة من المبحث المذكور، الصورة التي تأخذها الحياة في وجدانه. ومن المهم ان نقول ان هذه الصورة حية ، لانها من فيض الوجدان ، تنبع من النفس . وهي بذلك ليست نتيجة لتفاعل الالفاظ وليست وليدة تداعي العبارات والجل . ومن هنا نفقد انه من المهم في دراسة شعر مطران ، النظر في كيفية افاضة مطران للحياة من صفحة وجدانه . وهو الشيء ، الذي يفضي بنا الى بحث موضوع كيفية محي . شكل التعبير من الروح الشعرية المستولية عليه . وأول ما يستوقف النظر في هذا المبحث ، ظاهرة التناسب او ما يسميه البعض الاتزان (او التعادل equipoise) بين شكل التعبير والمادة التي يحتويها التعبير . وهذا التناسب يرجع الى ان الحياة تفيض من وجدان مطران ، متخذة كساءها التبريري الذي تظهر رافلة فيه تماماً على حدّ قدها . وهذا يرجع الى ما في شعر مطران من صناعة فنية تلين اللغة وتعايرها لما يحيش في نفسه من خواطر ويحتاج قلبه من خلجات ويستولى على خيلته من صور ومن هنا يمكن القول بأن شعر الحليل يتزن فيه وتناسب الشاعرية الصافية poesia مع الصناعة الفنية . والواقع ان كبار الشعراء والفنانين والادباء تتناسب عندهم الصناعة الفنية مع الروح الفنية ، ولما كانت الشاعرية في الشعر هي الروح التي تحل في التعبير الشعري ، أو بتعبير أدق ، لما كانت هي الحالة النفسية القائمة وراء الجسم المادي للقصيدة ، فان الكمال perfection في الشعر يقوم على اساس الاتزان بين الروح الشعرية والتعبير الشعري من جهة من جهاته . ومن هذه الوجهة في وسعنا ان نتكلم عن ان مطران أسمى مقاماً من احمد شوقي ، الذي تغلبت في شعره الصناعة على الشاعرية . هذا ومن جهة اخرى نجد مطران الشاعر العربي في العصر الحديث ، الذي نجد في شعره اكبر عدد من القصائد المحقة لهذه الوجهة من الكمال الشعري والواقع كما قلنا في المبحث الاول من هذه الدراسة ، انه من الصعوبة بمكان وضع حد فاصل بين الروح

الشعرية والتعبير الشعري ، على وجه قاطع ، وقلنا انه من الممكن عن طريق النظر في العناصر المتميزة في الشعر الادلاء برأي في هذا الموضوع ، فيحكم الناقد بقلبة الشاعرية على الصناعة الشعرية عند شعراء مثل فرلين ورامبو والفريدي موسيه وبقلبة الصناعة الشعرية على الشاعرية عند شعراء مثل سولي ده برودوم وكونت ده ليل وبتناسبها عند كورنيل ولامارتين وراسين وشانيني مثلاً . وفي الادب العربي يمكن القول بأن أي تمام تغلبت عنده الصناعة على الشاعرية بينما ابن الرومي والمتني تغلبت عندهما الشاعرية على الصناعة والحال عند البحترى والشريف الرضي اتران وتناسب بين الشاعرية والصناعة . وهذا التوضيح أظنه كاف لبيان الغرض من الشاعرية والصناعة الشعرية حين أتكلم عنهما . ولما كانت الشاعرية متصلة بأجواء الحياة التي في وجدان الشاعر ، فإن كيفية افاضة الحياة من صفحة الوجدان ، لاتعني اكثر من وجه الباس الشاعرية المجردة كسائها المادي من الالفاظ ، وربطها في تعابير وصوغها في البحر وأوزان شعرية ، وبتغيير آخر هي وجه صب المادة الشعرية في الشكل المنظور الذي تظهر فيه . وقد يرى البعض متابعة لبعض آراء النقاد الفيلسوف بنديتو كروتشي الايطالي الذي يترجم عن الرأي القديم في هذا الموضوع لآبناء هذا الجيل ، ان المادة الشعرية لا توجد في وجدان الشاعر الا ويوجد معها تعبيرها وشكلها المنظور (١) . وهذا صحيح من جهة انه لا يمكن تصور مادة بلا شكل . ولكن أليس في الامكان على سبيل المفارقة تصور المادة بلا صورة ، لا من ناحية الواقع ولكن أخذاً على جانب التصور ؟ اعتقد ان هذا ممكن خصوصاً واننا نرى في تاريخ الآداب والفنون ، كيف ان مادة معينة تلبس صوراً مختلفة ، وكيف ان الفكرة الواحدة والاحساس الواحد والصورة الخيالية الواحدة ، تتخذ قوالب مختلفة تتباين وتتفاضل في دلالتها على الفكرة وقدرتها على حمل أجوائها وهذا هو سر التغيير والتبديل في شكل التعبير دائماً عند البلغاء أمثال بوسويه وأناطول فرانس ، وهي في الآن نفسه سر المراجعة والتبديل في التعبير عند الرافعي امام البلغاء في الادب العربي الحديث

ولا شك ان هذه المراجعة للعبارة ، ومحاولة تنقيحها باجراء يد التبديل عليها او التغيير على بعض أجزائها في حقيقة الامر لا تخرج عن تدقيق يراد به الانتهاء الى ان تكون العبارة انعكاس صحيح عن الحالة الداخلية المستوية على نفس الشاعر او الكاتب او المنشئ او الاديب . ومن هنا كان التنقيح وسيلة يعتمد اليها البلغاء دائماً للانتقاء الى الصورة التعبيرية التي تعكس تماماً ما في نفوسهم ، يستندهم في هذا ذوق أدبي ممتاز خلص بالارتياض الى كلام البلغاء بسليقة صناعية وقعت على الصلات الخفية التي تربط الالفاظ عندهم بما وراءها من المعاني والاحاسيس والاخلية ، وعلى أوجه الموافقة بين الالفاظ فلا يقع بين أفرادها من الشذوذ او عدم التألف شيء . وفي هذا وحده سر التغيير الذي لمسنا طروده على شعر الخليل بين الصيغ الاولى التي نشرت ، والصيغ الاخيرة التي اثبتت في الديوان (٢)

(١) Benedetto Croce في Estetica ، باري ١٩١٢ — فصل XVII وحدة اللغة والجمال (البيدع) ص ١٦٥ — ١٧٨ ، وتجد صدى هذه النظرية عند مارون عبود في نقده لمنهج دراستنا أنظر ذلك في المكشوف العدد ١٩١ (١٣ آذار ١٩٣٩) ص ٩ والعدد ٢٣٩ (٤ آذار ١٩٤٠) ص ٤ وما بعده ، وهو في هذا متأثر بفكرة التلازم بين المادة والصورة ، بين الشاعرية والتعبير الشعري . وتجد رأياً في هذا الموضوع في كتاب أصول النقد الادبي لاحد الشايب ١٩٤٠ ص ٢٢٥ — ٢٢٨ وله أيضاً الاسلوب ١٩٣٩ ص ١٥٥ — ١٦٦ (٢) انظر الدراسة ص ٨١ ص ٢٤ وما بعده و ص ١٢٣ ص ٦ وما بعده و ص ١٢٤ — ١٢٦ وأنظر تعليق النقادة اللبناني مارون عبود على ذلك في مجلة المكشوف البيروتية العدد ٢٣٩ (٤ آذار ١٩٤٠) ص ٤ ، وفيما يلي تفسير كاف برد رأيه

ثم يعبر
البنية
شعره
على
هنا
زهير
ومن
شعره
فنية
وأخيلة
وجرى
والجانب
موضع
مطلوبة
وروعة
وسيلة
تمام .
هذا
هو الذي
يقول

غير
فالصيغ
في ذهنه
التي تحجب
(١)
والجرجا

والحقيقة ان مطران من شعراء الصناعة الفنية في الأدب العربي . فتراه ينظم القصيدة ، ثم يعيد النظر في أعطافها يطلب فصاحة الكلم وجزالة اللفظ وبسط المعنى وابراز الفكرة واتقان البنية واحكام القافية وتلاحم الكلام بمعضة بعض . ومن هنا جاء الجهد المبذول في صياغة شعره ، والصناعة تظهر في تهذيبه تعابير الشعريه وصقل الفاظه بحذف غريبها او متنافرها وحرصه على انسجام موسيقاه الشعريه وتحريه مساواتها وجريه وراء التناسب بين الفقرات والجل . ومن هنا جاءت جزالة شعره وحسن سبك وخلوه من الفضول اللفظي

ومطران في هذا يحذو حذو مدرسة خاصة ، هي مدرسة شعراء الصنعة الفنية التي امامها زهير بن ابي سلمي ومن أنجب تلاميذها الخطيئة وابي تمام ومسلم بن الوليد وعبدالله بن المعتز (١) — ومن هنا جاءت الصلة القوية التي تربط مطران في صناعته الفنية بأبي تمام في صنعة الفنية في شعره ، وآثار هذه الصلة واضحة في عبارتهما غير ان مطران يفرق عن صاحبه في ان صناعته فنية قائمة على أساس التناسب بين الفكرة والعبارة ، ومن هنا كانت صناعته خاضعة لمعانيه المستكرة وأخيلته وأحاسيسه ، يقابل ذلك ان صاحبه أفسدت عليه قوة صناعته شاعريته في كثير من المواضع ، وجرى وراء الصنعة وكأنها مقصودة لذاتها ، ومن هنا كان تعلقه بالبديع وتكلفه الطباق والجناس والاستعارة والتقسيم حتى ذهب ذلك بالكثير من روعة شعره وجلاله (٢) — وهنا موضع الافتراق بين مطران وابي تمام ، فمطران مع عنايته بالصناعة ، إلا ان الصنعة عنده غير مطلوبة لذاتها ، وإنما لتكون وسيلة لبسط المعنى وابراز الفكرة في صورة تنفق مع جلال المعنى وروعة الفكرة ، اما ابو تمام فعنايته بالصناعة انقلبت الى أن طلب الصنعة لذاتها ، ونسي أنها وسيلة كانت عنده لما تحمل وراءها من معنى وفكرة . وهكذا تغلبت الصناعة على الشاعرية عند أبي تمام . بينما هما تتناسبتا وتوازتا عند مطران

هذا التناسب بين الشاعرية والصنعة هو الأساس الذي ينبع منه فن الخليل . فأنت ترى ان الاصل الشعري هو الذي يملك على صناعته مداخلها . وهذا واضح في الامثلة التالية :

يقول الخليل في قصيدة « فالجة في هزل » (مجلة أنيس الجليس ، م ١ ج ١٠ ص ٣٢٧ — ٣٢٨) :

١٢ : كالشمس في اليوم المطير اذا انجلت كان الضياء مضاعف اللآلء

غير ان هذا البيت ثبت في الديوان في صيغة أخرى اليك نصها (الديوان ١٦ — ١٧) :

١٣ : كشموس أيام الشتاء اذا انجلت عاد الضياء مضاعف اللآلء

فالصيغة الاولى اقصر في الدلالة على الصورة الشعريه التي في ذهن الخليل من حيث أنها جزئية بينما هي في ذهنه كلية . وأنت تراه عمم الصورة الاولى على كل أيام الشتاء وشموسها فانقرجت نتيجة لذلك الحقيقة التي تحجبها الصورة في مدى أوسع وأرحب من المدى الاول . كذلك تغيير لفظة « كان » بلفظة « عاد »

(١) احمد الشايب في الاسلوب، الاسكندرية ١٩٣٩ ص ١٥٩ (٢) المرجع ذاته ص ١٦٩ — ١٧٠

يربك مثلاً في دقة الصنعة حيث لمس الناظم ، ان لفظة «عاد» تنشر في الذهن صورة الشمس على أساس عودتها
أكثر اشراقاً ، وهي بذلك ادل على المعنى من لفظة «كان» التي تنشر معنى السكينونة . كذلك قول الخليل في
قصيدة «الرجسة» (انيس المجلس م ٢ ج ٨ ص ٣٠١—٣٠٢)

٢ : غلبت حميته هوام لعرسه فأى أسيفاً مستهماً موجماً
٥ : كانت تقبلها وتسقيها معاً كالأم وهي تضم طفلاً مرضعاً
٦ : حتى إذا جاءها منعى الحبيب فوشكت مما شجأها البين ان تنصدحاً
٧ : وكأن ذاك الخطب مما راعها ما كان قبل وقوعه متوقفاً
٨ : سالت ما آقها وجف فؤادها أسفاً وأذكى البين منها الاضلعاً
٩ : وتفقدت في اليأس زهرتها التي كانت لها أملاً وكانت مفزعاً
فلما تغيرت كية في الصيغة المثبتة في ديوان الخليل ص ٤٤ واليك نصها كاملاً :

١ : داع دناه الى الجهاد فأزمعاً سفيراً وجاد بنفسه متطوعاً
٢ : غلبت حميته هوام لعرسه فنأى وودع قلبه اذ ودعاً
٣ : وقضت «أمينة» بعده أيامها في الحزن غير أمينة ان تفجعاً
٤ : غرست بصحن الدار زهرة نرجس لتكون سلوئها الى ان يرجعاً
٥ : كانت تبالغ في رعايتها كما ترعى عيون الأم طفلاً مرضعاً
٦ : حتى اذا ما جاءها عن بعلها نبأ أصم المسمعين وروحاً
٧ : شقت مرارتها عليه وأوشكت من هول ذلك الخطب ان تنصدحاً
٨ : وكأن ذاك الرزء قبل وقوعه مما شجأها لم يكن متوقفاً
٩ : فتفقدت يوماً أليفها التي كانت سلتها حسرة وتوجماً
١٠ : فاذا بها ذبلت كزهره حبها كلتها نمتا وعوجلنا وما
١١ : ذبلت وحلاها الندى فكأنها عين أسال الحزن منها مدمعاً

وأنت لا يخطئك الدليل في ان طلب تمام التناسب والمطابقة بين صورة التعبير والمعنى هو الذي ساق الشاعر
في اجراء هذا التبديل . وربما كانت الصيغة الاولى تبدو كاملة من حيث تدل على المعنى . ولكن قصورها
يبدو للنظر بالمقارنة بالصيغة التالية . والرغبة في الاستكمال هي التي دفعت الناظم الى اجراء يد التبديل
وبعض التغيير على بنائها . فثلاً تبديل عجز البيت الثاني من «نأى أسيفاً مستهماً موجماً» الى «نأى
وودع قلبه اذ ودعاً» خلق على القصيدة جواً لم تكن فيه من قبل وقوى الحالة النفسية التي يتضمنها عجز البيت
وذلك على أساس تعبيره عن الاحساس في صورة الحماية بدلا من الصورة المباشرة التي رسمها في الصيغة
الاولى . كذلك التبديل الذي أجده الناظم في البيت الخامس اضطر اليه لاحكام الفكرة ، والحق ان الفكرة
مقلقة في عبارتها الاولى لان الزهر الذي غرستها «أمينة» بعد سفر بعلها لتكون سلوة لها حتى يرجع ، لا تتجمل وجهاً
لتصور تقبلها ، وان كان وجه الرعاية هو الطبيعي والغالب . وهكذا نجد الرغبة في احكام الفكرة هي التي
تمسك على هذا التبديل أسبابه . على ان هنالك حالات كان التبديل فيها سببه الرغبة في تصحيح خطأ وقع فيه
الخليل ، كذلك الايات التي سبقت اليها الاشارة من قصيدة «وفاء» في مبحث آثار مداران (ص ١٢٣)
(١٢٤) . فطران يروي لنا ان السبب في هذا التغيير هو تحاشي الوقوع في صيغة نحوية ضعفا النحويون
(انظر عن ذلك ما يذكره في المجلة المصرية م ١ ج ١٠ ص ٦١٥—٦١٦) ، او ابدال كلمة بأخرى
أوقع واكثر مواءمة للمكان التي كانت فيه الاولى في جو البيت ، من ذلك ابدال لفظة «تهضت» بلفظة
«فبرزت» في البيت العاشر من قصيدة «فاجمة في هزل» (الديوان ١٦) ولفظة «نبأ» بلفظة
«منبئي» في البيت الاول من قصيدة «ان من البيان لسحرا» (الديوان ٣٧—٤١) . وفي هذه
القصيدة تغييرات من هذا الباب من ذلك تغيير «الاسود» بلفظة «اليوث» في البيت التاسع عشر ،

وعبارة « تقمأ كباثر » بعبارة « وأترأ لواتر » بمعنى ثاراً لطالبه في البيت الحادي والعشرين منه ، ولفظة « حاضر » بلفظة « غابر » في عجز البيت الرابع والاربعين . وهذه التغيرات جميعها خاضعة لصناعة فنية ، رأت في اللفظة التي انبثقتها محل الاولى ما تؤثر من أجله في الموقع الذي كان لها من الكلام . وفي الجو الذي تعيش فيه العبارة (١) . وادراك سر هذا التفاضل بين الالفاظ متأخذة ، راجع الى ما استزاده الخليل من فن اللغة وبلاغة العرب وأسرار تأليف التراكيب في العربية مع الزمن

وقد تكون جميع هذه الامثلة وان دلت على الغرض المقصود منها ، لاتدل على الصناعة الداخلية التي تدور مع تأليف العبارات والتراكيب حين نظم القصيدة ، وهذا صحيح ، ولكن هذا مقدمة لتلك ، وقد يكون من المفيد هنا اثبات هذا الخمس من قصيدة « الجنين الشهيد » (الديوان ٢١٣)

وكان يوم الصبح ان يتطلعا
ويغلق أزرار السماء لتسرحا
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا
دما طاهراً أجراه أثم فتي نذل

فهنا الشاعر قال: « ويغلق أزرار السماء لتسرحا » في عجز البيت الاول . وفي صدر البيت الثاني قال: « ويفتض جلباب الظلام ليخلعا » ، وعاد وغير لفظه « ليخلعا » بلفظة « ليرفعا » . على انه لم يثبت عندها تين الصورتين فعاد وغيرها وقال : —

وكان يوم الصبح ان يتطلعا . ويفتض أزرار السماء ليسطعا
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا فلم يطو منه الذيل الا وقد وعى
دماً طاهراً أجراه أثم فتي نذل

فهنا الفكرة المتسلطة على ذهن الناظم ، ان بطة القصة ذهبت مع عشيقها قبيل الصبح الى خلوة حيث استسلمت له تحت تأثير اغراء شديدة تعرضت له . والشاعر مدفوعاً بصناعته لاحظ امكان استحداث الطباق بين هذه الفكرة وصورة الصبح وهي تفتض ازرار السماء ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعه ، فلم يكده يطوى الليل ذيله الا وأدرك دماً طاهراً يسيل من فتاة غرر بها فاستسلمت لرفيقها . والتدقيق في اجراء هذا الطباق وملاحظة اجزاء الصورتين ، وأن تكون الصورة التصويرية مبرزة الفكرة وبأسطة المعنى هي الحركة في هذا المقطع لما جرى من تغيير وتبديل . وفي هذا المثال يتضح كيف ان الفكرة والصناعة معاً امسكتا على الخليل صياغة تعبيره

(١) انظر عن ذلك: عبد القادر الجرجاني في دلائل الإعجاز ص ٣٨/٣٩ والشايب في أصول النقد الادبي ص

— ١ —

لما كان التعبير يترجم عما تحته ويعكس ما وراءه ، فهو يحىء عادة من الروح التي في نفس المنشئ أو الكاتب أو الأديب أو الشاعر . وهذه الروح تبحث عن جسدها التعبيري لتحل فيه وتظهر به في أسلوب تتخذه من طبيعة الشاعر ، وما في خزانة ذاكرته من الألفاظ ، ثم هي بعد ذلك تريد زيتها عادة من فن الشاعر ^(١) — وبحث الروح أولاً عن جسدها ، ثم عن زيتها ثانياً ، يريد ان التعبير من حيث هو أسلوب يخضع للروح الشعرية في الشعر ، ومن حيث الزينة الداخلة عليه يرجع الى صفة الشاعر . واذن فيجب ان نفرق في دراسة التعبير بين هذين الوجهين . اما الوجه الاول فهو مقصدنا في هذه النظرة . ولما كانت الروح الشعرية تبدو خصائصها في طبيعة الشاعر الفنية . فان تلخيص القول في طبيعة مطران الفنية هو صفة تعدد الجوانب وتركب الذاتية . ومن هذه الصفة نحى بقية خصائصه على ما يدنا في بحثنا لطبيعته الفنية في المبحث الحادي عشر . وهذا التعدد في الجوانب والتركيب في الطبيعة يضيفان عنصر التعدد والتركيب على افكاره وأخيلته ومعانيه وأحاسيسه ، وقد لمسنا هذا كله في دراستنا لشاعريته في المبحث الثاني عشر . وهذا التعدد والتركيب في عناصر الشاعرية يظهران تركيباً في عبارته وفي موسيقاها . وهذا التركيب في العبارة واضحة في كل شعره ، وقصيدته « المساء » (الديوان ١٢١/١١٩) و « الأسد الباكى » (الشعراء الثلاثة ٣١٥/٣١٦) و « في ظل ثمال رعمسيس » (المقتطف ٦٤ : ١٢٩ / ١٣٤) ، وجميعها من أروع شعره ، يظهر فيها تركيب العبارة ، من جهة تداخلها باحكام التركيب شرطاً وجزاء واستثناء وترتيباً واستنباطاً ، فعبارته مقسمة مثبدة ، وهذا واضح في قوله في ختام قصيدة (المساء) : ^(٢) —

٣٤ :	ولقد ذكرتك والنهار مودع	والقلب بين مهابة ورجاء
٣٥ :	وخواطري تبدو نجاه نواظري	كلى كدامية السحاب ازائي
٣٦ :	والدمع من جفني يسيل مشعثاً	بسنى الشعاع الغارب المتراخي
٣٧ :	والشمس في شفق يسيل نضاره	فوق العتيق على ذرى سوداء
٣٨ :	مررت خلال غمامتين نحدر	وتقطرت كالدمعة الحمراء
٣٩ :	فكان آخر دمعة للكون قد	منجرت بأخر أدمعي لرائي
٤٠ :	وكأنني آنست بومي زائلا	فرايت في المرأة كيف مسائي

(١) المبحث الاول ص ١ س ٣ وما بعده وكذلك محمود محمد شاكر في مبحثه النفيس « الشعر » بالرسالة ، العدد ٣٥٢ ص ٥٨٤ س ٢٦ وما بعده

(٢) الايات ١ — ٩ من القصيدة ص ١٥١ من الدراسة ومن ١٨ — ٢٢ ص ١٥١ منها ومن ١٨ — ٢١ ص ١٤١ منها ومن ٢٢ — ٢٨ ص ١٣٧ منها وهكذا يمكن تكوين فكرة طامة عن القصيدة من مطالعة معظم اجزائها معاً

وانت ترى التطبيق في ختام القصيدة بين الخارج والحالة الداخلية (النهسية) للشاعر ، وهي صورة تركيبية كما هو واضح للتظر

وهذا التركيب في التعبير الذي يقابله تركيب في الفكرة ، مع ميل مطران نحو التحليل ، وتقصي اجزاء الصورة وربطها والعمل على ضبط النسب بين خطوطها والتدقيق في مزجها ، يظهر في شعره اشاعة للصورة الشعرية في اكثر من بيت ، واستقصاء لاجزائها في عدة ايات . مثال ذلك انه يقول من قصيدة « بنفسجة في عروة » (ابولو ١ : ٦ / ٨) في وصف طفل رأى بنفسجة في عروة الشاعر وذلك بعد ان ينتهي من وصف الزهرة :

- | | | |
|------|--------------------------|--------------------------|
| ١١ : | راودني الطفل حين أبصرها | عنها بما للصغار من حيل |
| ١٢ : | مطوقاً في التماسها عنقي | وسأحاً ما أشاء من قبل |
| ١٣ : | فاستلها من مكانها وأنا | أدفعه دفع من يرغبه |
| ١٤ : | كم من حبيب وانت تبعده | تصدده صد من يقربه ! |
| ١٥ : | من ذلك الطفل ؟ صورة بلغت | بها العناية غاية الحسن |
| ١٦ : | فظن ما حسن امه ، ولقد | أقول بالغ ما شئت بالظن ! |
| ١٧ : | أعطيته زهرتي فقلها | هنيئة محسناً سياسته |
| ١٨ : | حتى اذا ما قضى لبائته | وكاد يبدي لها شرسته |
| ١٩ : | توثبت أمه وقد لحت | ما كان منه ، حقيقة القدم |
| ٢٠ : | وارتجفتها منه مبالغة | لديه بالترضيات في السكهم |
| ٢١ : | فروت العين من محاسنها | وانتشقت عطرها على مهل |
| ٢٢ : | كم اعادت الي ضائتي | مورداً وجهها من الخجل |
| ٢٣ : | أأصلحت من وليدها خطأ | وليس فعل الوليد بالنكر ؟ |
| ٢٤ : | أم أدركت ما أكن من شغل | بها ، فباحث بأنها تدري ؟ |

ففي هذه الايات التي نقلناها لك تقع على مثل واضح من اشاعة الصورة الشعرية في اكثر من بيت ، واستقصاء لكل جزء منها في بيت . والسبب في ذلك واضح . فالبيت المنفرد يضيق عن استيعاب الصورة الشعرية بتفاصيلها ، والفكرة بجزيئاتها ومقوماتها . ولما كانت دقة الوصف متسلطة على مطران مع الميل الى تنسيق المعاني وترتيبها ومتابعة الفكرة حتى تتجلى والاسترسال مع المعنى حتى يأتي على آخره (١) ، وذلك على اعتبار انه شاعر متميز من جهة الفكر والخيال ، لذلك تراها يحيطان عنده في صورة مركبة . وتحليل هذا التركيب ثم بسطه يحتاجان الى قدرة على التنسيق والعرض ، ومن هنا جاء طابع التنسيق المنطقي على عبارته ، وهو مظهر لتداخل الفكرة في تكوينها ، او بالتالي دليل المراجعة وأثر الصنعة ، وهذا اوضح ما يكون في قصيدة (المساء) ، التي سبقت الاشارة اليها

(١) صديق شيبوب : خليل مطران في البصر - العدد ٨٤٢٤ (١٢ يونيو ١٩٢٥) ص ١ ،
النهر الثالث

وطابع التنسيق المنطقي في عبارة مطران ظاهر بوضوح ، مثل ذلك قصيدة « وقفة في ظل تمثال رعمسيس » (المقتطف ٦٤ : ١٢٩ / ١٣٤) ، ففيها تجد أثار العقل والصنعة في احكام العبارة ، وفي اتقان الصناعة بتأليف التراكيب بتؤدة يظهر فيها تداخل الفكر وعمل العقل ، الشيء الذي يجعل عبارته متشدة وموائمة للمعنى الذي تحمله في داخلها . ومن هنا كان شعره بريئاً من التناثر والاغراب مع تجنب الفضول وتحري القصد في العبارة وحسن التناسق بين الجمل وبينها وبين المعاني حتى بدا محكماً متقناً ملحوم الجوانب ، قد عمل فيه العقل والدوق بجانب العاطفة . ومن هنا كان شعر مطران يخرج مخرج المنشور في سلاسته وسهولته واستوائه وقلة ضروراته ، وهذه الميزة هي التي تتطلبها بعض نقاد الادب القدماء في المنظوم الجيد ^(١) . غير ان بعضهم قد يراها ، تجعل الشعر اقرب الى النثر ، ولما كان الشعر لغة الانفعال ، فمن هنا يجب ألا يحتمل المراجعة ، وعند هؤلاء ان مطران شاعر نظام . غير ان سر القيمة العليا لشعر مطران في هذا الذي ربما أخذ عليه ، تخير الشعر ما جاء اقرب الى لغة النثر ، دون ان يفقد مقومات الشعر الاصلية ، من جهة اللغة الانفعالية ، والروح التوقعية . والحق ان اللغة الانفعالية واضحة بجلاء في شعر مطران ، ولما كان انفعاله مركباً ، فقد يبدو مفقوداً للوهلة الاولى ، والواقع انه موجود ، ولكنهُ خفي ، لأنه ينبع من التناسب بين العبارة والفكرة ، بين الصورة . وهذه هي موسيقى المعاني التي تتطلبها بعض المجددين في الشعر كالدكتور أبي شادي وأضرابه من الرومانسيين ، وهذه الموسيقى تلحظها بقوة في قصيدة « تذكّار » (الديوان ١٧١ / ١٧٣) ، فان في المعنى والفكرة اللذين يحملهما القصيدة من روح الانفعال ، ما استولى على التعبير فظهرت فيه موسيقاها . ولما كان التوقيع (الايقاع) خاضعاً للموسيقى فحكمه هذا حكماً ، فهي لا تظهر في شعر مطران في الصورة التي تفتنك وتلمس سمعك من مجرد تلاوة القصيدة ، لأنها لا تنبع من الالفاظ ، كما هو الحال في شعر البحري واحمد شوقي . ولهذا فانك بماودة القراءة تكشف عن عنصر الايقاع الذي يبدو لك للوهلة الاولى ضائعاً ، يبرز لك مقسماً على أبيات القصيدة كلها ، ينساب مع أبياتها ويكر في انشاد بشكل يتناسب مع المعنى ويساير الفكرة . ولهذا تجدان الموسيقى في قصيدة « بنفسجة في عروة » التي سبقت اليها الاشارة خفية تكاد لا تلمس نظراً لأن عنصر العقل يغلبها . وذلك بعكس الحال عند ما تكون الفكرة المستولية على القصيدة هي عنصر الانفعال ، فان الموسيقى عندئذ تبدو للوهلة الاولى في صورة تستوقف السمع والمشاعر

وتداخل الفكر في تأليف جمل مطران وتركيب عبارته — وهي نتيجة للصنعة التي لا وجود

(١) احمد الشايب في الاسلوب ، الاسكندرية ١٩٣٩ . ص ٦٤ وأبي هلال العسكري في الصناعتين

ولها بدون عنصر الفكر — يجعل عنصر الانفعال يخفت صوته ويتداخل ، ومن هنا تجزل الفاظ مطران وتوجز جملة وتقوى تعايره . ومن هنا ليست لغته انفعالية ، وإنما هي لغة انفعالية خلخلها الفكر ، وخلخله الفكر للانفعال هي التي تجعل الالفاظ الجزلة تدور على لسانه في انشاء صوغ عبارته الشعرية . اما اذا عبّر مطران عن انفعاله مباشرة بدون ان يترك للفكر دوراً كبيراً في خلخلتها ، فان الفاظه ترق وكلامه يحلو وعبارته تكتسي الرونق والبهاء ، مثال ذلك قصيدة « كان » (الديوان ١٩٤ / ١٩٥) وفيها يقول

١ :	سررت	في	العمر	مرة	وكننت	انت	المسرة
٢ :	كانت	حياتي	روضاً	وكننت	في	الروض	نضرة
٣ :	وكانت	غصناً	شبابي	وكننت	في	الفصن	زهره
٤ :	وكان	فكري	سما	وكانت	حبك	بفره	
٥ :	وكان	حسنك	بوحى	الى	براعي	مره	
٦ :	وكان	لخطك	يهدي	الى	بياني	سحره	
٧ :	وكانت	تفرك	يملي	على	سماعي	دره	
٨ :	وكان	طبيك	يهدي	الى	تنائي	نشره	
٩ :	وكننت	لروح	روحا	وكننت	للعين	قره	
١٠ :	قد	« كان »	هذا	والكن	مضى	وأخلف	حمره
١١ :	فت	لا	شيء	إلا	حالين	: ذكرى	وعبره

فأنت ترى في هذه الأبيات من سهولة النظم ، ورقة الالفاظ ، وحلاوة الكلام وجودة الوصف ، وكثرة الماء ، ما يجعلها باباً لوحدها هي وقصائد اخرى تنظم معها في عقد ، نذكر منها قصيدة « حكاية نشر هذا الديوان » (الديوان ٢٩٠ / ٢٩٤) و « انشودة » (الديوان ٢٦٨ / ٢٦٩) و « دمة » (الديوان ١٩٣ / ١٩٤) و « نعمة وذكرى » (الديوان ١٨٧ / ١٨٨) وفي هذه القصائد تجدد بساطة الانفعال هي التي اخرجتها في صورة يبدو منها ما لاحظناه عليها من مميزات وخصائص . وبساطة الانفعال ، تعود الى أن عنصر الفكر لم يدخلها ، ولا دار في اطوائها ليدخل عنصر التركيب والتعقيد عليها ، كما وان انفعال الشاعر لم يكن مبعثه الخيال وتمثل الحال وإنما كان تكييفاً نفسياً للحالة المستولية عليه ، فهي من هنا محض رجوع reaction لا دخل للعاطفة pathos (١) في اثارها (٢)

(١) انظر عن الانفعال ولغته ، والانفعال الذي تداخل فيه الفكر ولغته ، مبحثاً نفسياً لعلامة رضا نور في مجلة Turcologie ، يعتبر الاول من نوعه . وتجد خطوط هذا الرأي مبعثرة غير مجمعة عند النقاد . انظر عن ذلك مثلاً ابن الاثير في المثل السائر طبعة صبيح ص ٦٥ ، وكذا الشايب في الاسلوب : فصل اختلاف اساليب الشعر

(٢) المقتطف : أنظر بياناً عن هذه السلسلة من الفصول النفسية في باب الاخبار العلمية في هذا الجزء

حكيمانه

— ٩ —

قيل ان الحكيم كنفوشيوس كان سائراً ذات يوم في نهر من تلاميذه في سفح جبل تاي فشاهد عن بعد امرأة تنوح على قبر . فحث إليها المسير وعندما أقبل عليها بعث بتلميذه « نزي لو » يسألها ما مصيبتها فاقترب منها وقال — انك تنوحين نواح من نكب مرة بعد مرة فقالت . — والصواب ما قلت . ان وحشاً أفترس حمي هنا ، ثم نزلت المصيبة نفسها بزوجي . وها هو ذا ابني يسقي الردى من كأس واحدة . فقال الحكيم — ولماذا لم تبرحي هذا المكان وتلجأي الى آخر . فقالت — لأنه لا توجد حكومة مستبدة هنا . فقال الحكيم — تذكروا يا أبنائي هذا واحفظوه ، ان الحكومات المستبدة شرٌّ من الوحوش المفترسة

[أوردها برتراند رسل في كتابه « السلطان »]

— ٢ —

روي ان حكيماً كان سائراً ذات يوم الى البحر . فأدركه المساء قبل وصوله الى طينته . وأقبل على نزل قائم على جانب الطريق فترجل وربط جواده الى شجرة امام النزل وبات ليلته فيه . وأصبح الصباح وخرج الحكيم يتفقد جواده فلم يجده . وفتش عنه في الحيرة فلم يعثر عليه . فنأب حوله صاحب النزل ونزلاؤه وأوسعوه تعنيفاً

قال احدهم : من يربط جواده الى شجرة بغير ان يقيم عليه حارساً جدير بان يسرق جواده .

وقال ثانياً : من ألحق ان يرحل احد رحلة طويلة على صهوة جواد وقال ثالث : ما هذا الغباء الذي يحمل رجلاً على ان يرحل الى البحر فالنفت اليهم الحكيم وقال : أتقولون كل هذا في ، ولا يقول أحدكم كلمة في سارق الجواد !

[عن جبران من الذكرة]



الحرب

في شمال أوروبا

اسوج ونروج ودمارك

- ١ — موقفها الدولي
- ٢ — احوالها العمرانية
- ٣ — حديد اسوج
- ٤ — اجتياح دنمارك ونروج

الحرب في شمال أوروبا

— ١ —

بلدان دول أوروبا الشمالية واقعة في شمال القارة الأوروبية إلى الغرب، وهي اسوج وزوج ودمارك ويضيف بعضهم فنلندا إليها لما بينها وبين الدول الثلاث من صلات المصلحة والوضع الجغرافي وأواصر الثقافة والتقاليد

والدول الثلاث الأولى ليست وحدة جغرافية بل بينها فروق غير يسيرة في طبائع الأقليم والموارد الطبيعية. فدمارك مثلاً بلد صغير مسطح يعني أهله بالزراعة في حين أن زوج جبلية وعرة المسالك قليلة السكان بالقياس إلى دمارك ومعظم تربتها لا يصلح للزراعة فيعنى شعبها بالصيد والملاحة على الأكثر

ولكن بين شعوب هذه البلدان وحدة عنصرية عريقة فجميعها منحدر من قبائل « النورس » التي اشتهرت في العصور القديمة بسلك البحار والمغامرة على سطح مياهها. ولعل سكان اسوج أتقى الشعوب الأوروبية عنصراً. وإذا استثنينا مسألة الأقلية الصغيرة في فنلندا وجنوب دمارك فلا يكاد يكون لهذه المسألة وجود سياسي في دول الشمال

ومن عجائب التحول التاريخي أن هذه الشعوب تحدرت من قبائل كانت تقتحم البحار فاشتهرت بالشجاعة والأقدام والسطو على السفن والسواحل. ثم انشأت امبراطوريات كبيرة بفتوحات حربية سجلها التاريخ. ولكنها انقلبت الآن إلى العمران والثقافة في أسمى معانيهما فهي أدمت الشعوب خلقاً وأخلدها إلى السلام وأشدّها تعلقاً بالديمقراطية الصحيحة والحرية وارسخها قدماً في الحضارة والثقافة. فقد تخلت عن الفتح بالقوة بعد ما وصلت جيوشها إلى بولندا وروسيا من ناحية وانكلترا وهولندا من ناحية في عصر ماضٍ، وعمدت إلى المشكلات الاجتماعية كال تعاون الزراعي، وكبح انتشار المشروبات الروحية، ومسائل العمال وغيرها تعالجها بالتزوي فأدركت في حلها شأواً لم يسبقها فيه سابق بل غدا أسلوبها في حلها مثلاً يحتذى. وهي بلاد تحتاج إلى الاستيراد لكي تضمن أسباب العيش لأهلها فلا بد لها من الاعتماد على التجارة، والتجارة لا تنمو ولا تترعرع إلا في جو السلام والطمأنينة الدولية ولذلك اشتهرت سياستها منذ مائة سنة إلى الآن بالتزام خطة الحياد والاقتصاد — ولا سيما زوج ودمارك — على القوة المسلحة اللازمة لحفظ الأمن. أما اسوج فلها أسطول بحري كفاء على صغره وسلاح جوي محترم الجانب وفيها صناعة حربية متقنة تمدّها مناجم الحديد في الشمال بأجود ركاز الحديد العالمي

وتعتمد على قدرة الاسويحيين في الاستنباط والصناعة واملأ أشهر مثل على ذلك ان مدافعهم الخاصة بمقاومة الطائرات من أشهر انواع هذه المدافع في العالم وأشدّها اتقاناً
أما دنمارك فإن جبرتها لالمانيا وسهولة اجتياح أراضيها اذا عادت جاريتها، حملتها على التزام خطة الحياد التام ونزع السلاح التام كذلك . فهي تعتمد في الاحتفاظ بوحدتها واستقلالها على ضمير العالم المتعلم وما ينتظر من ثورته ثورة عنيفة على بلاد تحتاج جارة صغيرة مسالمة محايدة لا سلاح لها كدنمارك...!

وقد كان موقف هذه الدول في بحر البلطيق بعد الحرب العظمى — اسوة بموقف الدول الاخرى الصغيرة القائمة على سواحلها — موقف سلامة وطمانينة لأن روسيا كانت مشغولة بنجرتها الاجتماعية العظيمة عن انشاء اسطول كبير تسيطر به على البلطيق، وألمانيا كانت ممنوعة بمقتضى معاهدة فرساي من انشاء اسطول بحري يتعدى في قوته حدوداً معينة . فلما تقلد الوطنيون الاشتراكيون زمام الامر في ألمانيا وشرعوا يهدمون معاهدة فرساي فصلاً فصلاً عمدوا في ما عمدوا اليه الى انشاء اسطول بحري جعل حده الاعلى في معاهدة لندن (١٩٣٥) ثلث الاسطول البريطاني . وبدرت في الجو بوادر الجفاء بين المارد السوفيتي والمارد النازي فأصبحت دول الشمال امام مشكلتين اولاهما ان ينهار التوازن في بحر البلطيق بنهوض قوة ألمانيا البحرية من كبوتها فتفقد حرية التبادل التجاري والثقافي في ذلك البحر وسواحلها او تتعرض للخطر ، والثانية ان يصطدم الماردان اصطداماً يكون من شأنه أن تُسكّر هذه الدول على الخروج عن حيادها أو أن يصاب حيادها يشظايا الحرب المتطائرة

ولذلك انشأت حكومات السويد والنرويج والدنمارك هيئات للتوفيق بين سياستها الخارجية وشؤون الدفاع وبدأت تعزيز القوى البرية والبحرية على ساحلي أسوج ودنمارك المشرفة على المضيق الموصل بين بحر البلطيق والبحر الشمالي . واهتمت أسوج بتعزيز حصونها في جزيرة جوتلند . ثم انها طلبت الى جامعة الامم من عهد غير بعيد أن تعفيها من تطبيق العقوبات لظنها أن تطبيق العقوبات قد يخرجها عن الحياد الدقيق الذي تلزمه فتعرض سلامتها للخطر فأعفيت على نحو ما تم لحكومة الاتحاد السويسري . ولكن نشوب الحرب واتفاق ألمانيا وروسيا غيرا كل حساب فلما نشبت الحرب ، أعلنت دول الشمال التزامها الحياد وهي تعلم ما يحفّ به من مخاطر . فلما اعتدت روسيا السوفياتية على فنلندا امتنع حياد الدول الشمالية أشدّ امتحان . ها هي ذلك دولة صغيرة آمنة، لها بأسوج وزوج ودنمارك صلة وأصرة، تتعرض لهجوم جبار عنيد يريد اجتياحها، فماذا تفعل وعصبة الامم قد قررت وجوب بذل المعونة لفنلندا ، ومقتضيات خطط الدفاع تقول لها بأفصح لسان : ان فنلندا هي خط الدفاع الاول عن سكنديناوة . ولكن أسوج وزوج

التزمنا في هذا النضال قواعد القانون الدولي ، فسمحنا بمعونة فنلندا معونة غير رسمية على قدر ما يسمح به ذلك القانون ، وامتنعنا عن إسداء المعونة الرسمية الفعالة وعن السماح باجتياز حملة الحلفاء الى فنلندا ، مع ان احداً من مستبطني نفوس السكنديناويين لم يكن يشك في ان عطفهم وضلعهم مع جارتهم الباسلة

ولم تكن محنة فنلندا كل ما تعرضت له دول الشمال . ذلك ان الحلفاء استطاعوا بما يملكونه من قوة بحرية متفوقة ان يرفضوا الحصر البحري على المانيا فأخذت سفنهم الحربية تقنّاد سفن الحايدين التجارية — ومنها سفنها اسوج ونروج ودمارك — الى قواعد المراقبة ففتش مشحوناتهما وتصادر منها ما كان ممنوعاً للحرب وتطلق ما لم يكن منها . وهذا عمل فيه تأخير ومضايقة لا مفرّ منها ومن تحملهما بالصبر . ولكن الحلفاء لم يفرقوا سفينة واحدة من سفن الحايدين ولا عرّضوا حياة بحّار واحد من بحارتها للخطر

أما المانيا فلم يكن في وسعها ان تسلك هذا السبيل فعمدت الى التهديد والارهاب حيناً والى التدمير حيناً آخر ، وما لبثت الغواصات والطائرات والالغام الالمانية حتى أصابت سفن الحايدين فأغرقتها بغير انذار متجاوزة بذلك كل قاعدة من قواعد الاتفاقات الدولية . ولعلّ مجموع ما خسره هولندا ونروج واسوج ودمارك بفعل الغواصات والطائرات والالغام السائبة اكثر مما خسره الحلفاء وهذا علاوة على التهديد باكتساح أراضيها اذا هي رضيت بما يفرضه الحلفاء عليها من قواعد الزيارة والفتيش والمصادرة ، وهي القواعد التي يبيحها القانون الدولي للدول الحاصرة

ومع ذلك ظلت هذه الدول المحايدة تستورد ما تستطيع من الخارج ثم تصدر منه ما تستطيع اصداره الى المانيا بل ان نروج أكرهت على اباحة استعمال مياهها الساحلية لسير السفن الالمانية الناقلة لركاز الحديد الاسوجي من نارفيك وهو عمل مناقض للحيد الدقيق . فلما قرر الحلفاء ان يترصدوا هذه السفن خارج المياه الساحلية وأغراقها قررت المانيا انفاذ خطة ما فتئت تعد لها العدة وهي اكتساح دول الشمال وفعلاً وقع هذا الاعتداء في يوم ٩ ابريل الماضي على ما ترى وصفه في فصل آخر من هذا المقال

— ٢ —

تشغل مملكة نروج الجانب الغربي من شبه الجزيرة السكنديناوية . حدودها الشرقية تماشي حدود جارتها اسوج ثم تتعطف شرقاً في أقصى الشمال حيث تصل بحدود فنلندا . وهي بلاد جبلية وعرة ولا سيما في المنطقة الشمالية الضيقة . ولكن مياه تيار الخليج تغسل سواحلها فتدفقها

وتبقى ثغورها خالية من الجمد صالحة للملاحة على مدار السنة ، ولا سيما لأن جبالها ترد عن ساحلها الغربي البرد الشديد الذي يهب على أسوج من الشرق

ومتوسط ارتفاع نروج عن سطح البحر يزيد ٦٠ في المائة على متوسط ارتفاع اوربا عنه . وليس سبب ذلك كثرة القنن الشاهقة فيها فأعلى جبالها لا يزيد على ستة آلاف قدم بل كثرة الجبال فيها بالقياس الى الأرض المسطحة . والجبال تصل الى الساحل فتكثر تعاريجها وجبوتها والجزائر الصغيرة المنشورة امامه . وأنت عند ما تنظر نظرة سريعة الى خارطة نروج تقول ان طول ساحلها كذا اميال ولكنه في الواقع يزيد ستة أضعاف على امتداده الجغرافي البادي للأنظار اول وهلة ، وذلك لكثرة التعاريج . هذه الحقيقة الجغرافية أثرت تأثيراً عظيماً في تقدم نروج الاقتصادي ، فأخذ الشعب بصيد السمك فغدت هذه الصناعة من أكبر مرافق البلاد ، ثم إنه عمد الى الملاحة فأصبح أسطول السفن التجارية النروجية من أكبر أساطيل الملاحة في العالم وهو يأتي في المرتبة الرابعة بعد بريطانيا العظمى (٢١ ٠٠٠ ٠٠٠ طن) والولايات المتحدة الاميركية (١١ ٤٧٠ ٠٠٠ طن) واليابان (٥ ٦٢٩ ٠٠٠ طن) ثم نروج (٨ ١٣ ٨٣٣ ٤٠٠ طن) وتليها ألمانيا (٤ ٨٢ ٦٦٢ ٤٠٠ طن) فايطاليا (٣ ٤٢ ٨٠٤ ٠٠٠ طن) ففرنسا (٢ ٩٩٣ ٠٠٠ طن) وهذا بحسب احصاء ١٩٣٩ الصادر في «تقويم العالم» الذي تنشره ادارة «نيويورك ورلد تيلغرام» ويضاف الى ما تقدم ان الانهار المنحدرة من هذه الجبال اتاحت للنروجيين مصادر لتوليد الطاقة الكهربائية منها . ويقال ان مقدار ما يمكن توليده من الطاقة الكهربائية من هذه الانهار يبلغ ١٢ مليون حصان لم يولد منها حتى الآن الا مليوناً حصاناً أو أكثر قليلاً

ويبلغ عدد سكان نروج نحو ثلاثة ملايين نسمة أو أقل قليلاً فعدّل ازدحام السكان فيها $\frac{٢٢}{١}$ في الميل المربع . وذلك لأن معظم البلاد لا يصلح للعيش وليس فيها الا مدينة واحدة يزيد عدد سكانها على مائة الف نسمة وهي العاصمة اوسلو . وتدلّ الاحصاءات على ان ٢٥ في المائة فقط من مساحة البلاد يصلح للزراعة و٢٤ من المساحة تغطيها الحراج والغابات والباقي لا يصلح للانتاج الاقتصادي . ومن المحصولات الزراعية مقادير يسيرة من الشعير والذير . ولكن البطاطس هو الغلة الزراعية الرئيسية . فنروج بلاد تستورد أكثر ما تحتاج اليه من قمح ومنسوجات وسيارات وأكثر صادراتها السمك والخشب وربّ الورق

كانت نروج في القرون الوسطى دولة قوية ذات سطوة ثم ضعف شأنها وفي سنة ١٣٩٧ خضعت هي وأسوج للتاج الدنماركي . ولما انفصلت أسوج عن التاج الدنماركي بزعامه جوستافوس فازا في القرن السادس عشر ظلت نروج خاضعة لدنمارك الى ما بعد الحروب البولونية ففصلت عن دنمارك وضمت الى اسوج وظلت هي وأسوج مملكة واحدة الى ان انفصلت عنها في سنة ١٩٠٥

واختير لها الابن الثاني ملك الدنمارك ملكاً عليها فالملك هاكون ملك نرويج والملك كريستيان ملك الدنمارك شقيقان . وقد لظمت الحيايد في الحرب العالمية الماضية ولكن غزوة المانيا لها الآن زجت بها على رغمها في هذا النضال الاوربي العنيف
وقد انجبت نرويج على ما تعانيه من شظف العيش طائفة من الكتّاب يعدون في الطبقة الاولى بين ادباء العالم منهم ايسن Ibsen وكنوت هامسن Knut Hamsun وسيجيريد أوندست Sigrid Undset

اما اسوج فأوسع البلدان السكنديناوية مساحة واكثرها سكاناً اذ يبلغ عدد سكانها ستة ملايين ومتوسط ازدهام السكان في ارضها ٣٥٤ في الميل المربع . والعاصمة ستوكهولم تعد نصف مليون وفيها ثلاث مدن اخرى يزيد سكان كل منها على مائة الف . وجبال اسوج اقل من جبال نرويج ولكن اقليمها اقرس برذا لان الرياح الباردة تهب عليها من الشرق وهي التي تجمد مياه بلطيق الا قسمه الجنوبي في اثناء الشتاء . ونصف الارض الاسوجية تغطيها حراج وغابات فهي مورد ثمين للخشب ورب الورق ، ولكن الدلائل تدل على ان هذا المورد كان اخذاً في النفاد من عهد قريب وان الحاجة ماسة الى وضع سياسة قومية للتحرير . اما الاراضي المزروعة فتبلغ ٩٣ في المائة من المساحة العامة

واسوج لا تستطيع ان تنتج ما تحتاج اليه من مواد الغذاء فعليها ان تستورد جانباً منها . ولكنها غنية الموارد بالمواد الغذائية الحيوانية وهي في الواقع تصدر مقداراً من الزبدة «والبايكون» . ومن الحقائق الاجتماعية التي تستوقف النظر ان ثلاثة ارباع الفلاحين الاسوجيين يملكون مزارعهم . وعلاوة على ما تستورده اسوج من مواد الغذاء تحتاج الى استيراد اكثر القمح الذي تستهلكه . اما صادراتها فأهمها الخشب وما يصنع منه والحديد (وقد خصصنا له فصلاً في هذا المقال لما له من صلة بالحرب القائمة)

ضُمَّت اسوج كما ضُمَّت نرويج الى التاج الدنماركي في سنة ١٣٩٧ ولكنها استردت حريتها بزعامه جوستافوس فازا ثم بلغت مكانة عالية من السطوة في بحر بلطيق وكان لها شأن كبير في سياسة اوربا وكان ملكها جوستافوس ادولفوس احد كبار الملوك الذين اشتركوا في حرب الثلاثين سنة . وفي اواخر ذلك القرن حاول ملكها شارل الثاني عشر ان يحوّل بحر بلطيق الى بحيرة اسوجية . فأخفق اخفاق جميع الذين سبقوه ولحقوه في غزوة روسيا . ولكن اسوج احتفظت بقلندا وبوميرانيا الى ان نزعتا منها بعد حرب نبوليون وضُمَّتا الى روسيا وضُمَّت اليها نرويج مقابل ذلك وقد التزمت اسوج الحيايد في الحرب العالمية الماضية ولكنها وجدت محفوفاً بالصعاب لأنها كانت احد الطرق التي تعتمد عليها المانيا في استيراد ما تحتاج اليه من الحامات الصناعية التي منعت عنها

بحكم الحصر البحري. وقد انجبت اسوج فريقاً من اكبر العلماء والادباء بينهم سويدنبورغ الفيلسوف واريدوس الكيميائي الطبيعي ولينيوس المواليدي وبرزيلوس الكيميائي وسلمى لاجيرلوف الأدبية أما مملكة دنمارك فتشمل معظم شبه الجزيرة الداخلة في البحر من شمال المانيا وما يحف به من الجزائر. وتبعا جزائر فارو في شمال المحيط الاطلنطي وكذلك جزيرة جرينلند المناوحة لساحل كندا الشمالي الشرقي. وملكها ملك اسلندا المستقلة. وفي سنة ١٩٢٠ ضم اليها الجزء الشمالي من منطقة شلزويج على امر استفتاء. أما سكانها فيبلغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة ومساحتها ١٦٥٧٦ ميل مربع وكوبنهاغن العاصمة اكبر مدنها

وأهم ما يستوقف نظرنا في مملكة دنمارك تحويلها تحولاً تاماً من دولة غازية فاتحة منذ القرن العاشر عندما غزا سوين Sweyn انكلترا وأنشأ مملكة تمتد من انكلترا غرباً الى بولندا شرقاً. ثم تفككت اوصالها ثم عادت فجمع تاج ملكها في سنة ١٣٩٧ اسوج وزوج ودنمارك ويعرف هذا الحادث التاريخي « باتحاد كالمار ». والتزمت دنمارك الحياد في حروب نيوليون ولكنها كانت في الحقيقة ضالعة معه فلما عقد صلح باريس نزعت منها زوج وضمت الى اسوج. ومن ثم أخذت دنمارك تفقد مكانتها كدولة حرة. فلما حاولت ان تقاوم غزوة روسيا سنة ١٨٦٦ عجزت عن ذلك وأذغنت لاحتلال بروسيا منطقة شلزويج هولشتين

وقد طرأ عليها تحول اجتماعي عظيم الشأن عند ما انشئت فيها حركة التعاون فشملت جميع الاعمال والصناعات الزراعية واتسع نطاق توزيع الاراضي على سكانها حتى بلغ عدد الذين يملكون مزارعهم فيها ٩٠ في المائة من السكان. وصناعة الالبان فيها بلغت أبعد شأور من الارتقاء وهي تصدر مقادير وافرة من الزبد والحلين والبيض الى انكلترا ومانيا وغيرها ولكنها تحتاج الى استيراد معظم العلف اللازم لتغذيتها مواشيتها

— ٣ —

ان ألمانيا تفضل الآن الحديد على الذهب لانها اذا ملكت الحديد وملك جارتها الذهب فانها تصنع المدافع وأجهزة القتال الميكانيكية فتستطيع او يتاح لها على الاقل ان تضرب بها جارها ضربة قاضية فتلك الحديد والذهب معاً. اما الذهب وحده بغير حديد فلا يجديها ما زالت شهوة السطوة متمكنة من نفوس اقطابها

وهي لا تملك من مناجم الحديد ما يسد حاجتها ولا سيما حاجتها الى حديد جيد يصلح لصنع الصلب وهو اساس صناعة الاسلحة بشتى انواعها. ولكن جارتها الشمالية اسوج من اغنى دول الارض بمناجم الحديد الجيد وهذا الغنى الطبيعي نعمة لولا مجاورة المانيا لان ضغط المانيا العسكرية غدا كالسيف المصلت فوق عنقها

واسوج اكبر مصدر للحديد في العالم . نعم ان ما يستخرج من ركاز الحديد في فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية يفوق ما يستخرج منه في اسوج ولكن كلاً من هذه البلدان يستهلك من حديد ما اكثر مما تستهلك اسوج من حديد ها . وفرنسا تفوقها في عدد الوف الاطنان التي تصدرها كل سنة من ركاز حديد ها . ففي سنة ١٩٣٦ اصدرت فرنسا ١٨ مليون طن منه حالة ان صادر اسوج بالغ ١١٢ طن ولكن الحساب المطابق بالطن لا يجدي . ذلك ان ركاز الحديد الاسوجي يحتوي على ٦٦ في المائة من الحديد الصافي حالة ان حديد اللورين الفرنسي يحتوي على ٣٣ في المائة من الحديد الصافي فمقدار الحديد الصافي الذي تصدره اسوج اكبر مما تصدره فرنسا تقع مناجم الحديد الاسوجية في منطقتين رئيسيتين اولاهما في لبلندة الى الشمال من الدائرة القطبية . حيث يقدر ركاز الحديد بألفي مليون طن وهذا المقدار هو تسعة أعشار ركاز الحديد الجيد الذي في أوروبا كلها . ومن الغريب ان التعدين هناك لا يحتاج الآن الى حفر مناجم تحت الارض بل يكفي ان تقدر قدراً من جانب الحيل فاذا بين يدك ركاز حديد من أجود ما يكون . ويقدر الركاز المتاح كذلك بنحو ٧٥٠ ألف طن . وكبرونا (التي يتردد ذكرها في هذه الايام) هي مركز هذه الصناعة . ثم هناك منطقة أخرى في أسوج المتوسطة ولكنها لا تجاري المنطقة الشمالية في مساحتها وغناها ويقدر ما فيها من الركاز بمائتي مليون طن . ونسبة الحديد الصافي في ركاز هذه المنطقة تتفاوت من ٥٢ الى ٥٥ في المائة حالة ان النسبة في ركاز المنطقة الشمالية تتفاوت من ٦٠ الى ٧٠ في المائة . ولكن الشوائب في حديد المنطقة المتوسطة — كالفصفور — أقل منها في ركاز المنطقة الشمالية . وخلو الركاز من الشوائب يجعل الصلب الذي يصنع منه أجود صفاً وأمتن . ولذلك حظرت حكومة السويد اصدار حديد المنطقة المتوسطة فتستعمله في صناعة الصلب فيها وصلبها أجود أصنافه في العالم اطلاقاً

كانت المانيا قبل الحرب اكبر مستوردي الحديد الاسوجي . ففي سنة ١٩٣٦ استوردت منه ثمانية ملايين طن . ويقال ان ما استورده نقص قليلاً ، لأن بريطانيا بدأت تنافسها هناك بعد ما استأثرت المانيا — او كادت — بحديد منطقة بلناو باسبانيا في اثناء الحرب الاهلية الاسبانية . اما الحديد الذي يستخرج من مناجم المانيا نفسها فلا يكفي من حيث مقداره ولا يصلح على كل حال لصنع أجود اصناف الصلب الذي تقتضيها صناعة الاسلحة المختلفة . ولا تزيد نسبة الحديد في الركاز الالمانى على ٢٨ الى ٣٠ في المائة وقد تنقص الى ٢٣ في المائة وهذا يجعل تعدين الحديد عملاً غير موافق من الوجهة التجارية الا اذا بذلت الدولة العون المالي للشركات التي تتولاه

كان اصدار الحديد الاسوجي الى المانيا يتبع طريقين الاول من ميناء نارفيك النرويجي والمسافة بين كبرونا ونارفيك قصيرة تبلغ ثلاثين ميلاً (وتصلها سكة حديدية) ثم يشحن

بالسفن الى مصب الرين وبه ينقل الى غرب المانيا (منطقة الرور حيث مركز الصناعة الالمانية الثقيلة) . والثاني من مرفئ لوليا الاسوجي على رأس خليج بوننيا ثم يشحن بالسفن الى سواحل المانيا على بحر بلطيق ثم بسكك الحديد الى منطقة الرور . والطريق الاول مفضل على الثاني لانه متاح على مدار السنة (نارفيك ثغر لا يتجمد مأوه في الشتاء لأن تيار الخليج الدافئ يغسل سواحل نروج الشمالية) والنقل بالسفن رأساً الى منطقة الرور أوفر من النقل بالسفن ثم بالسكك الحديد . ويضاف الى هذا ان خليج بوننيا يتجمد مدى اربعة اشهر كل سنة فيصبح نقل الحديد من لوليا متعذراً في اثنائها

هذه الحقائق الاقتصادية والجغرافية تبين لك مدى خسارة المانيا منذ ما منعت من استعمال مياه زوج الساحلية لنقل الحديد الاسوجي — وهو من ممنوعات الحرب — نقلاً لا يجيزه القانون الدولي . ثم ان ما اصاب به الاسطول الالمانى من الخسارة الفادحة مكن الاسطول البريطاني من نعم غرب بحر بلطيق الى محاذاة ثغر ميمل متحاشياً مياه اسوج الساحلية علاوة على ابصاد الطريق النروجي . فقد خسر الالمانيون في المعارك الاخيرة من بوارجهم وطرادات القتال في اسطولهم والطرادات الخفيفة والثقيلة والمدمرات وسفن النقل ما حوّل اسطولهم الى قوة بحرية صغيرة ولا سيما اذا اضفنا الى ما خسروه اخيراً خسارة الجراف شبي في معركة البلاتا البحرية والغواصات التي اغرقت في السبعة الاشهر الاولى من هذه الحرب

وهذه الحقيقة لها تأثير كبير في مسألة نقل الحديد الاسوجي . فمنطقة الالغام التي بثتها سفن الحلفاء في البلطيق تحول دون حرية الملاحة في الجانب الغربي المناوح للسواحل الالمانية وهذه الحرية لازمة ولا غنى عنها لنقل الحديد الاسوجي من ثغر لوليا الى المانيا بعد ان سد الطريق الاول من ثغر نارفيك في وجوههم . وفي اواخر ابريل يصبح خليج بوننيا صالحاً للملاحة بعد ذوبان الجمد الذي يغطيه فتبدأ السفن الالمانية تشحن ما تستطيع شحنه من حديد أسوج في لوليا (كان ثلث ما تستورده المانيا من حديد اسوج يشحن من ثغر لوليا والثلثان من ثغر نارفيك) فاذا دخلت منطقة الالغام وجدت أمامها ما يعرقل سيرها . وخسارة الاسطول الالمانى الفادحة تسهل على سفن الحلفاء مراقبة هذه المنطقة وعرقلة عمل لاقطات الالغام الالمانية وبذر الالغام جديدة حيث تنجح اللاقطات الالمانية في لقطها

فاذا اضفنا الى ما تقدم ان ما كانت تستورده المانيا من حديد فرنسا واسبانيا والمغرب الاسباني وغيرها — وهو يبلغ نحو تسعة الى عشرة ملايين طن في السنة — قد قطع عنها ادركنا مدى ضعف المانيا في هذه المادة الصناعية الحربية الاساسية وعلمنا ان كل ما يجمع من الحديد القديم المستعمل في المانيا لتقديمه هدية الى الدولة لا يجدي الا قليلاً في سد النقص

— ٤ —

عندما أذيعت أنباء اجتياح الدانمرك واحتلال نفور متعددة على ساحل زوج الغربي ثم احتلال العاصمة أوسلو في صباح ٩ ابريل صحبها بيان الماني بأن الحكومة الالمانية انما فعلت ذلك ردّاً على ما فعله الحلفاء في اليوم السابق إذ بذروا الألغام في ثلاث مناطق من مياه زوج الساحلية . فلم يخدع هذا البيان أحداً من الناس لان تلميقه كان واضحاً لكل من عني بالأمر فبسط أمامه خارطة لشمال أوربا وأخذ بيده قلماً ومقياساً فعلم ان المسافات التي كان لا بدّ من اجتيازها لاحتلال نفور كنفور نارفيك في الشمال وغيره كان يقتضي ان تقوم سفن النقل والسفن الحربية التي تصحبها قبل وصولها الى هناك يومين او ثلاثة أيام على الأقل اي ان هذه السفن تحرّكت الى طيتها يومين او ثلاثة ايام او اكثر قبل ما بذر الحلفاء الألغام في مياه زوج الساحلية . وهذا بصرف النظر عن اعداد الحملة وتدير المؤامرات لأخذ زوج بغير قتال

ويؤيد هذا أن أحداً من الذين تتبعوا اتجاه التفكير النازي لم يؤخذ دهشة بما تمّ . ويقول الهر روزنكي — المحاضر سابقاً في أكاديمية كيل البحرية — ان أقوال المفكرين الألمانين الذين من وراء النظام النازي الألماني ، كانت كثيرة صريحة ، فوضع دهشته ودهشة غيره من المطلعين عليها ان هذه الغزوة لم تتم قبل الآن اي بعيد نشوب الحرب . ولعلّ أشهر من كاتب وحاضر في هذا الموضوع الكولونيل الاستاذ الدكتور أوسكار ريتز فون نيدرماير منظم تدريب الألمانين في الجيش الأحمر بين سنة ١٩٢٤ و١٩٣١ ورئيس معهد العلوم العسكرية والجغرافيا الحربية في جامعة برلين وأحد اقطاب الداعين الى تغلغل النظام النازي في الرينخسفر وصلة الوصل الرئيسية بين الرينخسفر والاتحاد السوفيتي

فقد ألقى الكولونيل نيدرماير محاضرة في برلين في مارس سنة ١٩٣٧ عنوانها « الجغرافيا الاستراتيجية في بحر بلطيق والبحر الشمالي » قال فيها ان المانيا لايسعها ان تقف بمعزل عن تحوّل الحال في بلدان الشمال ، فللانيا مصلحة حيوية في الاحتفاظ بحياض هذه الدول التام واستعمال مياهها الساحلية بغير قيد او شرط . ففي هذه البلدان مواقع حربية من الطبقة الأولى قد تحتاج اليها دولة (اي المانيا) تودّ ان تدفع عن نفسها هجوماً محتملاً ، وفي مقدمتها ساحل زوج الجنوبي الغربي والمضايق بين دنمارك من جهة وأسوج وزوج من جهة أخرى ، وجزيرة جوتلند Gotland الأسوجية وجزائر آلاند الفنلندية

وكتب الاميرال فيجينر Wegener كتاباً عنوانه « الخطة البحرية في الحرب العالمية الماضية » كانا كبر عامل في تحديد الخطة البحرية الالمانية في عهد النازي . والرأي المنطوي في تضاعيف هذا الكتاب ان المانيا القيصرية اخطأت في محاولتها منع الحلفاء فقط في الحرب الماضية من

استعمال مضايق السكاجيراك والكاتيجات ، بل كان يجب عليها ان تستعملها هي وان تنشئ في شمال شبه جزيرة جتلند Jutland (وهو الجزء الاكبر من مملكة دنمارك) قاعدة بحرية تستند اليها في انشاء قواعد على ساحل روج الغربي الجنوبي يستطيع الاسطول الالماني ان يعتمد عليها في تكسير قيود الحصر البحري البريطاني . ولذلك عمد قواد المانيا وضباطها البحريون في العهد الأخير الى دراسة المياه في هذه الجهات دراسة علمية وعملية في آن واحد وتدريب الضباط والبحارة على سلكها تأهباً لما كان منتظراً

في الساعة الخامسة^(١) من فجر يوم الثلاثاء (٩ ابريل) ذهب وزير المانيا المفوض في اوسلو الى الاستاذ كوهت وزير خارجية روج وقدم اليه طلبات الحكومة الالمانية . ولكن القوات الالمانية كانت قد احتلت مواقع شتى على سواحل روج بين منتصف الليل والساعة الثالثة صباحاً — اي قبل زيارة الوزير المفوض لوزير الخارجية بساعات — ولذلك كانت طلبات الالمانيين « شروطاً للتسليم والاذعان » لا مقترحات تصلح اساساً للمفاوضة

فقد علم في اوسلو ان السفن الحربية الالمانية اجتازت موقع فيردار في جون اوسلو عند منتصف ليل ٨ ابريل — اي خمس ساعات قبل زيارة الوزير المفوض لوزير الخارجية النرويجية — ولم تنقض ثلاثة ارباع الساعة حتى ورد نبأ بان السفن الحربية الالمانية تبادلت اطلاق النار مع حصن او حصنين نرويجيين على جانبي الجون وفي الساعة الثانية صباحاً ورد نبأ بان السفن الحربية الالمانية اجتازت الحصون القائمة على جانبي جون برجن الى المرفأ . وفي الساعة الثالثة والنصف ورد نبأ احتلال تروندهايم وآجدين . وبعد قليل بدأت السفن الحربية الالمانية تطلق قنابلها على الحصون القائمة على ساحل أوسكارسبورج ، فالقتال كان قائماً على قدم وساق واحتلال غير ثمر واحد كان قد تم قبل وصول المهر بوروزير المانيا المفوض بضع ساعات لتقديم الطلبات الالمانية الى وزير الخارجية

كانت الطلبات اثني عشر طلباً في مقدمتها طلب امتناع روج عن مقاومة « الاعمال الالمانية » واصدار الامر الى الجنود النرويجية بأن « تتصل اتصال صداقة بالجنود الالمانيين » وان تبيع للالمانيين « جميع الوسائل التي تضمن سلامة روج » وان تسلمهم جميع اسباب المواصلات والمخاطبات ونتائج الارصاد الجوية اللازمة لحرب الطائرات وخارطات المناجم واصدار الامر الى مرشدي الموانئ من النرويجيين بمساعدة الاسطول الألماني ولم يكتف الوزير الالماني بذلك بل قدم الى وزير الخارجية النرويجية ، مذكرة مؤداها

(١) تلخيص قصة الغزوة الالمانية لنرويج من الكتاب الابيض النرويجي

ان الحكومة الالمانية تعتقد ان الحكومة الزوجية لن تقاوم احتلال بريطانيا وفرنسا لزوج وانه اذا قررت الحكومة الزوجية مقاومة احتلال الحلفاء فانها ليست على جانب من القوة يمكنها من ذلك . ولذلك قررت الحكومة الالمانية ان تبدأ الاعمال الحربية لاحتلال المواقع الحربية ذات الشأن في زوج وان تأخذ على عاتقها الدفاع عن زوج ضد بريطانيا وفرنسا . . . وان الرغبة الوحيدة التي حدثت الى ذلك انما هي رغبتها في ان تمنع تحوّل زوج الى معترك بين الدول الكبرى ولذلك فهي تتوقع من حكومة زوج ان تقوم قصدها ولا تقاوم رغبتها . فاذا قاومت فان الجنود الالمانيين يسحقون كل مقاومة . ولكنها اذا امتنعت عن المقاومة فاعلحوش الالمانية لا تمس وحدة مملكة زوج او استقلالها السياسي

فلما قال الاستاذ كوهت ان هذه طلبات يجب ان تبحثها الحكومة الزوجية وممثلو الشعب الزوجي قال الوزير الالمانى ان الحالة تستدعي العجلة لان « الاعمال الالمانية كانت قد قطعت شوطاً بعيداً ولا يمكن وقفها » . فلما أنبىء الوزير الالمانى بأن الحكومة الزوجية لا يسمعها ان تسلم بهذه الطلبات احتلّ الالمانيون العاصمة أوصلو في صباح الثلاثاء

وطلب الوزير الالمانى كذلك ان تعترف زوج بحكومة كوزلنج فردّ عليه الاستاذ كوهت بالتلفون ان الملك هاكون لن يعترف بها وان زوج « ستقاوم ما استطاعت الى ذلك سبيلاً »

ومما يدلّك على ان العمل الالمانى كان مدبراً ومبنيّاً وان بذرا لاغرام في مياه زوج الساحلية لا علاقة له به ، ان مؤامرة اساسها الخيانة كانت قد اعدت في شتى المواقع وانتظم فيها فريق يسير من المحدثين الزوجيين على رأسهم كوزلنج . ومن حوادثها ان رجال اقوى سفينة بحرية زوجية في جون أوصلو تلقوا قبيل وصول الالمانيين امراً من ضابطهم بالنزول الى الشاطئ فلم يبق في السفينة الا خمسة عشر منهم . وفي حصن ساحلي آخر اصدر ضابط الحصن امره الى الجنود برفع راية التسليم متوسلاً الى ذلك بقوله انه لا يملك ذخيرة كافية للمقاومة فلما بين له رجال الحامية انهم تلقوا ذخيرة في اليوم السابق او قبله بأيام وتوسلوا اليه ان يسمح لهم ويصدر اليهم امره بالمقاومة ابى عليهم ذلك ورفع راية التسليم

اما في جون تروندهايم فان السفن الحربية الالمانية سيرت امامها وعلى جانبيها سفن صيد نرويجية فلم يكر في وسع حماة الحصون الساحلية ان يطلقوا القنابل على السفن الالمانية لئلا يقتلوا بقنابلهم اخوانهم في الدم والوطن وكانت الاوامر قد اذيعت باسم كوزلنج بأن لا يقاوموا فأفضى استعمال الخدعتين الى اضطراب حاميات الحصون فلم يبق رجالها من اضطرابهم وتبليبلهم الا بعد ان غدت المقاومة لانهجدي لان السفن الالمانية الحربية كانت اجتازت الحصون وأصبحت البلدة في قبضتها

باب المراسلة والمناسبة

تعليق على مقال « من أسرار العربية »

تعليق بناء الكلمات الفصيحة بالنحت والزيادة . لاسماعيل مظهر

بمقتطف شهر مارس ١٩٤٠

مختصر المقال هو ان الاستاذ اسماعيل مظهر يؤمن بان اللغة العربية قابلة للنحت ويستشهد بوضع كلمات رباعية مثل صلخد وجامد والحيثور فانه يرى في هذه الكلمات نحتاً من لفظين مختلفين. صلخد من صلد وصدخد، وجامد من جلد وجمد، والحيثور من ختر وختع . اني أخالفه في هذا الرأي وانا انما اتجرأ على هذه المخالفة ليقيني ان الاستاذ يرحب بالمخالفة

كلنا نتفق والاستاذ مظهر ان لالغة تضاهي العربية في سعة الاشتقاق وقلائل جداً هم الذين يعرفون ان من الجذر الثلاثي يمكن اشتقاق عشرات عديدة من الاوزان بزيادة حرف او بتضعيف . وكاتب هذا المقال حاول في عهد الطلب ان يدرس اوزان الفعل الرباعي في اللغة العامية اللبنانية وقد فاز الى حد ما بارجاع جميع اوزان الرباعي الى الجذر الثلاثي وأبان أن اوزان الرباعي إن هي الا أوزان جديدة للفعل الثلاثي وقد كتبت عن هذا شيئاً في مجلة المقتطف (اغسطس ١٩٣٨ ص ٢٩٢) فليراجع في موضعه

نعود الى البحث فنقول ان العربية لا تقبل النحت والالفاظ المنحوتة قليلة جداً وطائفة كبيرة منها لا يصح ان يقال انها نحت بل هي من نوع الاختصار والجمع كما في بَسْمَلْ وحوقل . وأما ميزة النحت كما نعرفها في اللغات الاوربية فغير معروفة في العربية . بقيت الاوزان الرباعية او الخماسية التي يظن الاستاذ مظهر انها نتيجة نحت . هل هي نحت ام اشتقاق من جذر ثلاثي ؟ أما أنا فاقول أن أصولها جميعاً (اي الاوزان الرباعية والخماسية) تعود الى الثلاثي والحرف الرابع او الرابع والخامس من احرف الزيادة التي لا تجمعها كلمة سألتمونها بل يجب ان يضاف اليها احرف أخرى

فكلمة صلخد هي وزن فلعل من صخذ وهذا الوزن شائع جداً وجامد ايضاً فلعل من جمد والحيثور قد تكون من ختع ثم ختعر على وزن فلعل ومنها الحيثور

بكلام آخر يجب ان لا نخلط بين اشتقاق أوزان الرباعي والتماسي وبين النحت الذي معناه ضم كلمتين لمعنى واحد

بقي معرفة سر معاني أحرف الزيادة وهل هذه الحروف بقايا كلمات كانت تدمج في الوزن ثم نُسِيت على مدى الايام الكلمة ولم يبق منها إلا حرف أو هل للحروف معان قائمة بذاتها؟ هذه ناحية جديرة بالاعتبار ولكن ننتظر قليلاً لعل الأستاذ محمود محمد شاكر يلقي على هذه الناحية بعض النور فاني شديد الشوق الى تتبع دراسته وربما كان لي في هذا الموضوع كلمة ولكنني أحفظ بها الى ان اقرأ مقالته الثانية. فاذا قدر الأستاذ شاكر ان يبرهن لنا ان احرف الزيادة كانت كلمات مستقلة ذات معنى مستقل فانه بذلك يستطيع ان يقول ان العربية قابلة للنحت ويمكن استغلال هذه الميزة في توليد كلمات جديدة

أنيس فريجه . د . ف

النحف الاشرف

كلمة وجيزة

حول « حومة في سماء الادب »

سيدي الأستاذ محرز « المقتطف » الأغر

لك أطيب التحايا . وبعد ، فقد قرأت في العدد الرابع من المجلد السادس والتسعين ، الصادر في أول ابريل ١٩٤٠ ، كلمة طيبة للأستاذ راجي الراعي تحت عنوان « حومة في سماء الأدب » وفيها يهيب بشيية الأدب أن تشعر نفسها الحياة والروح والعاطفة ، إذا ما أخذت في الانتاج الادبي ، حتى يخرج ما تكتبه من أدب وفيه « طنين الاجراس ، واضطرام الاحساس ، وضوء الماس ، وتجلي الاقداس ، وزغردة الاعراس .. الخ ! »

وقد حمدت للأستاذ الراعي هذه النزعة الكريمة النبيلة التي تدعو أدباءنا الى أن يطعموا من المائدة الالهية ، ويشربوا من الحمرة الانسانية العتيقة ، حتى يخرج الأدب منهم الى البشرية فيقول لها عن حق : « هأنذا .. هأنذا قد أتيتك بالحر فأملي ! »

ولكنني وجدت الأستاذ الراعي يصف الاديب الذي يبحث عنه بقوله : « يأمر اللغة فتأنيه صاغرة ، ويستبيح حاماها على الرغم مما أقوم حولها من الاسلاك الشائكة .. ينكر الزخشمري والجاحظ إذا ما وقفا بأساليهما في طريق روجه ، ويخلق للفكرة التي يختارها الكلمة الموسيقية التي تناسبها ، وان لم تأت بهما المعاجم ، أو أتت بغيرها مما لا ترتاح اليها أذنه ! »

وصدور هذا القول من أديب عربي ، غريب كل الغراية ، عجيب كل العجب ، فاللغة العربية

الحجدة والحمد لله ، غنية بآلاف الالفاظ الموسيقية ، محشودة بالترادفات والالفاظ التي وضعت
للمعنى الواحد ، مما لا يعجز الاديب أمامه عن ان يختار ما يحلو له ، وما يوافق الموضوع الذي
يتكلم فيه ، أو الفكرة التي يحاول ترجمتها

وبصفتي أحد الخادمين لهذه اللغة الكريمة ، وأحد شباب اكبر المعاهد القائمة على إذاعتها
وحفظها : « كلية اللغة العربية » ، فاني اقول ان دعوة الاستاذ الراعي لو وجد سميماً — وذلك
ما لا ارجوه ولا يرجوه عربي مخلص — فانها ستكون حرباً عواناً على تراث عزيز نقده
ونجمله ، بل ستسير بنا الى فوضى لغوية أدبية لا نعرف بالضبط مدى آثارها الوخيمة ، والشيء
يبدو صغيراً منحل الأثر ، ثم يكبر خطره ، ويعظم أمره ، حتى لنفجز عن صدّ طغيانه ، أو
الحد من نزواته « ومعظم النار من مستصغر الشرر » !

يريد الاستاذ الراعي ان يستبيح الاديب لنفسه الاتيان بما يشاء من الكلمات والتعابير التي
يحتاج اليها ، وان لم تسعفه اللغة بها ، أو توافقه عليها ، ولا يدري الاستاذ أن ذلك سيؤدي بنا
الى اضاءة لغتنا الكريمة ، وكتابتنا الاقدس « القرآن الكريم » بعد أن يصبح الامر خليطاً ،
ونقع في حيص ييص ، وتغدو اللغة كما قال حافظ رحمه الله :

خجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الالوان مختلفات ! ..

لا يشكر أحد ما للادباء جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي واحمد زكي
أبو شادي واسماعيل احمد أدهم من الخدمات العظيمة التي أسدوها الى اللغة العربية بأبحاثهم
وأفكارهم وخواتمهم . ولكننا لا ننسى ولن ننسى أن نؤاخذهم على عدم اهتمامهم بأسلوبهم
وقواعد لغتهم في كثير من المواقف والاحايين . ولو أن هؤلاء الادباء والشعراء زادوا على عمق
تفكيرهم وسلامة منطقهم وعلو تفكيرهم ، سلامة أسلوبهم ، وصحة عبارتهم ، لا وجدوا لنا في
اشخاصهم المثل الكاملة للادباء والكتّاب والشعراء !

فليدع الاستاذ الراعي الى توقد العاطفة وقوة الروح ، وسمو الشعور ، وطغيان الفكرة ،
وثورة الذهن ، ولكن يجب عليه بجوار ذلك ان يحفظ لغة حقها ، وللأسلوب واجبه ، فان
اهالنا لها وان بدا قليل الخطر اليوم ، سيجرنا الى أخطار بليغة قاسية !

كذلك لم أفهم قول الاستاذ : « وكم من عبقرى أديب عاش ومات دون أن تمثل عبقريته
دورها العظيم لانه جهل نفسه أو لان الناس جهلوه ! »

فاني اذا وافقته على ان العبقرى قد يحال بينه وبين تمثيل دوره لجهل الناس به ، فاني
لا أوافقه على ان العبقرى يجهل نفسه ، فأبي عبقرى ذلك الذي لا يعرف عبقريته ؟ !

احمد جمعة الشرباصي

« كلية اللغة »



مكتبة المقتطف

ليالي الملاح التائه

١٤٩ صفحة من القطع المتوسط — مطبعة شركة فن الطباعة بمصر

الاستاذ علي محمود طه من شعراء الطبيعة القلائل الذين وهبوا ريشةً سحرية الألوان ،
ووهبوا الى جانبها قيثارة ذهبية الرنين ... ولهذا تخرج قصائده صوراً حية جياشة يتلاقى بين
إطارها فنان : فن من الرسام ، وفن من إحساس الشاعر ، كما تتلاقى اصدااء النغم بمفاتيح الليل
في أحضان الطبيعة الشاعرة

ولقد كان في ديوانه الاول رباناً يتجه بسفينته صوب قطب مجهول فهو لا يبرح قمرته يرقب منها
النجم الهادي والشاطىء المهجور الا أنه في « لياليه » هذا ربان اتزع من كاس الخيام « سلسل
النور المذاب خمرة ليس لها من عاصر » ... فضى بسفينته وليس له وجهة فلقد جمعت له كأسه
الدنيا فكلها شطآن ، يخرج من عالم ليدخل الى عالم ... عوالم كلها رؤى وخيالات رأى فيها
الشاعر شباب قلبه فأفاض عليها من سحر ريشته ورنين قيثارته إبداع فنه

ولقد ظفرت الطبيعة من شاعرها في هذا الديوان بأ كبر نصيب ، ولم تنزل به تجذبه اليها
من أية ناحية حاول ان يفلت منها الى عالم الناس فتزده لينقل عنا الى الناس أجمل روائعها لا فرق
بين شرقية منها أو غربية

لهذا أرى ان هذا الملاح في لياليه اكثر تيهاً منه يوم قاد سفينته الى شاطئه المهجور ، وهو الى
عالم القلب في هذه الرحلة اقرب مما كان ، وأي قلب لا يسبح وراء جندوله ليسمعه وهو يهتف :

آه لو كنت معي نختال عبره

بشراع تسبح الانجم إثره

حيث يروي الموج في أرخم نبره

حلم ليل من ليالي كي لو بتره

وأي قلب لا تخدره همساته وهو يناجي ذات الغلالة الرقيقة النائمة تحت نافذتها المفتوحة
في ليالي الصيف المقمرة وقد تحدر اليها من وراء النجم ضوء القمر المضي فذبت الغيرة الى نفسه فهمس :

أغار ، أغار إن قبـل هذا الثغر أو شئ
ولفَّ النهـد في لين وضمَّ الجسد اللدنـا
فان لضوئـه قلباً وإن لسحره جفنا
يعدُّ الموجة العذرا ء من أغوارها وهنا

وأي قلب لا يثور مع ثورته في قصيدته «هي» وهو بصرخ بالتي علمته كيف يحب وكيف يكره:

لقد دنس الجسدُ الأدي حياة حرصت على طهرها
وأي قلب لا يتفجر دموعاً وهو يسمعه يواسي الموسيقى العمياء :

إذا ما ذابت الانداء فوق الورق النضر
وصبَّ العطر في الأكمام أريق من التبر
دعوت عرائس الأحلام من عالمها السحري
تذيب اللحن في جفنيك، والاشجان في صدري !

وأي قلب لا تسكره «كأس الحيام» أو «خمر الرين» حين يرى العشاق

... قد هبُّوا الى الوادي خفافا

اقبلوا كالضوء أطباقاً واحلاماً لطافا

ملأوا الشاطئ همساً والبساتين هتافا

او عند ما يقف به على صفى النيل

... وضوء القمر الواضاح كالطفل

جـرى في الضفة الخضراء خلف الماء والظل

وأي قلب لا يخفق بأسمى معاني البطولة عند ما يسمع قصيدته في تمجيد ربان حاملة
الطائرات كوراجيوس، وفي هذه القصيدة يبلغ الشاعر أسمى مرتبة الفن — فان حب الشاعر للبحر
وفجائاته وأحاسيسه عند عودته وقد ملئ البحر والبر رعباً من جنون الحرب كان لها كلها أثر
قوي في خلق هذه القصيدة الخلق الكامل

وأي قلب لا يهتز للشاعر التي يمسكها الشاعر في صفحات ديوانه كلها من افراح الوادي
الى أحزانه

لهذا أرى ان صديقي الأستاذ علي طه كان في ليلائه أقرب الى القلب منه الى الفكر ...
واني لأتمنى له ان تظل مفاتن الدنيا أمامه برآقة الألوان راقصة النغم دائماً الترحال ليظل وراءها
مابراً خفّاق الشراع فتسمع الى مفاتن أسماره ومجالي أسفاره في أروع آياته وأعذب أشعاره
الصيرفي

رسالة في العقل

للفارابي — بتحريـر الاب بويج — ٤٨ ص القطع الكبير ومقدمة بالفرنسية بيروت ١٩٣٨

Alfarabi-Risalat fi'l-'Aql. texte établi par le R. P. Bouyges.

Beyrouth 1938

سبق لنا أن حدثنا القراء عن مجموعة المؤلفات الفلسفية العربية التي يقوم بنشرها الأب بويج في بيروت . فقد وصفها صديقنا الدكتور بشر فارس ونوّه بنفاسها وعلوّ شأنها إذ نقدها واحدة واحدة أيام صدورهما وهي : « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، و« تهافت التهافت » لابن رشد ، و« تلخيص كتاب المقولات » له ، و« تفسير ما بعد الطبيعة » له

وقد وصلنا اليوم المجلد الخامس من تلك المجموعة الجليلة ، وموضوعه رسالة العقل للفارابي . وهذا المجلد على غرار ما سبقه من حيث دقة التحرير وضبط الرواية وإثبات النصوص وإحكام التعليق ومن قرأ رسالة الفارابي في الطبقات المختلفة التي ظهرت في مصر يتبين الفرق الذي بين النشر المرتجل والنشر المحكم : هنا التحري والتقصي وهناك خلاف ذلك ، فضلاً عن أن طباعات مصر نسخت الطبعة الأولى التي قام بها المستشرق الألماني F. Dieterici سنة ١٨٩٠ ومسختها أحياناً

وتحرير نص هذه الطبعة قائم على عِراض وإفٍ لجميع ما يتصل بالرسالة بعضه ببعض : أولاً الخطوط العربية وعددها تسع وهي موزعة بين دور الكتب في لندن وبرلين وإستانبول وبيروت وطهران . ثانياً الترجمة اللاتينية للرسالة والترجمات المختلفة لها باللغة العبرية . فحاشا البعض أوفى من قبل وأضبط

وقد عمل الأب بويج في آخر الرسالة مسارد شاملة وافية أثبت فيها أسماء الاعلام ثم عناوانات الكتب الواردة في الرسالة ثم الاحكام المنطقية ثم الاصطلاحات الفلسفية ثم اللطائف النحوية . وذلك على النحو الذي نحاه في ما طبعه من قبل من تلك المجموعة

وأما الرسالة نفسها في تحديد معنى العقل عند الجمهور والمتكلمين ثم ارسطو . وهنا ينظر الفارابي في معاني العقل عند المعلم الاول من عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل فعّال وعقل مستفاد الى آخر ما يلحق بذلك من التبيين والتعليق . وبهما يدل الفارابي على أنه غير مقلد وعلى أنه صاحب ذهن مولد

وأهم من هذا ان نبين للقارئ العربي شأن رسالة العقل في القرون الوسطى . فقد شغلها فلاسفة النصارى واليهود ونقلوها الى اللاتينية والعبرية غير مرة واقتبسوا منها طريقة التوليد للمعاني الخفية ورجعوا اليها للوقوف على سر مذهب ارسطو فيما يتصل بالعقل على أحواله . فراجت الرسالة وعلا تأثيرها . ولا يسعنا الا ان ننهي الأب بويج وزقّب منه ما بقي من المجموعة

رسائل فلسفية للرازي

جمها وصححها بول كراوس . الجزء الاول — ٣١٦ ص من قطع المقتطف القاهرة ١٩٣٩
 لابي بكر محمد بن زكرياء الرازي المتوفي سنة ٣٢٠ هـ . صيت عريض في الطب الاسلامي
 وحسبه انه صاحب كتاب «الحاوي» و «المنصوري» . وله فوق ذلك قدم في ميدان الفلسفة
 فرأت كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول أن تنشر له جانباً من رسائله الفلسفية ، وقام بالنشر
 الاستاذ المستشرق بول كراوس وهو من المنتدبين للتعليم في تلك الكلية . وهذه الرسائل مما
 عثر عليه الناشر في مختلف دور الكتب وقد رأى ان يضيف اليها ما انتخبه المتأخرون من
 تأليف الرازي المفقودة . ومن هذه المنتخبات ما لم يصل اليها في العربية بل وقع الى أيدينا
 مترجماً الى الفارسية ، من ذلك ما أورده ناصر خسرو في كتابه « زاد المسافرين » . إلا ان
 الناشر لم يثبت هذه المنتخبات في اللغة المترجم اليها بل أعاد نقلها الى العربية
 وهذه الرسائل عشر : الطب الروحاني ، السيرة الفلسفية ، مقالة فيما بعد الطبيعة ، مقالة
 في أمارات الاقبال والدولة ، من كتاب اللذة ، من كتاب العلم الالهي ، القول في القدماء
 الخمسة ، القول في الهوى ، القول في الزمان والمكان ، القول في النفس والعالم — ويلى هذه
 الرسائل مناظرات لطيفة مفيدة بين ابي بكر الرازي وسميه أبي حاتم الرازي وهي مقتبسة من
 كتاب أعلام النبوة لأبي حاتم المتوفي سنة ٣٢٢ هـ وكان من كبار دعاة الاسماعيلية
 والرسائل منشورة على الطريقة العلمية الحديثة في تحرير النص ومعارضة الروايات واثبات
 الهوامش اللازمة لتبيان النص او تبين مذهب المؤلف في باب من الابواب
 ولهذا الجزء الاول جزء ثان تم به الرسائل وتعمل فيه المسارد والمصطلحات الفلسفية
 والطبية . وبهذا الجزء الثاني تكون الفائدة العملية ، إذ ان مثل هذه المؤلفات ان لم تكن من
 الطبقة الاولى في الفلسفة الاسلامية كرسالة العقل للفارابي ، فان الذي يجنى منها هو ما يتيسر لنا
 من الالفاظ الخاصة التي تجري فيها

سيف الدولة وعصر الحمدانيين

تأليف سامي الكيالي — ٢٣٠ ص من قطع المقتطف — حلب ١٩٣٩

من مظاهر الاعتزاز بالقومية والاعتصام بجاه الأمة المتصلة حلقاتها ان يكتب أبناءها سير
 عظمائها الذين ساهموا في إقامة سلطاتها وبسط عزها . وسيف الدولة الحمداني من عيون أولئك
 العظماء في التاريخ العربي الاسلامي . فانه لعمل جليل حسن ذلك الذي أقدم عليه زميلنا
 الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » . وعسى ان يستن بسنته كل من آنس من
 نفسه ميلاً الى كتابة السير التاريخية

إن سيف الدولة برز في عهد كانت الامبراطورية الاسلامية تتفكك فيه والخلافة تتضع والعروبة تذلل وتخور من جراء الدسائس والفتن وقعود الهمم وخساسة أنفس الوزراء والعمال وتعالى حظ الأعاجم من فرس وترك وكرد ، فضلاً عن مكاييد ملوك الروم ونصيبهم العداء الذي لا يكل . وبروز سيف الدولة ذلك الأمير الشهم الأديب الشجاع الرقيق وطيد أركان العروبة وركز أوتاد الاسلام . فما أجل سيرة تزينها البطولة ويرققها الشعر

وقد تبسط الأستاذ الكيالي في كتابه . ففقد فصلاً تمهيدياً حكى فيه قصة الحمدانيين من نشأتهم حتى حظوتهم عند الخليفة لما كانوا عليه من علو الهمة واتساع الشكيمة قال بهم الأمر أن استقلوا في أرض حلب . وهنا وصف المؤلف حلب وذكر صناعاتها وثرواتها وفنونها في ذلك العهد . ثم انتقل الى الكلام على سيف الدولة وبين كيف دخل الى حلب ونازع الاخشيديين فيها وفي دمشق وحارب الروم من أجلها فكانت حرباً سجالاً متلاحقة . وختم المؤلف كتابه بفصل عن المتنبي وآخر عن أبي فراس . وفي رأي المؤلف أن سيف الدولة أذاع صيت المتنبي على عكس ما يقول الناس ، وهذا الرأي غير مستبعد على أن لا يكون في حكم الاطلاق

والسيرة مكتوبة بحسن مرهف وقلم نابض مع ميل الى تعظيم سيف الدولة . وأسلوبها لطيف الحواشي فياض المجري لا تعمل فيه . وقد عجبتنا من قول مقدم الكتاب الدكتور (اسماعيل احمد ادم) أن الاسلوب ينقصه الدقة التعبيرية . فإن التعبير يختلف باختلاف الطبائع ، وطبيعة الأستاذ الكيالي ترجع توجهاً الى السليقة العربية . وكل ما تأخذه على هذا الكتاب الحسن أن الفصول ربما أعوزها شيء من الجلبك

مجموعة مفتاح القراءة

عمل الآنستين حنيفة حفي ناصف وزكية عزيز يوسف

أخرجت مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر مجموعة للقراءة من عمل الآنستين حنيفة حفي ناصف وزكية عزيز يوسف باسم « مفتاح القراءة » وليست هذه المجموعة كتاباً يضمه غلاف وإنما هي مجموعة من الورق المقوى تكون سلسلة متصلة لدروس القراءة العربية للأطفال وهذه المجموعة النفيسة تسير على قواعد التربية الحديثة فتعرض الحرف الابجدي مصوراً ومضبوطاً بالشكل وأمامه رسم الكلمة التي يبدأ بها الحرف ليسهل على الطفل حفظها وادراكها وقد لاحظنا أن الحركات « الشكل » موضوعة بلون مغاير للحرف حتى يدرك الطفل أنها ليست منه . والمجموعة مقسمة سنة اقسام يليها بعض التمرينات التي قوامها جل قصيرة سهلة كثيرة التداول فتنتي على عمل الآنستين واشترانا كما في امداد الطفل العربي بمجموعة طريفة للعطالة العربية

أبو العلاء المعري

للمرحوم أحمد تيمور باشا — ١٦٠ ص من قطع المقتطف — القاهرة ١٩٤٠

من مخلفات العالم الجليل الثقة أحمد تيمور باشا هذه الرسالة اللطيفة ، عثر عليها ابنه الاستاذ محمود تيمور فدفعها الى لجنة التأليف والترجمة والنشر فطبعتها طبعاً حسناً . والرسالة كما هو يتبين من المقدمة وتضاعفها مستوفاة النظر مشبعة الفصول لولا إشارات وعلائم كان في نية المؤلف رحمه الله أن يعود اليها ويتم مجراها ، من ذلك أن الرسالة لا تعرض لنثر أبي العلاء بل وقفت عند شعره مع أن قسماً من اقسامها عنوانه « شعر أبي العلاء ونثره »

ومهما يكن من أمر الرسالة فإنها نموذج حسن قويم للبحث العلمي الذي عرف قبل اليوم فيها استقصاء وتبيين والتزام للنص وتحرر وتبصر . وفيها فوق هذا تواضع العالم مع ثبات قدمه إذ لا يهول ولا يتعسف وإذ يذكر المصادر ويشير الى ما اطلع عليه أو ما سمع به

هذا وفي الرسالة فصول لا بد من مراجعتها إذا أنت أردت الاعتماد عليها . وسبب ذلك أن كتباً لا بي العلاء ككتاب « الفصول والغايات » وأن مباحث فيه كباحث نقر من المستشرقين ولا سيما نيكلسون وكراشكوفسكي وفتة من الشرقيين ولا سيما الدكتور طه حسين بك قد ظهرت بعد تأليف تلك الرسالة

ومن الفصول المستقاة على الغالب من التأليف القديمة المعتبرة ما هو جدير بالعناية ، من تلك الفصول : « المكرر من معاني أبي العلاء » ، « سرقاته » ، « ما أخذ الشعراء من شعره » . وفي الفصل الاخير : « معتقد أبي العلاء في الله وفي النبوات والرسول » يأتي المؤلف بآراء خاصة به إذ يفند تهم الذين زعموا ان أبا العلاء كان ملجداً منكرآ لوجود الله . وهذا الفصل خير الفصول مبحثاً ومنطقاً

العلوم عند الترك العثمانيين

بقلم عبد الحق نعدنان — ١٦١ ص من القطع الصغير — باريس ١٩٣٩

La Science chez les Turcs Ottomans. par Abduhak Adnan
Editions P. Geuthner, Paris 1939

هذا كتاب يعرض بإيجاز حالة العلوم وتطورها عند الترك ، وذلك من أول نشأتها (أي حوالي سنة ١٣٣٠ عند ما شيد ارهان باي ثاني سلاطين العثمانيين مدرسة « نيقية ») حتى نهاية القرون الوسطى ، ثم من بداية المصور الحديثة حتى مفتتح القرن السابع عشر أيام بازيد الثاني ثم من ذلك العهد حتى منتصف القرن الثامن عشر أي مدة جمود العلم في تركيا ثم من ذلك العهد

حتى فاتحة القرن التاسع عشر : كل ذلك خمسة قرون حتى دخول العلوم الاوربية الحديثة وانتظامنا في دور التعليم العامة

ويؤخذ من هذا الكتاب أن الذهنية العالمية بطيئة السير والتحول في بلاد متصلة بالبلدان الاوربية اتصالاً مباشراً . وقد بدأ العلم بنشأة «المدارس» حيث كانت العلوم الرياضية والطبيعية سائدة فيخرج منها علماء جماعون مستوعبون ، ثم انحرف التدريس عن التثقيف العام وقنع بعلم الأصول والجدل والمناظرة ودقائق الفقه . حتى هذه العلوم لم تكن تسلفن على الشكل الوافي والمنهج القويم ، فكان الذين ينالون الاجازات من المدارس يحصلون على المناصب الرفيعة في الدولة وفي التعليم ولم يظفروا الاً بالفيلد القليل من تلك العلوم (راجع ص ٩٢) . وما يؤثر هنا أن حاجي خليفة المشهور شكاً من المدارس لانها طردت من جذرائها العلوم العقلية والفلسفة . الا أن مقتضيات الحروب والغزوات دفعت أصحاب الشأن في الدولة الى العناية بالعلوم الرياضية وما يتصل بفنون الحرب وذلك ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر

والعلوم في تركيا طوال تلك القرون الخمسة هي من تراث العلوم العربية أو مقتبسة منها . والكتاب — كما اعترف المؤلف في مقدمته — لا يدعي الاستيفاء والاحكام وانما هو معرض للمحات وبيانات كثيرة . غير أن المؤلف حقيق بالتقدير لالتزامه الحق وبهذه التشييع وهوى النفس

الغدد الصم

وتأثيرها في شخصياتنا

ان قراء المقتطف يذكرون بالعجاب ذلك الفصل المسهب النفيس في «الغدد» الذي كتبه الاستاذ حسن السامان مدير منطقة معارف البصرة ونشر في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٧ ، ولذلك يسرنا ان نقول ان الاستاذ الفاضل عني بمراجعة ذلك الفصل وأضاف اليه حقائق شتى من مطولات في الموضوع اطلع عليها ثم طبعه في كتاب على حدة فجاء في ٨٨ صفحة من القطع الصغير . وقال في مقدمته «الاندروكرينولوجيا . او العلم الباحث عن الغدد الصم . علم جديد يرتبط بعلم الطب من ناحية ويعلم النفس من ناحية اخرى . فهو بمقامه هذا حلقة وصل بين العالمين ... وعلماء الطب بالاشتراك مع علماء السيكلوجيا مهتمون بالكشف عن جميع اسرار هذا العلم الجديد ، وهم بمعلمهم هذا سيقضون على الشذوذ النفسي والخلقي عند الناس»

وقد تفضل حضرته فأشار الى ان مقال المقتطف الذي عنوانه « الغدد والحياة » حفزه الى التوسع في دراسة الموضوع وبالف في الفضل فأهدى الكتاب الى محرر المقتطف . فلا يسعنا الا أن نوجه اليه الشكر العاطر وان تمنى لطلاب العلم وقراء المقتطف ان يتاح لهم الاستزادة من علمه وفضله

بَابُ الْاِخْتِيارِ الْعِلْمِيَّةِ

مصر الصناعية

ممثلة في المعرض الصناعي النوعي

[تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فافتتح المعرض الصناعي النوعي في أرض الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة في مساء الخميس ٢٥ ابريل . فأعرب عن اعجابه بما عرض فيه ووجه عبارات التشجيع السامي الى منظميه والقائمين بأمره والعارضين فيه مصنوعات أيديهم ومبتكرات قرايحهم]

« لقد وجدت مصر نفسها » كما يقول الانكليز في بعض تعبيراتهم اي انها درت بما فيها المشروعات الصناعية ويأشرون صناعات جديدة

ليس لمصر عهد بها

وما يرتاح اليه الباحث

اشد ارتياح شهود هذه

الظاهرة في المدارس

الصناعية والمدارس

الزراعية ولا سيما ان الأمل

معقود بالجيل الذي يتاح له

أن يقرن العلم بالعمل

فالذي يزور القسم

الخاص بمعرضات هذه

المدارس ويرى ما بلغه

طلبها من اتقان في العمل

الصناعي والعمل الزراعي

لا يسهه إلا الاعجاب

بالجهود التي كملت بهذه

أوشك الدكتور اسماعيل احمد ادهم ان ينتهي من بحثه النفيس في « خليل مطران وشعره » وهو بحث عالجه الكاتب على قواعد طريقة من النقد الادبي مستمدة من معين فلسفة النقد في الادب الاوربي مطبقة على حياة مطران وعصره وشعره . ولما كانت النية متجهة الى اخراج عدد محدود من النسخ التي تضم هذه الفصول رأينا ان نكتب في منها بما نشر في المقتطف حتى الآن ليكون له مجموعة المنتظرة منيرة انطوائها على فصلين او ثلاثة فصول لم تنشر قبلا علاوة على المسارد . وليست الصفحات التي نشرناها في هذا الجزء الا جانباً من البحث الثالث عشر في « صنعة مطران » ويليهِ مبحثان آخران . ونحن اذ نختتم هذه السلسلة مع المجلد السادس والتسعين من المقتطف نوجه شكرنا الى المؤلف ونحيقنا الى الشاعر وتنفي لسكبيهما أطيب ما يتمناه أخ لآخيه

من قوى كامنة فأخذت

تخرجها في الحين الذي

شرعت فيه في استنباط

القوى والفلازات الفارقة

في جوف تربتها ولا سيما

تربة صحاريها وقفارها

فقد زالت العقيدة

الضارة القديمة وهي ان

مصر لا يمكن ان تكون

بلاداً صناعية بغير تعيين

المدى المراد بهذا اللفظ

وهي العقيدة التي اقعدت

ذوي القرائح عن معالجة

ما كان في طاقتهم ومباشرة

ما فيه تقع انفسهم وامتهم

النتيجة والاغبات بما سيكون للنتيجة نفسها من

تأثير في اقتصاد البلاد وتدير العمل للايدي

فالمعرض القائم اليوم دليل على أن هذه

العقيدة الفاسدة محيت من الاذهان وان الناس

العامة وما له من دلالة على المقدرة وحسن الاستعداد

ففي القسم الصناعي يرى الزائر مصنوعات جديدة من صنع مدرسة الهندسة التطبيقية ومدرسة الفنون والصنائع في بولاق فلا يكاد يصدق ان هذه الاشياء والآلات والادوات صنعت في مصر وأن مصر قد تستطيع الاعتماد على هذه المدارس أو خريجها في المستقبل لتجهيزها ببعض ما يلزم من هذه المصنوعات

فقد سمعنا الكافلياري فيشا صاحب مصنع الحجر الاعبل (الفرانيت) يقول لمعالي النقراشي باشا وزير المعارف ان المطارق الفولاذية التي صنعها مدرسة الهندسة التطبيقية على غرار المطارق المصنوعة في اوربا لنحت الفرانيت وقد اعارها هو اياها على سبيل المثال — ان ماصعته المدرسة المصرية أفضل وأجود من المطارق المجلوبة من اوربا

فهذا القسم من العمل الصناعي كبير المقام للذين يعرفون شدة اعتمادنا في الآلات والادوات ولا سيما الدقيق منها على اوربا واميركا وما نستهدف له أحيانا من مصاعب بسبب الحروب أو انقطاع المواصلات أو صعوبتها أو سقوط سعر العملة أو غير ذلك من الاسباب فهذا يصح أن يعد قاعدة كبيرة من قواعد النهضة الصناعية . وأما ما عرض من الادوات الجراحية وآلة الطباعة ومرجل التطهير المتقن والساعات والمصنوعات الفولاذية من محلات دقيقة الصنع وسواها فقد فتح الباب

المطل على مستقبل متسع من العمل الصناعي وصناعة الزجاج هذه التي احييت بها صناعة قديمة امتاز الشرق بها من قديم الزمان بدليل ماهو محفوظ من أواني الزجاج الفينيقي البدع والمصاييح العربية النادرة والنفيسة في دار الآثار العربية — هذه صناعة أدركنا قيمتها في هذا الاوان أو ان نقص الواردات الاجنبية وارتفاع ثمنها فقد حدث هنا مثل الذي حدث في صناعة النسيج فلولا مصانع الغزل والنسيج في المحلة الكبرى والاسكندرية لكانت أسعار المنسوجات القطنية اليوم أربعة اضعاف ماهي الآن ومصر مدينة باحياء صناعة الزجاج لمصنع الزجاج النموذجي الحكومي والسيد ياسين بك صاحب المصانع الكبيرة الوطنية وقد اخذت تتجرب صناعات بارعين عرضوا نماذج من اتاجهم جامعة للاتقان وسد جانب من حاجة البلاد

ومما يغتبط به الباحث هذه العناية بكنوز مصر الخفية والكامنة في جوف تربتها وهي عناية يمجدها الزائر ممثلة أحسن تمثيل في معروضات لبيب نسيم وفيشا وشركة المناجم والمحاجر فيرى في معرض الاول الفلزات الثمينة من حديد وميكا ونيكل وذهب علاوة على الاصباغ واصناف الرخام والمرمر وعند الآخرين الرخام المجزع والرخام الابيض والاخضر والبني المموج كالرخام المغربي علاوة على مصنوعات الحجر الاعبل والبراعة البادية في صنع المصنوعات الفنية مما يصلح للبيوت والمكاتب

بعض مصالحها في أمر الرخص الصناعية ومطالبة الصناع والمصانع بأمر قد يفضي الافراط فيها الى تثبيط همة الذين يقدمون على العمل الصناعي. فالصناعة في حاجة شديدة الى شيء من الرفق والعطف وتذليل العقبات الكثيرة التي لا تزال تلقاها في طريقها والأمر الآخر وجه من وجوه التشجيع وبودنا لو توسلت الحكومة به وهو مكافأة الصناع المجتهدين والمخترعين والمكتشفين والذين يزيدون ثروة البلاد بجهودهم بما يرفع قدرهم بين الناس فيمنحون من الرتب والنياشين ما يدل على التنويه بفضلهم من جهة وتقدير نشاطهم واجتهادهم واخلاصهم لخير مصر وحث سواهم على الاقتداء بهم من جهة أخرى

جهود هؤلاء الافراد أكسبت مصر ثروات جديدة طالما تاق المصريون الى احرازها ولا سيما عند ما يقرأون عنها في بلدان أخرى من مثيلاتها وهذا الذي تم حتى الآن قد يكون فاتحة لما يليه من كشف معادن وفلزات وحجارة ثمينة تدر الخير على البلاد وتكفل العمل لألوف من أبنائها العاملين ان للحكومة فضلاً عظيماً في هذا الرقي الصناعي بما بذلت مصالحها الفنية من جهود في التعليم والتدريب واقامة المعارض واعداد المصانع النموذجية واسداء النصح والمشورة ولكن اذا شاعت الحكومة اطراد هذا النشاط واستمرار هذا الرقي تعين عليها أمران أحدهما ان تعيد النظر في السياسة التي تتبعها

وصف بعض المعروضات

بالخير والبركات ولكي يحيط الجميع الاحاطة الكافية بتقدم مصر وما تشتهر به كل مدينة من مدنها على حدة رثي ان تصنع خارطة لمدن الوجه البحري وقراء وأخرى للوجه القبلي مبين على كل منها اسماء مدنها وبنادره وقراء وما تنتجه من اشياء صناعية او صناعية زراعية وقد علق هاتان الخارطتان على جانبي مدخل المعرض الداخلي ووضع على جانبيها تمثالان احدهما للعنفور له الملك فؤاد والاخر لصاحب الجلالة الملك رمزاً الى ان الصناعة نهضت في عهد فؤاد العظيم واستوت على قواعد الراسخة في عهد فاروق السعيد

تنافس رجال الصناعة في عرض منتجاتهم بالمعرض النوعي للصناعات المصرية الذي اقامته وزارة التجارة والصناعة في ارض الجمعية الزراعية الملكية وهذا المعرض مع ضيق مكانه صورة حية لما وصلت اليه مصر من تقدم في سبيل العمل الصناعي وبرهان ساطع على كفاءة الصانع المصري

فأول ما يدخل الزائر المعرض ويستقبل ساحته وقد عرضت على جانبيها المعروضات الجميلة الفنية يرى اسم الفاروق العظيم يملأ الارضاء بضياءه الساطع المنبعث من أعمدة النور عنواناً لارقي الصناعي الذي بلغته البلاد في عصره المملوء

الكنوز المصرية

ويسير الزائر بجذبه من هنا جلال الصناعة وبغريه من هناك جمال الفن فيواجه تماثلاً منحوتاً في كتلة من اكسيد الحديد الحام عرضه الاستاذ ليبب نسيم مكتشف مناجم الحديد الغنية في اسوان وهو يمثل رجلاً اعرايلاً خارجاً من بطن منجم ارتقى نصفه الأعلى على اكوام الحديد المنزاحة وبقي نصفه الآخر في جوف المنجم يطلب العون لخلاص نفسه لينهض على قدميه يفتح مغاليق الحياة بفتحاح تقلدته غناه

وعلت هذا التمثال صورة طبيعية لجمال الحديد الممتدة في اسوان والتي تكفي مصر بحسب الاستهلاك الحالي ١٠٠٠ سنة او يزيد وفي جانب آخر عرض معدن النيكل الذي اكتشفته كريمة الأنسة جرترود وهو وافر في صحراء اسوان وقد تم اخيراً صنع طبق من النحاس طلي بهذا المعدن ، وهذا الطبق هو الاول من نوعه في تاريخ مصر القديم والحديث ، وقد تفضل جلالة الملك قبله هدية من الأنسة جرترود

وفي جانب ثالث من هذا القسم عرضت نماذج من الذهب التي استخرجها هذا المكتشف المصري من منجم ذهب احمر بمنطقة اسوان و«الرحابة» وهي التي استعملها قدماء المصريين في طحن حجارة الذهب

وعرضت كذلك نماذج ذهب من منجم

آخر هو منجم «ام جارايات» وهذا علاوة على «المينكا» التي اكتشفها في صحراء اسوان وهي موجودة في الاحجار بكثرة فائقة ولهذا المعدن منزلته العظيمة لأن دوران الآلات الكهربائية متوقف عليها

وعلاوة على ذلك فقد عرضت بعض انواع الرخام المكتشفة اخيراً وهي تمتاز باختلاف ألوانها وأشكالها وهذا غير الالبستر المصري الذي اكتشفه بالقرب من حلوان من شهرين والذي صنعت منه قاعدة تمثال ابي الهول

الصناعات المحرقة

واذا طاف الزائر بمروضات المدارس الصناعية استوقفه ما فيها مما يدل على نجابة طلبتها فيرى اجهزة التبخير ووابورات الغاز والغلايات الكهربائية التي تصنع للمرة الاولى في تاريخ الصناعات المصرية ويرى ساعات الحبيب والايدي وقد صنع الطلبة كل مسمار فيها وهناك المحركات الكهربائية والاجهزة اللاسلكية وآلات الجراحة الطبية التي تعرض للمرة الاولى مصنوعة بأيدي مصرية وأكثر من ذلك ادوات الكيمياء والطبيعة الخاصة بالمدارس الثانوية والتي اصبحت تورد اليها من مصانع هذه المدارس ثم الاحواض الساخنة التي يطلبها منها اليوم مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية ولاول مرة في تاريخ الصناعة المصرية يوفق طلبة احدى هذه المدارس الى صنع آلة طباعة اوتوماتيكية تطبع في الساعة ٣٠٠٠

نسخة دارت عجالاتها امام صاحب الجلالة
فاغتبط بها وأرسلت امام جلالته أولى مطبوعاتها
بهذه العبارة « يعيش فاروق الاول حامي
الصناعات »
المسجون نور الفتيحة

وأغرب من كل ما تقدم ان يعرض
المسجونون انتاجهم الفني الذي استجوه وهم في
غياهب السجن ولكن الشر يستحيل الى قوة
من الخير اذا وجد من يفض عليه نوعاً من
الفن يرتقي بشعور الشرير فيصبح انساناً له قيمته
لانه يشعر بذاتيته

معروضات فنية رائعة

واشتملت معروضات قسم الزجاج التابع
لوزارة التجارة على صور فنية تعرض للمرة
الأولى في مصر وهي من صنع الاساذ احمد
يوسف ناظر مدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة
كانت قبلاً معروضة في معرض بروما وأبت
الحكومة الايطالية ارسالها الى مصر بحجة
ان الآثار الفنية من الثروات التي لا يمكن تسربها
الى الخارج ولكن بفعل المساعي التي بذلتها
الحكومة المصرية القائمة حينئذ عادت هذه
اللوحات الى مصر لتعرض في المعرض النوعي
وهذه الصور أربع تمثل احداها اطاراً
من الزجاج داخله كتابة كوفية والثانية تمثل
« الأمومة » والثالثة « نموذج من اعمال
القرن الثالث » نقلاً عن الأصل الموجود
في متحف فيكتوريا والبرت بلندن والرابعة
« الى العمل » وهي جميعها مصنوعة من
الزجاج من طابع فني جميل
هذا أهم ما احتوى عليه المعرض عدا

المسجون نور الفتيحة

فهاك في « ابي زعل » « مدرسة الفن »
يدخلها من تتوسم فيه نزع الخير التي انطمت
معالمها تحت لومة الشمر المارة فيتعلمون فيها كيف
يفتحون التماثيل من الحجر الجيري ، وقد
تمخض هذا التعليم عن انتاج تماثيل مصرية
لاوزيريس ورمسيس وتماثيل فرنسية لفيكتور
هوجو والكاهن بنجري وتماثيل ايطالية
لميكل انجلو وكانون المثال وقد كتب على كل
قطعة اسم صانعه المسجون ورقه

وقد أعجب صاحب الجلالة الملك بهذه
التماثيل فصدر أمره الكريم بوضع تماثيل
« فينوس » ربة الجمال في احدى ساحات
قصر عابدين العامر

سلاح الطيران الملكي

واذا تركنا هذه التماثيل جانباً وخطونا
خطوات قصيرة استقبلتنا حظيرة الطائرات
وفي وسطها غرفة المراقبة فاذا دلفنا الى جوف

المعروضات الأخرى التي تمثل مناحي التقدم الصناعي والزراعي في مختلف الميادين الاقتصادية واعظم ما اتصف به هو التنسيق حتى ظهرت المعروضات في صورتها البديعة وأصبح من السهل ان يشهد المرء تقدم مصر في مضمار الصناعة سامي

* * *

سرعة الصوت وصوت سماعة

كراكتوى سنة ١٨٨٣ كان أعلى صوت عرف على الارض اذ سُمع في ناكوك عاصمة سيام على بعد ١٤٠٠ ميل

ولا يخفى ان سرعة الصوت في الهواء تختلف باختلاف الحرارة فتبلغ في جو الصيف الحار ١٢٦٦ قدماً في الثانية ولا تزيد على ١٠٨٨ الى ١١٥٠ قدماً في الجو الذي درجة حرارته حوالي درجة الجمد . وتبلغ سرعة امواج الصوت في الماء البارد ٤٩٣٨ قدماً في الثانية . وفي الجرانيت ١٢٩٦ قدماً في الثانية وفي الحديد الحامي من ١٥٨٤٨٠ قدماً الى ١٧٣٩٠ قدماً في الثانية وفي الزجاج ١٦٤١٠ اقدم الى ١٩٦٩٠ قدماً في الثانية وفي الذهب ٥٧١٧ قدماً الى ٦٨٩٠ قدماً . وفي الفضة ٨٦٥٨ قدماً في الثانية

في أحد ايام ديسمبر سنة ١٩٣٣ انفجر مقدار كبير من الديناميت في جزيرة «نوفامبلا» الواقعة داخل الدائرة القطبية الشمالية فأثر صوت الانفجار في الاجهزة الدقيقة في برلين على بعد ألفي ميل . أما الرعد فقلما يسمع على بعد يفوق عشرين ميلاً من مكان البرق الذي يسبقه

واطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً يحدث صوتاً يسمع على بعد مائة ميل وقيل أنه سُمع على بعد ثلاثمائة ميل ولكن ذلك لم يحقق . ومن أغرب ما يروى في هذا الصدد ان التيزك السيبيري الكبير الذي وقع في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٨ سُمع صوت وقوعه على بعد ٤٠٠ ميل وأثر في أجهزة قياس الطقس في اوربا . ولعل صوت الانفجار البركاني الذي حدث في جزيرة

* * *

المنسوجات من قياس مقدار الدفع الذي تولده المنسوجات المختلفة

* صنع في جامعة اوهايو الاميركية جهاز لتهديم الذرة زنته تسعين طنّاً فأطلق عليه اسم « برتا الكبير » وهو لقب أكبر مدفع استعمل في الحرب العالمية الماضية

* كان ثلاثة من مديري جامعة باريس في القرون الوسطى من الفنلنديين

* ان الحاجة الى المطاط هي اكبر عائق دون تمكن نصف الكرة الغربي من الاكتفاء الذاتي في رأي ولس وزير الزراعة الاميركية * اخترع جهاز أميركي يمكن رجال صناعة

فهرس الجزء الخامس

من المجلد السادس والتسعين

- انتقال الافكار أو الاتصال الذهني عن بُعد ٤٧٣
- الاصول العلمية الحديثة والزراعة : للدكتور حافظ عفيفي باشا ٤٨١
- السيرة في الفن الاسلامي : للدكتور زكي محمد حسن ٤٨٨
- السيادة المصرية وموقف مصر كمضو في اسرة الدول : بحث لمحمود كامل المحامي ٤٩٢
- مكانة المصادفة في تاريخ الكشف العلمي : أمثلة تستوقف النظر ٥٠٢
- حطام (قصة) : لمحمود سيف الدين الابراني ٥٠٥
- أين أنت (قصيدة) : لمحمد عبد الغني حسن ٥١٧
- الاجرام والاصلاح : لمحمد رياض مفتش الضبط بمحافظة مصر ٥١٨
- غذاء الجماعة — قاعدة لحساب الغذاء : للدكتور حسن كمال ٥٢٤
- غاية العلم في الهند : للدكتور السر شاندرافا ونكاتا رامان ٥٢٨
- منسوجات المستقبل : لعوض جندي ٥٣١
- الصورة القائمة لحالة مصر الصحية : للدكتور عبد الواحد الوكيل بك ٥٣٧
- ندوة الارواح (قصيدة) : لعبد الرحمن الحميس ٥٤٥
- صناعة مطران الفنية : للدكتور اسماعيل احمد ادم ٥٤٧
- حكمان : ١ — لبرتراند رسل . ٢ — لجبران ٥٥٦
- سير الزمان * الحرب في شمال اوربا — أسوج وزوج ودمارك ١ — موقفها الدولي ٥٥٧
- ٢ — أحوالها العمرانية ٣ — حديد اسوج ٤ — اجتياح دتمارك وزوج
- باب المراسلة والمناظرة * تعليق على مقال « من أسرار العربية » . كلمة وجيزة حول « حومة في مهاء الادب » ٥٦٨
- مكتبة المقتطف * ليالي الملاح التائه . رسالة في العقل . رسائل فلسفية للرازي . سيف الدولة وعصر الحمدانيين . مجموعة مفتاح القراءة . أبو العلاء المعري . العلوم عند الترك . الفهد الطم . ٥٧١
- باب الاخبار العلمية * مصر الصناعية ممثلة في المعرض الصناعي النوعي . وصف بعض المعروضات الكونوز المصرية . الصناعات الحديثة . المسجونون الفنيون . سلاح الطيران الملكي . معروضات فنية رائعة . سرعة الصوت ومدى سماعه ٥٧٨